

رسائل ابن عربي

كتاب اليقين وكتاب المعرفة

وكتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

(٤)



تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح



رسائل ابن عربي

كتاب اليقين وكتاب المعرفة
وعنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

رسائل ابن عربي

كتاب اليقين وكتاب المعرفة
وعنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب



شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

رسائل ابن عربي

كتاب اليقين وكتاب المعرفة
وكتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

المجلد الرابع



ص. ب. 113/5752 ر. ب. 1103 2070
Email: arabdiffusion@hotmail.com

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

المحتويات

١٩	الإهداء
٢١	كلمات
٢٣	تمهيد
٢٥	دراسة حول مفهوم اليقين
٢٥	اليقين
٢٥	اليقين لغة
٢٥	اليقين في القرآن الكريم
٢٦	اليقين عند الصوفية
٢٨	الدرجة الأولى
٢٨	الدرجة الثانية
٢٨	الدرجة الثالثة
٢٨	اليقين عند ابن عربي
٣١	منهج التحقيق
٣٣	النسخ الخطية لكتاب اليقين
٣٣	النسخة الأولى
٣٤	النسخة الثانية
٣٥	النسخة الثالثة
	نص كتاب اليقين
٣٨	صور المخطوطات

٤٥	مقدمة المؤلف
٦٤	فصل في ذكر سبب تأليف هذا الكتاب
٦٥	فصل في تسمية الكتاب
٦٧	ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين عند ابن عربي
٦٧	الباب الثاني والعشرون ومائة من كتاب الفتوحات المكية في معرفة مقام اليقين وأسراره
٦٧	اليقين هو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة
٦٨	صاحب اليقين وصاحب علم اليقين
٦٨	هل يصح أن يكون يقين أتم من يقين
٦٨	شرف اليقين بشرف موضوعه وهو الأمر المتيقن
٦٩	اليقين المستقل الذي ليس له محل يقوم به
٦٩	اليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة
٧٠	درجات اليقين عند العارفين
٧١	الباب الثالث والعشرون ومائة في معرفة مقام ترك اليقين وأسراره
٧١	لا يتكرر شيء في الوجود للانساع الإلهي
٧١	اليقين فيه راحة من مقاومة القهر الإلهي كالصبر
٧٢	العبد سبب في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه
٧٢	العبد مضطرب في أصل نشأته، لا يقين له من حيث حقيقته
٧٢	لا طمأنينة مع المرید إلا عن بشرى
٧٤	الباب التاسع والتسعون ومائتان في معرفة علم اليقين
		كتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب
٧٩	مقدمة المحقق
٨٣	صور ونماذج للمخطوطات
٨٥	الوعاء المحتوم على السر المكتوم
٨٨	تبيين الغرض من هذا الكتاب
		بحر طامس وبحري غاطس فيه لآلئ الإشارات في أصداف
٩٠	العبارات، فمن ذلك مفتاح حجة، وإيضاح محجة
٩٤	وصف حال بعد حلّ وترحال
٩٤	حكمة تعليم من عالم حكيم
١٠١	فصل

١٠٩ في معرفة الذات والصفات والأفعال
١١٠ وأما معرفة الذات
١١١ الصفات: لمحة بارق وخيال طارق
١١٣ الأفعال
١١٥ محاضرة أزلية على نشأة أبدية
١١٩ بحر اللؤلؤ والمرجان المودع في العالم الأكبر والإنسان
١٢٢ المرجانة الأولى للؤلؤة الأولى
١٢٢ لؤلؤة نشأة الملائ الأعلى وهو بالمنظر الأجل
١٢٢ لؤلؤة نشأة العرش منه (صلى الله عليه وسلم)
١٢٣ لؤلؤة نشأة الكرسي منه (صلى الله عليه وسلم)
١٢٥ لؤلؤة الأفلاك
١٢٥ لؤلؤة نشأة العناصر الأول منه
١٢٦ لؤلؤة نشأة الدخان الذي فتق به السماوات العلى والأرض السفلى
١٢٧ لؤلؤة نشأة منها مثال برؤية الحق في عالم الخلق
١٢٨ لؤلؤة التحام البياقبت وانتظام المواقيت
١٢٩ لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصيد بالمقراض
١٣٠ لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقائق المحمدية إلى جميع الحقائق
١٣١ مرجانة اللؤلؤة الأولى
١٣٢ مرجانة اللؤلؤة الثانية
١٣٢ مرجانة اللؤلؤة الثالثة
١٣٢ مرجانة اللؤلؤة الرابعة
١٣٣ مرجانة اللؤلؤة الخامسة
١٣٥ مرجانة اللؤلؤة السادسة
١٣٥ مرجانة اللؤلؤة السابعة
١٣٦ مرجانة اللؤلؤة الثامنة
١٣٦ مرجانة اللؤلؤة التاسعة
١٣٧ مرجانة اللؤلؤة العاشرة
١٤٠ إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاق

١٤٤ نكتة الشرف في (غرف من فوقها غرف)
١٤٦ النكتة المؤخرة في الدورة المدخرة
١٥٣ نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء
١٥٤ إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والإعلام بأحواله وآياته
١٥٩ اللؤلؤة اللاحقة بالياقوتة السابعة
١٦٢ دعاء الاستخارة

كتاب المعرفة

١٦٥ مخطوطتا الكتاب
١٦٧ صور المخطوطتين
١٧٣ نص كتاب المعرفة
١٧٣ مسألة (١) في معنى قوله «سبحان الله»
١٧٤ مسألة (٢) في معنى قوله «الحمد لله»
١٧٥ مسألة (٣) للغزالي «رضي الله عنه»
١٧٦ مسألة (٤) في معنى قوله «لا إله إلا الله»
١٧٦ مسألة (٥) في معنى قوله «الله أكبر»
١٧٧ مسألة (٦) في جواهر الغزالي في معنى قوله «الله أكبر»
١٧٧ مسألة (٧) في معنى قوله تعالى (وأفوض أمري إلى الله)
١٧٧ مسألة (٨)
١٧٨ مسألة (٩)
١٧٨ مسألة (١٠)
١٧٩ مسألة (١١)
١٧٩ مسألة (١٢)
١٨٠ مسألة (١٣)
١٨٢ مسألة (١٤)
١٨٢ مسألة (١٥)
١٨٢ مسألة (١٦)
١٨٣ مسألة (١٧)
١٨٤ مسألة (١٨)
١٨٥ مسألة (١٩)

- ١٨٦ مسألة (٢٠)
- ١٨٧ مسألة (٢١) النور والظلمة
- ١٨٩ مسألة (٢٢) لولا النور
- ١٨٩ مسألة (٢٣) الحجب النورانية والظلمانية
- ١٩٠ مسألة (٢٤) العطايا والمنح
- ١٩١ مسألة (٢٥) علم الحق
- ١٩١ مسألة (٢٦) مسمى العالم
- ١٩٢ مسألة (٢٧) الرؤية بحسب العقيدة
- ١٩٣ مسألة (٢٨) تحول الألوهية يوم القيامة
- ١٩٤ مسألة (٢٩) قلب العارف
- ١٩٥ مسألة (٣٠)
- ١٩٦ مسألة (٣١) حق العالم
- ١٩٧ مسألة (٣٢) في المعرفة والهمة
- ١٩٨ مسألة (٣٣) القضاء والقدر
- ١٩٩ مسألة (٣٤) الولاية
- ١٩٩ مسألة (٣٥) حق الصبر
- ٢٠٠ مسألة (٣٦) تقسيم الأمر
- ٢٠١ مسألة (٣٧)
- ٢٠٢ مسألة (٣٨)
- ٢٠٢ مسألة (٣٩)
- ٢٠٣ مسألة (٤٠)
- ٢٠٣ مسألة (٤١)
- ٢٠٣ مسألة (٤٢)
- ٢٠٣ مسألة (٤٣)
- ٢٠٤ مسألة (٤٤)
- ٢٠٤ مسألة (٤٥)
- ٢٠٥ مسألة (٤٦)
- ٢٠٥ مسألة (٤٧)

٢٠٥	مسألة (٤٨)
٢٠٥	مسألة (٤٩)
٢٠٥	مسألة (٥٠)
٢٠٦	مسألة (٥١)
٢٠٦	مسألة (٥٢)
٢٠٦	مسألة (٥٣)
٢٠٧	مسألة (٥٤)
٢٠٧	مسألة (٥٥)
٢٠٨	مسألة (٥٦)
٢٠٨	مسألة (٥٧)
٢٠٩	مسألة (٥٨)
٢٠٩	مسألة (٥٩)
٢١٠	مسألة (٦٠)
٢١٠	مسألة (٦١)
٢١١	مسألة (٦٢)
٢١١	مسألة (٦٣)
٢١٢	مسألة (٦٤)
٢١٣	مسألة (٦٥)
٢١٣	مسألة (٦٦)
٢١٣	مسألة (٦٧)
٢١٤	مسألة (٦٨)
٢١٥	مسألة (٦٩)
٢١٥	مسألة (٧٠)
٢١٦	مسألة (٧١)
٢١٦	مسألة (٧٢)
٢١٦	مسألة (٧٣)
٢١٧	مسألة (٧٤)
٢١٧	مسألة (٧٥)

٢١٨	مسألة (٧٦)
٢١٨	مسألة (٧٧)
٢١٨	مسألة (٧٨)
٢١٩	مسألة (٧٩)
٢١٩	مسألة (٨٠)
٢١٩	مسألة (٨١)
٢١٩	مسألة (٨٢)
٢٢٠	مسألة (٨٣)
٢٢٠	مسألة (٨٤)
٢٢٠	مسألة (٨٥)
٢٢١	مسألة (٨٦)
٢٢٢	مسألة (٨٧)
٢٢٤	مسألة (٨٨)
٢٢٤	مسألة (٨٩)
٢٢٤	مسألة (٩٠)
٢٢٥	مسألة (٩١)
٢٢٥	مسألة غامضة (٩٢)
٢٢٥	مسألة (٩٣)
٢٢٥	مسألة (٩٤)
٢٢٦	مسألة (٩٥)
٢٢٦	مسألة (٩٦)
٢٢٧	مسألة (٩٧)
٢٢٧	مسألة (٩٨)
٢٢٨	مسألة (٩٩)
٢٣٠	مسألة (١٠٠)
٢٣٠	مسألة (١٠١)
٢٣٠	مسألة (١٠٢)
٢٣١	مسألة (١٠٣)

٢٣١	مسألة (١٠٤)
٢٣٢	مسألة (١٠٥)
٢٣٢	مسألة (١٠٦)
٢٣٢	مسألة (١٠٧)
٢٣٢	مسألة (١٠٨)
٢٣٣	مسألة (١٠٩)
٢٣٣	مسألة (١١٠)
٢٣٣	مسألة (١١١)
٢٣٥	مسألة (١١٢)
٢٣٦	مسألة (١١٣)
٢٣٦	مسألة (١١٤)
٢٣٧	مسألة (١١٥)
٢٣٧	مسألة (١١٦)
٢٣٧	مسألة (١١٧)
٢٣٨	مسألة (١١٨)
٢٣٨	مسألة (١١٩)
٢٣٩	مسألة (١٢٠)
٢٣٩	مسألة (١٢١)
٢٤٠	مسألة (١٢٢)
٢٤٠	مسألة (١٢٣)
٢٤١	مسألة (١٢٤)
٢٤١	مسألة (١٢٥)
٢٤٢	مسألة (١٢٦)
٢٤٣	مسألة (١٢٧)
٢٤٣	مسألة (١٢٨)
٢٤٣	مسألة (١٢٩)
٢٤٣	مسألة (١٣٠)
٢٤٤	مسألة (١٣١)

٢٤٤	مسألة (١٣٢)
٢٤٥	مسألة (١٣٣)
٢٤٦	مسألة (١٣٤)
٢٤٧	مسألة (١٣٥)
٢٤٧	مسألة (١٣٦)
٢٤٨	مسألة (١٣٧)
٢٤٨	مسألة (١٣٨)
٢٤٨	مسألة (١٣٩)
٢٤٨	مسألة (١٤٠)
٢٤٩	مسألة (١٤١)
٢٤٩	مسألة (١٤٢)
٢٥٠	مسألة (١٤٣)
٢٥٠	مسألة (١٤٤)
٢٥١	مسألة (١٤٥)
٢٥١	مسألة (١٤٦)
٢٥١	مسألة (١٤٧)
٢٥٢	مسألة (١٤٨)
٢٥٢	مسألة (١٤٩)
٢٥٢	مسألة (١٥٠)
٢٥٢	مسألة (١٥١)
٢٥٣	مسألة (١٥٢)
٢٥٣	مسألة (١٥٣)
٢٥٤	مسألة (١٥٤)
٢٥٤	مسألة (١٥٥)
٢٥٥	مسألة (١٥٦)
٢٥٥	مسألة (١٥٧)
٢٥٥	مسألة (١٥٨)
٢٥٦	مسألة (١٥٩)

٢٥٧	مسألة (١٦٠)
٢٥٧	مسألة (١٦١)
٢٥٨	مسألة (١٦٢)
٢٥٨	مسألة (١٦٣)
٢٥٩	مسألة (١٦٤)
٢٥٩	مسألة (١٦٥)
٢٥٩	مسألة (١٦٦)
٢٦٠	مسألة (١٦٧)
٢٦٠	مسألة (١٦٨)
٢٦٠	مسألة (١٦٩)
٢٦١	مسألة (١٧٠)
٢٦١	مسألة (١٧١)
٢٦١	مسألة (١٧٢)
٢٦١	مسألة (١٧٣)
٢٦٢	مسألة (١٧٤)
٢٦٢	مسألة (١٧٥)
٢٦٣	مسألة (١٧٦)
٢٦٣	مسألة (١٧٧)
٢٦٤	مسألة (١٧٨)
٢٦٤	مسألة (١٧٩)
٢٦٤	مسألة (١٨٠)
٢٦٤	مسألة (١٨١)
٢٦٥	مسألة (١٨٢)
٢٦٥	مسألة (١٨٣)
٢٦٥	مسألة (١٨٤)
٢٦٦	مسألة (١٨٥)
٢٦٧	مسألة (١٨٦)
٢٦٧	مسألة (١٨٧)

٢٦٨	مسألة (١٨٨)
٢٦٩	مسألة (١٨٩)
٢٧٠	مسألة (١٩٠)
٢٧١	مسألة (١٩١)
٢٧١	مسألة (١٩٢)
٢٧١	مسألة (١٩٣)
٢٧١	مسألة (١٩٤)
٢٧٢	مسألة (١٩٥)
٢٧٣	مسألة (١٩٦)
٢٧٣	مسألة (١٩٧)
٢٧٣	مسألة (١٩٨)
٢٧٥	مسألة (١٩٩)
٢٧٥	مسألة (٢٠٠)
٢٧٥	مسألة (٢٠١)
٢٧٦	مسألة (٢٠٢)
٢٧٦	مسألة (٢٠٣)
٢٧٦	مسألة (٢٠٤)
٢٧٦	مسألة (٢٠٥)
٢٧٦	مسألة (٢٠٦)
٢٧٦	مسألة (٢٠٧)
٢٧٧	مسألة (٢٠٨)
٢٧٧	مسألة (٢٠٩)
٢٧٧	مسألة (٢١٠)
٢٧٧	مسألة (٢١١)
٢٧٨	مسألة (٢١٢)
٢٧٨	مسألة (٢١٣)
٢٧٨	مسألة (٢١٤)
٢٧٨	مسألة (٢١٥)

٢٧٩	مسألة (٢١٦)
٢٧٩	مسألة (٢١٧)
٢٧٩	مسألة (٢١٨)
٢٧٩	مسألة (٢١٩)
٢٧٩	مسألة (٢٢٠)
٢٨٠	مسألة (٢٢١)
٢٨٠	مسألة (٢٢٢)
٢٨١	مسألة (٢٢٣)
٢٨١	مسألة (٢٢٤)
٢٨١	مسألة (٢٢٥)
٢٨١	مسألة (٢٢٦)
٢٨٢	مسألة (٢٢٧)
٢٨٢	مسألة (٢٢٨)
٢٨٢	مسألة (٢٢٩)
٢٨٣	مسألة (٢٣٠)
٢٨٤	مسألة (٢٣١)
٢٨٤	مسألة (٢٣٢)
٢٨٤	مسألة (٢٣٣)
٢٨٤	مسألة (٢٣٤)
٢٨٥	مسألة (٢٣٥)
٢٨٥	مسألة (٢٣٦)
٢٨٥	مسألة (٢٣٧)
٢٨٦	مسألة (٢٣٨)
٢٨٦	مسألة (٢٣٩)
٢٨٦	مسألة (٢٤٠)
٢٨٧	مسألة (٢٤١)
٢٨٧	مسألة (٢٤٢)
٢٨٧	مسألة (٢٤٣)

٢٨٧	مسألة (٢٤٤)
٢٨٨	مسألة (٢٤٥)
٢٨٨	مسألة (٢٤٦)
٢٨٨	مسألة (٢٤٧)
٢٨٨	مسألة (٢٤٨)
٢٨٩	مسألة (٢٤٩)
٢٨٩	مسألة (٢٥٠)
٢٨٩	مسألة (٢٥١)
٢٨٩	مسألة (٢٥٢)
٢٨٩	مسألة (٢٥٣)
٢٩٠	مسألة (٢٥٤)
٢٩٠	مسألة (٢٥٥)
٢٩٣	مسألة (٢٥٦)
٢٩٤	مسألة (٢٥٧)
٢٩٥	مسألة (٢٥٨)
٢٩٥	مسألة (٢٥٩)
٢٩٦	مسألة (٢٦٠)
٢٩٦	مسألة (٢٦١)
٢٩٦	مسألة (٢٦٢)
٢٩٧	مسألة (٢٦٣)
٢٩٩	مسألة (٢٦٤)
٢٩٩	مسألة (٢٦٥)
٢٩٩	مسألة (٢٦٦)
٣٠٠	مسألة (٢٦٧)
٣٠٠	مسألة (٢٦٨)
٣٠١	مسألة (٢٦٩)
٣٠٢	مسألة (٢٧٠)
٣٠٢	مسألة (٢٧١)

٣٠٢	مسألة (٢٧٢)
٣٠٢	مسألة (٢٧٣)
٣٠٢	مسألة (٢٧٤)
٣٠٣	مسألة (٢٧٥)
٣٠٣	مسألة (٢٧٦)
٣٠٣	مسألة (٢٧٧)
٣٠٤	مسألة (٢٧٨)
٣٠٤	مسألة (٢٧٩)
٣٠٤	مسألة (٢٨٠)
٣٠٥	مسألة (٢٨١)
٣٠٥	مسألة (٢٨٢)
٣٠٥	مسألة (٢٨٣)
٣٠٥	مسألة (٢٨٤)
٣٠٦	مسألة (٢٨٥)
٣٠٦	مسألة (٢٨٦)
٣٠٦	مسألة (٢٨٧)
٣٠٧	مسألة (٢٨٨)
٣٠٧	مسألة (٢٨٩)
٣٠٧	مسألة (٢٩٠)
٣٠٨	مسألة (٢٩١)
٣٠٨	مسألة (٢٩٢)
٣٠٩	مسألة (٢٩٣)
٣٠٩	مسألة (٢٩٤)
٣٠٩	مسألة (٢٩٥)
٣١٠	مسألة (٢٩٦)

الإهداء

إلى شيخي رمز الصفاء
واليقين الذي يملأ القلوب
صلاح الدين التجاني الحسني الحسيني
أهديه نسمة من نسمة
يقينه الذي بسطه في قلبي فشاع في أرجائي.

سعيد عبد الفتاح

كلمات..

عينك إذا لم تغلط فهي عين اليقين،
وإذا غلطت فمن عين القطع.
وعلمك إذا لم يغلط فمن علم اليقين،
وإذا غلط فمن علم القطع.
وحق اليقين: أن ينطق عندما تميزت له
صفات الفصل بين الهمم في
الأمر الذي انبعث عنه.
وحقيقة اليقين: أن ينظر في مقامه العلوي المعلوم
الذي منه نزل إلى أسفل سافلين
فإنه إلى ذلك ينتهي.

(محيي الدين بن عربي)

تمهيد

يعد كتاب اليقين من بين الكتب الهامة التي قدّمتها (محيي الدين بن عربي). وتظهر أهميته في وضوح رؤيته وامتلاكه ناصية هامة من نواصي التنظير والتحقيق سواء من الجانب الفلسفي أو الصوفي.

فقد تشابكت الآراء حول مقولات كثيرة لابن عربي، من هذه المقولات: ترديد بعض الكتب حول تفصيل ابن عربي نفسه في ولايته عن النبوة. وأقول لمن يرددون هذه الأقوال: اقرأوا هذا الكتاب وستأتكم الإجابة شافية على لسانه وهو يناقش فكرة اليقين بعمق.

وبالرغم من هذا العمق وهذا التنظير إلا أن الكتاب واضح وضحاً جلياً لدرجة تجعل من لا عهد له بقراءة كتب ابن عربي الاقتراب من هذا الكتاب، بل وترديد ما يقوله في يسر وسهولة، ليسور لفته، ومأخذه، ونقاء تعبيره.

وقد تحدثت في مقدمة كتاب «المعرفة» من تحقيقنا: أن ابن عربي تجده واضحاً وضحاً جلياً ثم يستغلق عليك في كثير من الأمور، ثم يرمز، ثم يعبر تعبيراً ميسوراً.. وبين هذه الانتقالات تتعرف على طبيعته، ومنهجه في التأليف.

وإني في هذا المقام، بعد أن قدمت ابن عربي في عدد من الكتب، أرى الرجوع إليها وخاصة كتاب المجلد الأول من هذه المؤلفات بتحقيقنا أيضاً، فهناك نشرت رسالة بخطه ضمنها شيوخه، ومؤلفاته، وهي الرسالة التي أرسلها للأمير «بهاء الدين غازي». ولذا فإن أي تقديم هنا سيكون مبتوراً، بل ومنقول جزء من كثير هناك. وإني أرفق بالقارئ أيضاً من أن أعيد ما قلته عن شيوخه وكتبه هنا فيضيق المقام بصفحات ليس هذا مكانها لصغر حجم هذه الرسالة، ومكتفياً بالحديث عنها وعمّا دار حولها من المراجعة والتدقيق والتحقيق الذي هو من صلب هذه العملية.

قدمت دراسة لهذه الرسالة المسماة (كتاب اليقين) شرحت فيها مفهوم اليقين لغة، وفي القرآن الكريم، وعند الصوفية، ثم عند ابن عربي بعد ذلك. ثم ألحقت نصوصاً هامة بمقام اليقين لابن عربي أيضاً من

كتابه (الفتوحات المكية) وهي الأبواب (١٢٢، ١٢٣، ٢٦٩) لما في ذلك من أهمية للباحث والقارئ على السواء.

أرجو أن يتقبل الله هذا العمل في صالح عملي.
إنه نعم المولى ونعم النصير.

المحقق

دراسة حول مفهوم اليقين

اليقين

لعل تعبير اليقين من التعبيرات الشائعة عند الصوفية، ولا يخلو مرجع أو مصدر من مصادر التصوف من الإشارة إليه من قريب أو من بعيد. بل يشيع هذا المصطلح أو هذا التعبير عند العامة وحتى عند من ليس لهم أدنى معرفة بالتفكير الصوفي، أو الفلسفي، أو العلمي. وقد يدخل هذا التعبير عند هؤلاء ضمن صياغات أو تعبيرات أخرى مثل: الإخلاص، والعلم، والإيمان. وغير ذلك.

وربما شاع واشتهر المعنى اللغوي لليقين دون غيره من المعاني على الألسن واختلط وأخذ دلالات اعتقد أن أهمها استقرار الشيء في النفس لدرجة يصعب الشك حول هذا الشيء، وهذا المعنى قد نرى أنه تسرب من خلال معناه اللغوي. ولذا فإننا سنبدأ الحديث عن اليقين من خلال معناه في اللغة. ثم في القرآن الكريم كمصطلح، ثم عند الصوفية بتعريفاته، ودلالاته المتعددة، ودرجاته وأركانه. إلخ.

اليقين لغة:

العلم، وإزاحة الشك، وتحقيق الأمر.

وربما أخذ من يقن الماء في الحفرة إذا استقر فيها.

وقد أيقن يوقن إيقاناً، فهو موقن.

واليقين: نقيض الشك.

والعلم: نقيض الجهل.

والموقونة: هي الجارية المصونة المخدرة. أي: التي في خدرها لا يراها أحد.

أما اليقين في القرآن الكريم:

فقد يأخذ نفس المعاني والدلالات التي تعطىها اللغة، وقد يخرج بدلالات أخرى تختلف اختلافاً بيناً عن معناها في اللغة إلى معانٍ خاصة بالعقيدة.

فمثلاً قد يأخذ دلالة توحى بيوم القيامة أو الموت. فانظر مثلاً في قوله تعالى:

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ﴾ (٤٧ المدثر).

فهذا المعنى هنا يعطي دلالة يوم القيامة، ويعطي أيضاً الموت.

أي حتى جاءنا حساب يوم القيامة يوم اليقين. أو حتى جاءنا الموت فكشف لنا كل شيء فتيقنا.

وانظر كذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينَ﴾ (٩٩ الحجر).

ويذكر أكثر المفسرين المعنى هنا بالموت.

إذ النبي (صلى الله عليه وسلم) تمتلئ يقيناً، فلا انتظار ليقين يضاف له، ومن هنا خرج المفسرون بأن

دلالاته الموت.

وقد يرى ابن عربي في هذه الآية بالذات رأياً مخالفاً، سأذكره أثناء الحديث عن مفهوم اليقين عند ابن

عربي.

وقد يأتي اليقين في القرآن الكريم ناقضاً للظن والشك ليهدم آراء المشركين في قولهم حول قتل نبي

الله عيسى (عليه السلام) يقول الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧

النساء).

أو قوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِينِينَ﴾ (٣٢ الجاثية).

وقد يأتي ليرمز مخالفة الكفار لحقائق استقرت في نفوسهم ليفضحهم أمام المسلمين.

انظر قوله تعالى: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (١٤ النمل).

أي استقرت فيها.

وقد يأتي ليمدح قوماً بما فيهم من يقين. مثل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ

يوقنون﴾ (٢٠ الجاثية).

وقد يشيع النص القرآني نفسه الإحالة إلى ضرورة اليقين وأهميته والترغيب فيه بذكره. مثل قوله تعالى:

﴿يُدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (٢ الرعد).

وآيات أخرى كثيرة بالقرآن الكريم لو فتحنا لوجدناها تحمل أكثر من دلالة. ونحن لا نغفل أيضاً هنا

الدرجات التي قسمها القرآن لمفهوم اليقين على النحو التالي:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (٥ التكاثر). ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٧ التكاثر). ﴿وَإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ﴾

(٥١ الحاقة).

من هنا كان للصوفية وقفات طويلة حول هذا المصطلح. وقد تعددت أقوالهم، وسنحاول بقدر

الإمكان أن نلم بأطرافه لنبين حقيقة اليقين ومفهومه عندهم، ثم عند ابن عربي.

اليقين عند الصوفية:

قسّم الصوفية اليقين إلى ثلاثة أقسام في ثلاث عبارات اعتبروها من العلوم الجليلة، كما جعلوا هذه

العبارات نفسها أركاناً لليقين. وهم يعتمدون جميعاً على المصطلح القرآني لأركان اليقين. ويستند بعضهم إلى مفهومه في اللغة.

فاليقين كما قال «أبو زكريا الأنصاري» في منتخباته^(١): عند جماعة: توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يفغل عنه فهو أخص من العلم.

وعند جماعة: هو العلم.

وهو تقريباً نفس معناه في اللغة.

وهذا المعنى يثيب لأول وهلة أن اليقين مكتسب.

بينما يذكر آخرون أن اليقين وهبي غير مكتسب.

فيقول في موضع آخر^(٢): اليقين: يملأ القلب نوراً.

أي يصير القلب به على بصيرة من الأمور. بحيث يصير به المعلوم مشاهداً أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية وامتناع العلائق الطبيعية.

وهذا المعنى هنا يفيد على الفور أن اليقين وهبي، لا مكتسب.

ويؤكد هذا المعنى (نجم الدين داية) في كتاب: «منارات السائرين» بتحقيقنا ص ٣٧٤.

«اعلم أن اليقين نور قذفه الله تعالى في قلوب المؤمنين والأولياء والأنبياء «عليهم السلام» بحسب مقاماتهم في المعرفة. وذلك أن الله اطلع على قلوب عباده المخلصين المخصوصين بالعناية اطلاق الكرم عند توجيههم إلى الحضرة بالصدق، وتولهم بالشوق راجعين بقطع التعلقات. فيملأ القلوب المصفأة بشروق الأنوار التي بها كشف الأسرار. فكل قلب يرى بإضاءة الحق إياه ما يراه بنور اليقين».

وعلى هذا فإنه حين يعتمد على أن اليقين وهبي فإنه يجعله كالإيمان يزيد وينقص، كما يزيد إيمان المرء وينقص، وكذلك فإنه يراه يقوى ويضعف.

فالزيادة: بقدر تصفية القلب عن كدورات النفس وتطهيره.

والنقص: بقدر تدنس القلب بلوث الشهوات.

أما القوة: فهي في الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، والتوكل على رب السماء.

والضعف: بفقد هذه الأشياء.

وقد جعل اليقين من المقامات التي لا ينقطع السير فيها إلى الأبد. لأنه ثمرة شجرة المعرفة.

وقد حسم الشيخ أبو سعيد الخراز مسألة العلم واليقين حين وصف البعض اليقين بأنه العلم فقال:

العلم: ما استعملك.

(١) ص ٤٧ من الرسالة هامش.

(٢) ص ٩٠ على هامش الرسالة.

واليقين: ما حملك.

وقد اعتمد على مقولة الخراز شيخ الإسلام الهروي في كتابه العظيم: (منازل السائرين) حين عدّ اليقين باباً من أبواب قسم الأصول، الذي هو عشرة أقسام فقال:

اليقين: مركب الأخذ في هذا الطريق، وهو غاية درجات العامة، وقيل هو أول درجات الخاصة^(١).
وقد قسم اليقين إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى:

علم اليقين: وهو:

أ - قبول ما ظهر من الحق.

ب - وقبول ما غاب للحق.

ج - والوقوف على ما قام بالحق.

الدرجة الثانية:

عين اليقين: وهو:

أ - الفنى بالاستدلال عن الاستدلال.

ب - وعن الخبر بالعيان.

ج - وخرق الشهود حجاب العلم.

الدرجة الثالثة:

حق اليقين: وهو:

أ - إسفار صبح الكشف.

ب - ثم الخلاص من كلفة اليقين.

ج - ثم الفناء في حق اليقين.

وهو ما أشار إليه «نجم الدين داية» في كتابه عن بداية اليقين ووسطه ونهايته.

فقال: بدايته: علم اليقين بكشف الأسرار. ووسطه: عين اليقين بشواهد الآثار. ونهايته: حق اليقين بتابع الأنوار.

اليقين عند ابن عربي:

دائماً حين يأتي الحديث عن ابن عربي، يقف المرء طويلاً ليرى ماذا فعل ابن عربي بهذا المصطلح الشائع في التصوف؟ وماذا سيضيف إليه؟ وهل سيمر عليه مرور الكرام، أم سيتوقف عنده ويدلي بدلوه؟

(١) انظر منازل السائرين ص ٢٥، ومدارج السالكين ج ٢ ص ٤١٣.

شأنه في ذلك شأن الكبار من العباقرة الذين لا يمرون مرور الكرام على شيء حتى يضيفوا إليه من عندهم أشياء تكسبه وضوحاً ودلالات متجددة.

يقول ابن عربي: إن اليقين مقر العلم في الخلد.

وحكمه: سكون النفس بالتيقن، أو حركتها إلى المتيقن.

وهو: ما يكون الإنسان فيه على بصيرة سواء حصل المتيقن أو لم يحصل، مثل: ﴿أَتَى أَمْرَ اللَّهِ﴾ (١) النحل).

وإن كان لم يأت بعد. ولكن تقطع النفس المؤمنة بإتيانه فلا فرق عندها بين حصوله وعدم حصوله. وهو قول من قال: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً).

قال هذه العبارة: «عبد بن قيس» وينسبها كثيرون إلى «أبي يزيد البسطامي»^(١).

مع أن المتيقن ما حصل في الوجود العيني بعد.

ثم يقول: اليقين: مقام شريف بين العلم والطمأنينة.

فالعلم كان عند سيدنا إبراهيم (عليه السلام) والطمأنينة كانت المطلوبة. ﴿قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (٢٦٠ البقرة).

وهنا يدخل ابن عربي دخولاً جريئاً كمن يملك ناصية العلم ليشرح ويحقق المعاني والدلالات، فيضع لليقين أركاناً (أربعة) بينما الكل يتحدث عن ثلاثة أركان فقط. فالأركان الأربعة روحانية وهي: العلم، والعين، والحق، والحقيقة.

ثم يضيف إلى هذه الأركان الأربعة، أربعة أركان أخرى لفظية يسميها الجسمانية.

فيجعل لليقين نشأتين:

• النشأة الروحانية في علم المعاني وهي الأركان الأربعة التي تحدثنا عنها.

• النشأة الجسمانية في علم الألفاظ، وهي الأركان الأربعة الأخرى وهي: الياء، والقاف، والياء، والنون.

واكتمال النشأتين يعطي ثمانية أركان وهي الحاملة للعرش.

مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (١٧ الحاقة).

ويفيض في هذه المسألة تحليلاً وعمقاً. ثم يفرق تفريقاً لم يرد عند أحد من قبل. فانظر إليه يفرق بين القطع بأمر، واليقين بأمر. فأنت حين تقطع بأمر ليس من الضروري أن يكون هذا القطع يقيناً، فيقول ذلك مفرقاً أيضاً بين:

- عين القطع، وعين اليقين.

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٤٧، ٩٠.

- وعلم القطع، وعلم اليقين.

- وحق اليقين.

- وحقيقة اليقين.

فيقول: عينك إذا لم تغلط فهي عين اليقين، وإذا غلظت فمن عين القطع. وكذلك: وعلمك إذا لم يغلط فمن علم اليقين، وإذا غلط فمن علم القطع.

أما حق اليقين: فهو أن ينطق عندما تميزت له صفات الفصل بين الهمم في الأمر الذي انبعث عنه وحكم المزاج لصاحب الهمة.

وحقيقة اليقين: هي أن ينظر في مقامه العلوي الذي منه نزل إلى أسفل سافلين، فإنه إلى ذلك ينتهي بعد التكليف، والاتحاق بالروحانيات العلا.

كما فرق ابن عربي تفریقاً هاماً بين العلم وبين اليقين ليوضح المشكل الذي وقع فيه كثير من الصوفية قبله اعتماداً على الشائع من المعنى اللغوي القريب.

يقول: العلم لا بد أن يستند إلى اليقين؛ لأن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته. فلا يزال يطلب الزيادة من العلم، ولا يزال يتعلم اليقين لارتباطه به.

ولا ينسى ابن عربي أن يطوف بفكرة اليقين عند الأنبياء والأولياء والمؤمنين. وعلاقة ذلك بالمنزلة للولاية والنبوة وخاصة نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك موقفه من قول الكثيرين عن يقين سيدنا (عيسى ابن مريم) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. فيعرض لأمر هام وضروري رآه عدد كبير من الناس ضد ابن عربي، وربما كان ابن عربي هنا أكثر وضوحاً عن أي نقطة أخرى.

حول ما جاء في الأثر عن نبي الله عيسى: (لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء). وانظر قول ابن عربي حول المنازل والمراتب للتابع والمتبوع.

وحول نشأة اليقين وأركانه الثمانية. أربعة من جهة المعنى، وأربعة من جهة اللفظ.

وقد أرفقت ملاحق ونصوص ابن عربي حول مقام اليقين ليستضيء بها القارئ ويتوثقها الباحث، في الإشارات بين ما أضافه في كتابه، وبين ما أشار إليه في هذه الملاحق وهي الأبواب (١٢٢)، (١٢٣)، (٢٦٩) من كتابه الكبير الفتحاح المكية معتمداً على طبعين.. طبعة الهيئة العامة للكتاب (١٥) مجلداً وطبعة دار صادر بيروت (٤) مجلدات.

أرجو أن أكون قد قدمت الإشارات الكافية للدخول في عالم ابن عربي من خلال كتابه اليقين.

المحقق

منهج التحقيق

بعد نسخ هذا الكتاب من نسخة أصلية، وضبط نصّه، قابلت على نسختين أخريين من مكتبة الإسكندرية مجموعة الأميرة فائزة، ودهشت لما بالنسختين من مشكلات ونقص وتحريف، وفيما يبدو أن النسختين نقلتا من نسخة واحدة هي أيضاً أكثر منهما نقصاً. فقد واجهت نقصاً في النسختين - رغم قلة عدد صفحاتهما - كثير كثير. ووصلت إشارات المقابلة في الصفحة الواحدة إلى أكثر من خمس عشرة إشارة، وهذا كثير من نسخة بهذه الصفحات، ولكي أتأكد من صحة النسخة التي اعتمدتها أصلاً راجعتها على أبواب بكتاب الفتحاح المكية وهي الأبواب (١٢٢، ١٢٣، ٢٦٩) وهي الأبواب التي تحدث فيها عن مقام اليقين، واجتهدت أيما اجتهاد في أن أجعل نص هذا الكتاب كما أراد له مؤلفه على الحقيقة، أو قريب منه إلى حد كبير.

وبعد أن انتهيت من عمل المقابلة قمت بتخريج الآيات من مصحف الحرمين ذاكراً الآية، ونصها، ورقمها ومكية أم مدنية. ثم خزّجت ما وجدت من الأحاديث النبوية، وتوقفت عند ما لم أقف عليه، فلم أخرج. وألحقت فهرساً بكل هذا. ثم قمت بعمل دراسة عن مفهوم اليقين في اللغة وفي القرآن الكريم، وكذا عند الصوفية ثم عقبته برأي ابن عربي ومفهوم اليقين عنده.

وتحدثت عن نسخ الكتاب الثلاث وأوضحت للقارئ أهميتها ومشكلاتها، ثم أرفقت صوراً لبعض هذه الصفحات من النسخ الثلاث توثيقاً لما أقول.

وبعد أرجو أن أكون قد وقفت في تقديم هذا الكتاب الهام إلى القارئ بعد تحقيقه، واللّه يتقبل خالص هذا العمل في صالح عملي يوم يقوم الأشهاد.
والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

المحقق سعيد عبد الفتاح
الجيزة في ديسمبر ١٩٩٣

النسخ الخطية لكتاب اليقين

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية. منها نسختان غير مشهورتين بالفهارس أو بقوائم المخطوطات إلا مؤخراً على يد الصديق د/يوسف زيدان، والأستاذ/كرم أمين، اكتشافها أثناء فهرسة مكتبة جامعة الإسكندرية. وقد قدما لي هاتين النسختين فلهما مني الشكر والعرفان.

والنسختان من مجموعة الأميرة فائزة تحت رقم (٣٧، ٥٤) وسأحدث عنهما بعد حديثي عن النسخة الأولى التي اعتبرتها أصلاً لي في هذا الكتاب.

النسخة الأولى:

هي أصح النسخ الثلاث، وأقدمها، وأتمها، وأهمها جميعاً لقربها، ولكونها نسخت من أصل نسخة هامة وقوبلت بأصل نسخة سنة ٦٢١ هـ وهي النسخة التي كتبت بجامع دمشق وقرئت على المؤلف (ابن عربي) في حياته وكان وقتها معتكفاً بجامع دمشق وعليها خطه، رحمه الله. كما أشار الناسخ إلى ذلك نهاية النسخة.

وكانت هذه النسخة ضمن مجموع لابن عربي بمكتبة «ولي الدين» بالآستانة بتركيا تحت رقم ١٨٢٦ الورقات من (٦٥ - ٧٠) وهي مقاس ٢٠ × ١٦ سم.

واعتمدت على صورة ورقية لها من معهد المخطوطات العربية تحت رقم (٤٣٧ تصوف) الجزء الأول ص ١٨٦.

ولأن هذه النسخة ضمن مجموع فقد كانت بين كتابين آخرين لابن عربي:
الأول كتاب القطب والإمامين المدلجين، وهو الكتاب السابق لكتابنا اليقين. والآخر كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام.

وغلاف كتاب اليقين يشترك في نهاية صفحة كتاب القطب والإمامين بنفس الصفحة.
وبعد كتاب اليقين كان كتاب الإعلام... ويشترك وحده كعنوان في صفحة مستقلة. ونهاية كتاب اليقين في صفحة أخرى (أ).

• كتب على هذا الغلاف: (كتاب اليقين الموضوع في مسجد اليقين).

أما الصفحة الأولى فتبدأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» (رب يسر برحمتك، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً).

قال سيدنا وشيخنا وإمامنا العالم المقرئ المحدث شيخ دهره وفريد عصره، شيخ الطريق، وإمام التحقيق محيي الدين بن عربي محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي نفعنا الله به: وهذا خاص بهذه النسخة.

ثم يذكر مقدمة المؤلف: «الحمد لله الذي أرى إبراهيم... إلخ».

ولهذه النسخة علامات أخرى خاصة بها مثل:

طريقة النسخ، والوقفات، وكلمات بنظ أكبر من غيرها توضح للقارئ أهمية التقسيم والوقف وأوائل الجمل... إلخ.

أو العنوان الجانبي أو غير ذلك.

• النسخ كتبت بخط تعليق واضح.

• ٢١ سطرًا في الصفحة الواحدة.

• الصفحة بها من (١٥ - ١٧) كلمة.

• مسجل بنهايتها المقابلة المؤرخة سنة ٦٢١هـ.

• عدد ورقات النسخة ٧ ورقات.

• الورقة صفحتان.

• ليس بها ترقيع أو تلوين أو كشط أو خلاف ذلك.

اعتبرت هذه النسخة أصلاً، ولذا لم أرمز لها بأي رمز سوى أنني أقول نسخة الأصل فقط.

النسخة الثانية:

اعتمدت على نسخة صورة ورقية لها. وهي من مجموع الأميرة فائزة تحت رقم (٥٤) المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية كما أشرت سلفاً.

ترقم بصفحات اعتباراً من رقم ١، ٢، ٣... إلى رقم (١٩) مما يدل على أنها أول المجموع الخاص بكتب ابن عربي.

ليس لها غلاف خاص وإنما كتب أعلى الصفحة الأولى:

(كتاب اليقين للشيخ محيي الدين بن العربي قُدس سره).

• ليس على هذه النسخة تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ، ولا أي بيان يعبر عن ذلك. ونحن نرجح أنها نسخت بعد القرن العاشر لطبيعة النسخ والخط والتقيط.

- النسخة عليها استدراقات من الناسخ وليس مقابلة.
- ومع أن هذه النسخ كتبت بخط رقعة واضح إلا أن مشاكلها عديدة، فهي مليئة بالنقص والتحريف والتصحيح، ويبدو لي أنها اعتمدت على نسخة بعيدة عن النسخ الأصلية أو المعروفة لما سجلت لها من مشكلات. (راجع الهامش).
- عدد صفحاتها ١٩ صفحة فقط.
- يليها غلاف كتاب التجليات ص ٢٠ للمؤلف أيضاً.
- عدد الأسطر بالصفحة الواحدة (١٧ سطرًا).
- عدد الكلمات (٩ - ١١) كلمة بالسطر.
- خالية من المقدمة. لكن بها مقدمة المؤلف.
- ليس بخطها أية إشارات أو عناوين جانبية أو تقسيم.
- اعتبرت هذه النسخة فرعاً وأشرت لها بالرمز (ب).
- انظر الهامش وصفحات من المخطوط.

النسخة الثالثة:

- نسخة بين النسخين الأصل، و(ب).
- فهي في الجزء الأول - نصفها تقريباً - تملك كل مشكلات النسخة (ب) مما أوحى لي أن النسختين نقلتا من أصل واحد.
- وهذه النسخة أيضاً ضمن مجموعة الأميرة فائزة تحت رقم ٣٧ المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية.
- ليس لهذا الكتاب في هذا المجموع عنوان بغلاف مستقل، وإنما اكتفى الناسخ بوضع عنوان غريب على الصفحة الأولى، ويبدو أنه بخط مخالف لخط الناسخ، وربما وضعه أحد غيره.
- العنوان هو: (هذا كتاب اليقينية)
- وهو يقصد طبعاً (كتاب اليقين) فلم يكن لابن عربي كتاب بالعنوان الذي قاله.
- الكتاب يقع في ١١ صفحة من ص ٤٦ إلى ص ٦٧.
- الخط رقعة جميل، لكن يحتوي على نفس مشكلات النسخة (ب) تماماً طوال النصف الأول من الكتاب.
- ١٣ سطرًا بالصفحة الواحدة.
- عدد الكلمات من (١١ - ١٤) كلمة بالصفحة.
- ليس بالكتاب أية إشارة إلى فصل أو عنوان جانبي إلا بنهاية الكتاب فقط (فصل) مرة واحدة.
- لم يوضح عليه اسم الناسخ ولا زمن النسخ ولا أية إشارة إلى ذلك.

• نرجح أن يكون الكتاب قد نسخ بعد القرن العاشر، أو ربما نسخ في القرن الحادي عشر لطبيعة الخط والتقيط وغير ذلك.

• ليس على النسخ أي مقابلة ولا استدراقات إلا استدراكاً واحداً بأحد الأسطر الداخلية وبخط رفيع جداً.

• اعتبرت هذه النسخة أيضاً فرعاً وأشرت إليها بالرمز (ج) تمييزاً عن الأصل، والنسخة (ب). وعلمت أن هناك نسخاً أخرى لكتاب اليقين.. واحدة بالمكتبة الأزهرية، وأخرى بدار الكتب الظاهرية بدمشق. ومع هذا اعتبرت اعتماداً على ثلاث نسخ مخطوطة من قبيل العمل العلمي لما في ذلك من تأكيد على روح البحث والتدقيق في مقابلة النسخ وخاصة نسخ الأصل التي اعتمدها أصلاً لنا لقربها من المؤلف ومقابلتها على نسخة قوبلت وسمعت وخط بها المؤلف بخط يده. مما يؤكد لنا الثقة في اكتمال النص الذي بين أيدينا.

أرجو أن أكون قد وفقت.

نص كتاب اليقين

التكاليف في بر في حيا لا تنكس من اسفل لا اعلى وانك الانسان لا يزال في الدنيا في حيا
 الذي يوت عليه وهو مقامه الذي يزيهه ولذلك قال واليه ترجعون وارجع الى
 من يخرج منه في ذلك المقام يتملق عقبة البقية وقد ضايقنا الوقت وعدم الورق
 فاحضناه ههنا ولله درب العالمين فصل كان سبب انشاء هذا الكتاب
 ان اردت للطلب على العلم شرحت من عندنا قاصدا زيار لوط عليه السلام واصاحبي الشيخ
 العارف العوفي صابن الدين ابو العباس اهدى ابراهيم بن محمد السكيني عن طريق المرى و
 عفيف الدين ابو مولى عبد السكيني محمد بن حفاظ القيسي فمرنا في طريقنا بمجدد البقية
 موضع ابراهيم عليه السلام فاقام له بناطرا وان اضع جنتا في البقية في هذا المسجد المعروف بالبقية
 واستقر عليه تعلق وقتت في هذه الحالة بالموضع المذكور في يوم الزيار وذلك يوم
 ربيعا الرابع عشر من شوال سننا ثمان وثمان مائة واسمعت صاحبي يقول ان صاحبنا
 الظاهر في ذلك اليوم وانصرفنا الى لوط عليه السلام فعنا الله واهلها وجميع المسلمين بالعلم المنين
 بعزته فصل وكان سبب الذي سمي هذا الموضع بالبقية ان الغلب ابراهيم عليه السلام
 كانت للملك المنين بشيرة باحس قد تركت بذلك الموضع واخذت بها كتاب لوط الملك
 قومه واسرود بلزوم ذلك الموضع حتى باقى ليه لوط عليها السلام فلم يزل بذلك الموضع
 حتى انقضى من قوم لوط في الهوام وسمع فيجبهم وهو قوله تعالى فبعثنا على الجبال
 ساقلها فعندنا ابراهيم ذلك مجدده وهذا الموضع وانزيروك في القف وقال اهد
 ارحم الراحمين فسمى مجددا انه موضع مجوده وسمى البقية لقوله هذا هو البقية
 في موضع مجوده انشاء هذا الكتاب ولهذا سميته ايضا كتاب البقية الذي انانته
 بمجدد البقية وراينا ان تكلم في هذا الاوراف على فتقم البقية وغيره من المقامات
 المناسبة التي اعطاها الموضع والعلاء على محمد وعلى الرسل نسليها كتب
 كتاب الكتاب بعد الله تعالى

سلام

قام الله في كل يوم

تصلبه

هو

في اول الامر الكون لا يورس
 زينة منضورة الزينة في الرضوان
 الرنة اهلها عز وجل في ما يودون
 طرفة عينه ما كان على البروق
 من زينة زينة زينة زينة
 في اول الامر الكون لا يورس
 زينة منضورة الزينة في الرضوان
 الرنة اهلها عز وجل في ما يودون
 طرفة عينه ما كان على البروق

كتاب اليقين للشيخ محي الدين العربي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

المحمد لله الذي آرد ابراهيم ملكوت والسحوت والأرض

ليكون من المؤمنين ومرئيه محمد صلى الله عليه وسلم

بعبارة ربه حتى ياتيه اليقين وجعل اليقين علما وعينا وفقا

وكم ذلك لغيره من المقامات المقربين فقال عز من قائل

وانه لمن اليقين في موضع لترونها عين اليقين وفي موضع

آخر لو تعلمون علم اليقين وصلوا الله على من اعطى منه

وافرحط والمكان فيه اشد تمكين وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما فان اليقين مقام شريف بين العلم والطبائفة

وربما اشتق اليقين من يقين الماء في الحفرة اذا استقر في اليقين

استقر الايمان في القلب ومنه اشتق اليقين وهو العود

الذي بدنه السفينه وكذلك اليقين اذا فقد من محل

المؤمن وانتفى عنه انتفى الايمان والنعلم وعقبة الشك

والشك شرك محض وتعطيل لما قال لابراهيم ما قيل حيث

قيل اولم تؤمن قال بلى ولكن يطمئن قلبي قال صلى الله عليه

وسلم نحن اولى بالشك من ابراهيم عبيد الادم فاثبت عليه

الصلاة والسلام له اليقين معلوم ان اليقين كان عنده

والطباينة

في هذا المسجد المعروف باليقين واستخوت الله تعالى .
وقيدت هذا الجزء بالموضع المذكور في يوم الزبارة في يوم
الأربعاء الرابع عشر من شول سنة اثنين وستمائه
واسمعه صاحبى بقرأتى وصلينا الطهر في تلك اليوم
والصوفنا الى لوط عليه السلام نفعا الله لولياها .
« بالعلم وجميع المسلمين، وبين وبغزته وكان السبب الذى لأجله
سمى بهذا الموضع مسجد اليقين ان الحليل ابراهيم عليه
كانت الملائكة التى بشرته باسحاق عليه السلام قد تركته
بذلك الموضع واجزته اذها تبسرا الى لوط عليه السلام
فلم يزل بذلك الموضع حتى ابصر مدائن لوط بالهوى .
وسمع نبيهم وهو قوله تعالى فحلنا عاليها سافلها فعند
ما ابصر ذلك مسجد في ذلك واثر بركوعه في القفر قال
اشهد ان الله الحق اليقين وموضع انشأت هذا الكتاب ولهذا
سميناه لهذه الاسباب ورائنا ان نكلم فيه على اليقين دون
غيره من المقامات للناسبه التى اعطانا الموضع والحمد لله وحده
وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلم اجمعين
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين تمت

هذا الكتاب اليقيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من المرقيين
 ورسولته محمداً صلى الله عليه وسلم بعبارة ربه حتى ياتيه اليقين و
 جعل لليقين حقاً دائماً وعبداً ولم يجعل ذلك لغيره من مقامات لمغير
 فقال عز من قائل وانه لو ايقن وفي موضع اخر لترزها عن اليقين
 وفي موضع اخر كذا لرنعلمون عالم اليقين وصلى الله على العطي منه اخر
 حظي والممكن فيه اشد تمكن وعلى اله وسلم كبراً ارباعه فان اليقين
 مقام شريف بن العالم والطمانينة وربما اشتق اليقين من يقين الما
 اذا استقرت فاليقين استقرار اليمان في القلب ومنه اشتق اليقين
 وهو العود الذي تدبر به السفينة وكذلك اليقين اذا فقد من محل
 المؤمن وانقضى عنه اتقى اليمان والعالم وعقبه السك والشك
 شرك مجبض او تطبل دلته الما قبل في ابراهيم عليه السلام فيقال

مدان لوليد في الهوى وصور صحابهم وهو قوله تعالى فجعنا عالمنا سفاهة ففقد
ما ابره ذلك سجد لله في هذه الموضع واثر بروكه في القصر وقال اشهد ان
هذا هو الحجر البقير فسمى سجدا لانه موضع سجدة تلك البقير لعزله هذا هو
الحجر البقير وفي موضع سجدة انشأت هذا اللباب ولله استجابة بهذه
الاسمية ورايا ان تكلم فيه على البقير دون غيره من المعاني المناسبة
التي اعلمها الموضع والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد فانه النبي ولا حول ولا قوة

الا بالله العلي العظيم

تم

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر برحمتك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

مقدمة المؤلف

قال سيدنا وشيخنا وإمامنا الشيخ الإمام العالم المقرئ المحدث شيخ دهره وفريد عصره شيخ الطريق وإمام التحقيق محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائي نفعا الله به^(١).

الحمد لله الذي أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، وأمر نبيه محمداً (ص) بعبادته^(٢) حتى يأتيه اليقين، وجعل اليقين حقاً وعيناً وعلماً^(٣)، ولم يجعل ذلك^(٤) لغيره من مقامات المقرين، فقال عزّ من قائل: ﴿وإنه لحق اليقين﴾^(٥).

وفي موضع آخر: ﴿لترونها عين اليقين﴾^(٦).

وفي موضع آخر: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾^(٧).

وصلى الله على المعطى^(٨) منه أوفر^(٩) حظ، والممكن فيه أشد تمكين وعلى آله وسلم كثيراً^(١٠).

(١) هذه المقدمة كاملة سقطت من النسخة (ب)، (ج).

(٢) في النسخة (ب): (بعبادة ربه) وكذلك النسخة (ج).

(٣) الترتيب مختلف في (ب): (علماً وحقاً وعيناً) وكذا النسخة (ج).

(٤) في (ب): (ذلك) هكذا وهي مكررة في النسخة (ب) جميعها وسأكتفي بهذه الإشارة.

(٥) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية ٥١، مكة.

(٦) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية ٧، مكة ﴿لم ترونها عين اليقين﴾.

(٧) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية ٥، مكة.

(٨) في النسخة (ب): (على من أعطى).

(٩) في النسخة (ب): (وافر).

(١٠) في النسخة (ب): (تسليماً).

أمّا بعد^(١)

فإن اليقين مقام شريف بين العلم والطمأنينة. وهو مشتق من يقن الماء^(٢) في الحفرة إذا استقر فيها، وقد يكون أيضاً مشتق من يقن وهو العود^(٣) الذي في [يد]^(٤) الرجل يمسه مدبر السفينة^(٥).

وكذلك اليقين^(٦) (عبارة عن استقرار العلم في القلب بحيث لا يزول، ومهما)^(٧) فقد من محل المؤمن وانتفى عنه انتفى الإيمان والعلم وأعقبه الشك. والشك نوع من الشرك^(٨) أو تعطيل. ولهذا لما قيل في إبراهيم^(٩)، (عليه السلام)^(١٠)، ما قيل حتى^(١١) قيل له: ﴿أولم تؤمن﴾^(١٢).

قال محمد، عليه الصلاة والسلام^(١٣): (نحن أولى بالشك من إبراهيم)^(١٤).

فأثبت له اليقين. فمعلوم^(١٥) أن اليقين كان عنده، والطمأنينة كانت المطلوبة التي يعطيها اليقين^(١٦) ولذلك قال: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾^(١٧).

(١) سقطت من النسخة (ب).

(٢) في النسخة (ب) و(ج): (وربما اشتق اليقين من يقن الماء).

(٣) في النسخة (ب): (إذا استقر في اليقين استقرار الإيمان في القلب، ومنها اشتق اليقين وهو العود).

هذه الفقرة بدلاً من الفقرة التي بين القوسين. وفي (ج) كذلك بتخفيف.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ولزمه السياق.

(٥) في النسخة (ب): الذي يديره السفينة، وفي (ج): (تدبر به).

(٦) في النسخة (ب): إذا فقد من..... إلخ وفي (ج): كذلك.

(٧) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) وكذلك (ج).

(٨) في النسخة (ب): (والشك شرك محض) و(ج) كذلك.

(٩) في النسخة (ب): (قال لإبراهيم).

(١٠) ساقطة من (ب).

(١١) في النسخة (ب): (حيث).

(١٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٦٠، مدينة.

في النسخة (ب): تكلمة الآية ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ زائدة.

(١٣) في النسخة (ب): ألفاظ البناء تختلف كثيراً عنها في الأصل، وأحياناً توجد في (ب) دون الأصل. ولذا سألني على ألفاظ البناء في الأصل. ولن أشير إلى ما في النسخة (ب) حتى لا أثقل الهامش أكثر من اللازم وسأكتفي بهذه الإشارة: محمد (صلى الله عليه وسلم). إبراهيم (عليه السلام).

(١٤) حديث: (نحن أولى بالشك من إبراهيم). رواه أحمد في مسنده «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ج ٢ - ص ٣٢٦ والبخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٦٣.

(١٥) في النسخة (ب): (ومعلوم)، وكذا (ج).

(١٦) في النسخة (ب): (العين)، وفي (ج): (التي تعطى العين).

(١٧) الآية السابقة مباشرة وهذه تكلمتها: ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

والسكون أمرٌ آخر زائد^(١) على اليقين (فجاز أن يطلب. وسنذكر أن الحق إذا كان هو نفس اليقين، يكن أيضاً)^(٢)، نفس العلم. فكيف يضاف الشيء إلى نفسه في قوله: ﴿وإنه لحق اليقين﴾^(٣).

(وعلم اليقين، وعين اليقين)^(٤).

وأما عين اليقين فيمكن أن يتصور فيه الإضافة. هذا على مذهب أهل العبادات^(٥).

وأما على طريق^(٦) التحقيق فالواوان مثلاً. أو الحرفان المتماثلان المشتركان في الصورة ما جاء المعنى واحد أصلاً وأنهما^(٧) خلافاً من حيث مدلولهما فتصح الإضافة. وما قال بإضافة الشيء إلى نفسه إلا من لا معرفة له بالحقائق ولا بالتوسع الإلهي. فإن الله تعالى لا يكرر شيئاً واحداً^(٨) مرتين بمعنى واحد، (وإذا لم يكن كذلك، فما ثم شيء)^(٩) يضاف إلى نفسه رأساً.

فنقول^(١٠): إن اليقين لما اعتنى الله به دون غيره من المقامات أكمل نشأته فسوى^(١١) ذاته أولاً. وهو حين أرسله مطلقاً مثل قوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً﴾^(١٢).

وقوله: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾^(١٣).

ثم جعل له علماً وعيناً وحقاً، وأخفى^(١٤) حقيقة.

فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لكل حق حقيقته...) ^(١٥).

(١) في الأصل: (والسكون أمرأ، آخرأ، زائداً).

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب)، ومن (ج) سقط (يكن أيضاً).

(٣) الآية الأولى هي كما قلنا (٥١) من سورة الحاقة. أما الآيتان (٧٠، ٥) من سورة التكاثر فهما: الآية (٥) ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾. (٧) ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾.

(٤) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

(٥) في النسخة (ب): (أصحاب العبادات) وكذا النسخة (ج).

(٦) في النسخة (ب): (وأما طريق) وكذا النسخة (ج).

(٧) في النسخة (ب): (وأمهما).

(٨) سقط من النسخة (ب)، وفي (ج): (لا يكرر شيئاً مرتين لمعنى واحد).

(٩) في النسخة (ب): (وإذا لم يكن ثم يكرر شيء)، وفي (ج) (وإذا لم يكن ثم تكرر فما ثم شيء).

(١٠) في (ب): (ثم نقول).

(١١) في الأصل (وسوى).

(١٢) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ١٥٧، مدنية.

(١٣) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكية.

(١٤) في النسخة (ب): (وخفى).

(١٥) في النسخة (ب): (لكل حقيقة).

وقد ثبت حق اليقين. فلا بد لهذا الحق من حقيقة وهو حقيقة اليقين. فصار اليقين، على هذا، نشأة قائمة على أربعة أركان. (وهو: علم، وعين، وحق وحقيقة. فالحقيقة مثبتة والثلاثة الأركان)^(١) كتابية فساوى جميع النشآت^(٢) من جهة الترتيب. فإذا تحققت هذا فلتعلم^(٣) أن اليقين هو: اسم^(٤)، ويكون منه فعل فيظهر في حضرة الأفعال على مراتبها. وليس يمكن^(٥) أن يوصف به موجد بخلاف العلم. وهذا مما يدل على أن لليقين نشأة^(٦) قائمة توصف بالعالم^(٧) كزيد وعمرو (وغير ذلك)^(٨).

ومعلوم أنه ليس بصفة نقص فينا بل هو كمال، ولكن للحوقه بالنشأة لم يتصف به القديم، واتصف بالعلم، والعين، والحق، وغير ذلك.

(وفلكه واسع. فكان في حركته ببطء، لاتساع فلكه)^(٩) ولعلوه، وارتفاعه، فلا يظهر له في عالم التركيب ذلك الأثر القوي^(١٠) إلا عند القليل من المتروحين من البشر، وذلك لعلو همتهم^(١١) فإنها جازت عليه في فلكه وقربت منه فحصل^(١٢) آثاره فيها. ولذلك قلل فقال تعالى^(١٣): ﴿لِقَوْمٍ يوقنون﴾^(١٤).

فجعلهم قوماً. وانظر بعين بصيرتك إلى العقل فتجد براهينه واعتماداته في اقتناء^(١٥) علومه التي تقطع بها مَبْنِيَّةٌ على ما نأخذ من الحس على مراتب الحقائق^(١٦).

(١) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٢) في النسخة (ب): (النشأة)، وكذا في (ج).

(٣) في الأصل: (فتعلم).

(٤) في النسخة (ب): (هو الله).

(٥) في النسخة (ب): (ولا ليتمكن).

(٦) في النسخة (ب): (نشأة).

(٧) في النسخة (ب): (بوصف العلم).

(٨) سقطت من النسخة (ب).

(٩) في النسخة (ب): (ولما كان فلك اليقين واسعاً في حركته نطفة لاتساع) وكذلك النسخة (ج).

هكذا الصياغة كما أثبتتها النسخة (ب) وواضح أنه اختلاف في السماع، وأنها رواية أخرى غير التي اعتمد عليها هذا الأصل. فما يلاحظه القارئ هنا ليس نسخاً فقط.

(١٠) في النسخة (ب): (أثر ظاهر) وفي (ج): (الأثر الظاهر).

(١١) في النسخة (ج): (العلو همهم).

(١٢) في النسخة (ب): (فحصلت) وكذلك (ج).

(١٣) (ولذلك قال تعالى): في النسختين (ب)، (ج).

(١٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٨، مدنية.

(١٥) في النسخة (ب): (فإنك تجد براهنه واعتماداته في إفشاء).

(١٦) في النسختين (ب)، (ج): (الحس) وغير واضحة بالأصل ولكنها تبدو هكذا.

وانظر ما في الحس من الغلطات بحيث ربما إن تتبعتها لم تثق بما تراه. ولا سيما إن كنت من أهل الكشف واليقين، فتبصر نطق الجمادات، والعقل يقضي فيها بعدم النطق والحياة لأنه ما أبصر^(١) حكمها حكم الحيوان فحكم بشاهد^(٢) الحس. ونحن نعلم قطعاً أن الحاكم^(٣) هنا غالط بلا شك.

وإن كنا نحن^(٤) لا نقول بأن الحس يغلط^(٥)، وإنما جربنا في هذه النسبة إليه لما تووطينا^(٦) عليه.

وقد نبتت الشريعة على كثير من هذا. من سلام الحجر^(٧)، وكلام كتف الشاة^(٨)، وتسيح الحصى^(٩) وغير ذلك.

فإذا كان الممد للعقل بهذا^(١٠) القصور العظيم^(١١) والغلط البين الفاحش، فالعقل أبعد وأبعد^(١٢) وأشد قصوراً، وأعظم عجزاً، وأقل علماً. وهو^(١٣) يتخيل أنه في اليقين وليس كذلك. وإنما هو يقطع^(١٤) بما عنده.

ويقول: إن هذا هو الحق اليقين، والعلم الذي لا يمكن غيره.

وربما يبقى زماناً طويلاً يعتقد في الشيء أنه على كذا، ثم^(١٥) يتبين بعد بعلامة أخرى لم

(١) في النسخة (ب): (أبصر).

(٢) في النسخة (ب): (ليشاهدوا).

(٣) في النسخة (ب): (الحس) وهي: تجوز. لأنه يعتبر الحس حاكماً. واعتبره شاهداً أيضاً. فكلاهما صحيح.

(٤) في النسخة (ب): (نعلم).

(٥) يخالفه الإمام أبو حامد الغزالي في هذه القضية حيث يلقي اللوم على الحواس من أنها تفلط ولا تعطي الحقيقة في بعض الأحوال. ثم ضرب مثلاً للنظر. قال: تنظر إلى القمر وهو بعيد فيبدو لنظرك صغيراً فإذا اقتربت منه اختلفت نظرتك، مما دفعه للشك في الحواس وقدراتها على إعطاء الحقيقة كاملة. انظر أبو حامد الغزالي في كتابه القيم: المنقذ من الضلال.

(٦) في الأصل وفي (ب): (توطينا) والصحيح ما أثبتناه لغياب الفاعل الحقيقي. وربما قصد: (لما توطينا عليه العلماء). وفي (ج): (لما لوه لي).

(٧) في النسخة (ب): (مثل: نطقاً سلام الحجر).

(٨) في النسخة (ب): (وكشف النشأة المسمومة).

(٩) كل هذه معجزات حدثت على يدي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).

(١٠) في النسخة (ب): (بهذه).

(١١) سقط من النسختين: (ب)، (ج).

(١٢) سقط من النسختين: (ب)، (ج).

(١٣) في النسخة (ب): (فهو) + (ج).

(١٤) في النسخة (ب): (وأيضاً هو في القطع)، و(ج): (إنما هو في القطع).

(١٥) سقطت من النسخة: (ب).

تكن عنده أن ذلك الأمر على خلاف ما كان يعتقد. وأن ذلك الذي كان يسميه: «يقين^(١) حقاً» كان غالباً فيه، وكان جهلاً محضاً. وأنى يستتب له^(٢) أيضاً القطع بهذا الآخر، ولعله مثل الأول. فإذا أنصف الناظر نفسه لم يبق بما عنده من مواد^(٣) عقله وحسّه ألبتة، ولنحول على علمه^(٤) على الوهب الإلهي والإمداد الرباني.

ولهذا قلنا: إن دائرة اليقين واسعة جداً، عالية، ثقيلة الحركة، خفيفة الأثر. لأن الشكوك هي الغالبة، والقطع على جهالة لا على يقين فيسمى^(٥) ذلك القطع يقيناً.

ومما يؤكد ما ذكرناه: أنا نعلم^(٦) قطعاً أن الأشعري^(٧) يعتقد في المعتزلي بخلق^(٨) الأفعال، وشبه ذلك^(٩)، أنه على باطل. ويقطع بعلم ذلك قطعاً.

والمعتزلي^(١٠) في الأشعري في تلك المسألة بعينها على النقيض. يقطع بأن الأشعري على غلط وجهل في ذلك قطعاً^(١١).

وكذلك في جميع المذاهب الشرعية^(١٢) بين الأئمة من التحليل والتحريم والنظرية. كل واحد من المخالفين يقطع بفساد مذهب صاحبه.

فأين اليقين على هذا؟ والحق لا يكون (في النظريات)^(١٣) إلا في طرف واحد. (لكن

(١) في النسخة (ب): (يسمعه يقيناً)، وفي (ج): (علماً يقيناً).

(٢) في النسخة (ب): (يثبت له القطع).

(٣) في النسخة (ب): (من موارد).

(٤) في النسخة (ب): (وبعول في علمه).

(٥) في النسخة (ج): (فسمى).

(٦) في النسخة (ب): (أن نعلم).

(٧) الأشعري: يقصد ابن عربي هنا من هو على المذهب الأشعري. وهم الأشاعرة: الفرقة المنسوبة إلى «أبي الحسن الأشعري».

وهي التي أصبح لها شأن كبير في الفكر الإسلامي. وهم الذين قالوا بخلق الأفعال وأن المؤثر فيه قدرة الرب لا قدرة

العبد. انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص ١.

(٨) التعديل من النسخة (ب) لأنها في الأصل: (في خلق).

(٩) في النسخة (ب): (وشبهها) وفي (ج) كذلك.

(١٠) المعتزلي: أي: المنسوب إلى فرقة المعتزلة. وهم: نسبة إلى الاعتزال من مجلس الإمام الحسن البصري على يد إمام

المعتزلة واصل بن عطاء، شيخ المعتزلة الأول، الذي اعتُبر من أكبر بلغاء العرب. ومذهبه أن الناس كانوا مختلفين في

عنده إلى طوائف متعددة لكنهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة فاسق وهي (المنزلة بين المنزلتين) كما قال واصل بن

عطاء. انظر الأصول العامة للفلسفة للمعتزلة. انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د/علي سامي النشار، ج١،

ص ٣٧٣.

(١١) (ذلك قطعاً): ساقطة من النسخة (ب) وفي (ج) سقط (في ذلك).

(١٢) في النسخة (ب): (ذالك المذاهب الشرعية).

(١٣) ما بين القوسين من (ب)، (ج).

أي طرف هو؟^(١) ومع أي مذهب هو؟ حتى نعتقده ونتيقنه^(٢).

فخرج من هذا كله، أن اليقين من جهة الحقيقة غير حاصل، وأن القطع حاصل عندهم فيسمونه^(٣) يقيناً، وليس كذلك، فلو كانت دائرة فلك اليقين قريبة منا سريعة الدور ضيقة الفلك^(٤) لكان الخلق أكثرهم على اليقين، وكانوا على سبيل الحق. لكن الأمر^(٥) بالعكس. وانظر في إشارة الشرع يقول تعالى لنبيه: ﴿وَإِنْ^(٦) تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٧).

وقل العاملين فقال^(٨): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾^(٩).

أين أنت من أصحاب اليقين، الذين هم أقل من العمال^(١٠)؟

بل نبه عليهم: بقوم. فهم أقل من القليل لما ذكرناه. وأعني بالقوم هنا السامعين الخطاب منه^(١١) في المجلس وأنه فوق الإيمان بلا شك. فأين الطمأنينة؟ فهي أبعد وأبعد^(١٢) وقول النبي في عيسى، (عليه السلام): (لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء)^(١٣).

فلم يكن عنده يقين يرفعه عن هذه الكرة كما رفع محمد (صلى الله عليه وسلم).

ونحن ما مشيناً^(١٤)، في الهواء^(١٥) العظيم^(١٦) بيقيننا، ولا أكبر من عيسى^(١٧)، عليه السلام، في اليقين. بل كان ذلك بحكم تبعية إمامنا محمد (صلى الله عليه وسلم)^(١٨) فلما

-
- (١) ما بين القوسين من (ب) وزيد بعد هذه الجملة جملة أخرى هي (فما يرجو من العلوم إلى النظر) وكذلك (ج).
 - (٢) في النسخة (ب): (ونستيقنه).
 - (٣) في النسخة (ب): (ويسمونه)، وكذلك (ج).
 - (٤) في النسخة (ب): (لكانت سريعة الأثر زائدة وكذا (ج)).
 - (٥) في النسخة (ب): (كما ترى) زائدة. وكذلك (ج).
 - (٦) في النسخة (ب): (ومن قطع.. الآية).
 - (٧) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١١٦، مكة.
 - (٨) في النسخة (ب) (وقال الصالحين)، وفي (ج): (وقل الصالحين فقال).
 - (٩) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٢٤، مكة.
 - (١٠) في النسخة (ب): (أقل من القليل عمال الصالحات) وفي (ج): (الذين هم أقل من عمال الصالحات).
 - (١١) في النسخة (ب): (عنه).
 - (١٢) أثبتنا هنا كلمة (فهو) من النسخة (ب) لفائدتها في السياق، وقد سقطت من الأصل ومن النسخة (ج).
 - (١٣) في الأصل وفي (ب): (الهوى)+(ج). الحديث ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء انظره في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٢٠٢.
 - (١٤) في النسخة (ب): (ونحن مشيناً).
 - (١٥) في سائر النسخ: (الهوى) وكل كلمة هواء هي كذلك.
 - (١٦) سقطت من النسخة (ب).
 - (١٧) في النسخة (ب): (ولا أنا أكبر من عيسى)، في (ج): (ولا أنا).
 - (١٨) في النسخة (ب): (في اليقين كالأمراء عند السلطان بل لما) زائدة.

مشى في الهواء مشينا، كما مشى أصحاب عيسى مع عيسى على الماء، بحكم التبعية الصحيحة، لا بحكم اليقين، كالأمراء عند الملك^(١) إذا جعل لهم في حضرته مراتب لا يتعدونها، ثم يرون أميراً قريب المرتبة من الملك^(٢)، وآخر أبعد منه، وآخر أبعد من ذلك الآخر. ولا يجزئ أحد من الأمراء يتعدى مرتبته إلى مرتبة غيره أصلاً.

ثم يدخل^(٣) الأمير القريب المرتبة إلى مرتبته فيدخلون معه مماليكه^(٤)، وتتأخر الأمراء عند الدخول لكون مرتبتهم دون ذلك. وكل أمير في مرتبته حيث^(٥) كانت مماليكه معه. ومعلوم أن مرتبة الأمراء أعظم من مرتبة^(٦) المماليك، (ورأينا مماليك)^(٧) صاحب المرتبة المقربة^(٨) قد دخلوا مع أميرهم إلى مرتبته، فعلمنا قطعاً أن ذلك ليس لشرف مملوك^(٩) هذا الأمير المقرب على هذا الأمير الذي هو دونه. وأن الأمير الذي^(١٠) هو دونه أشرف من مماليك^(١١) المقرب عند الملك^(١٢)؛ لأن مرتبة الإمارة^(١٣) فوق مرتبة المأمورين^(١٤) عليهم.

فتيقنا أن دخول المماليك في تلك المرتبة إنما هو من أجل سيدهم لا من حيث هم. فكذلك شرفنا الذي أعطانا الله^(١٥) وعلمنا، (وقوتنا، التي لم يعطها لنبي ليس ذلك لكوننا)^(١٦) أشرف من الأنبياء.

-
- (١) في النسخة (ب): (عند السلطان)، وكذلك النسخة (ج).
 - (٢) في النسخة (ب): (ثم إن نرى أمير قريبا المرتبة من السلطان) وكذلك النسخة (ج) ويبدو أنهما مشتركان في كل شيء.
 - (٣) في النسخة (ب): (فإذا دخل) وسقط باقي الجملة وكذا في (ج).
 - (٤) في النسخة (ب): (دخل معه مماليكه).
 - (٥) في النسخة (ب): (بحيث).
 - (٦) في النسخة (ب) (منزلة) وكذلك (ج).
 - (٧) ما بين القوسين سقط من (ب).
 - (٨) في النسخة (ب): (القرية) وفي (ج) كذلك.
 - (٩) في النسخة (ب): (مماليك) والنسخة (ج) كذلك.
 - (١٠) الزيادة من النسخة (ب).
 - (١١) في النسخة (ب): (المماليك).
 - (١٢) في النسخة (ب): (السلطان).
 - (١٣) في النسخة (ب): (الأمير).
 - (١٤) في الأصل: المؤثر وفضلنا ما في النسختين: (ب)، (ج).
 - (١٥) لفظ الجلالة سقط من النسخة (ب).
 - (١٦) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

لكن^(١) لما كان نبينا أشرف من غيره^(٢)، ونحن أتباعه^(٣) دخلنا معه مقاماته التي دخل^(٤) بحكم التبعية، وتأخر كل نبي عنه في مرتبته فتأخر عنا ضرورة. فيتخيل من لا معرفة له أنه^(٥) مشى في الهواء لقوة يقينه، وأنه أقوى^(٦) من عيسى، عليه السلام، وغيره. هيهات لما تخيل، بل النبي نبي، وأنت أنت، فالمتبوع يزاحم المتبوع والتابع يزاحم التابع، لا التابع يزاحم المتبوع.

إنما نحن من جهة التحقيق في مقابلة أمة ذلك النبي الذي تأخر عن نبينا، وذلك النبي في مقابلة نبينا^(٧) فيقابل^(٨) النبي بالنبي والصاحب بالصاحب والصديق بالصديق ولا تخلط بين الحقائق^(٩) فتكون من الجاهلين^(١٠).

فأرأينا في سياق^(١١) ما ذكرنا، أن^(١٢) باليقين مشى من مشى على الماء، وباليقين^(١٣) مشى من مشى في الهواء، وبه صعدت الروحانيات العلا إلى صريف الأقلام^(١٤) والمستوى إلى حيث لا أين فيدرك، أو يرى. ولم يكن فيه أحد من البشر^(١٥) أثبت من رسول الله^(١٦) (ص) ولكنه أخبر أنه يتعلم اليقين وقيل له: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(١٧).

(وإن كان هنا هو الموت)^(١٨) وسر ذلك أنه قيل له: ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(١٩).

(١) في النسخة (ب): (وإنه لما كان) وفي (ج) كذلك.

(٢) في النسخة (ب): (أشرف الأنبياء).

(٣) في النسخة (ب): (ونحن خدمه وحشمه) وفي (ج): (خدمه وأتباعه وحشمه).

(٤) في النسخة (ب): (مقامه الذي) وكذلك (ج).

(٥) في النسخة (ب): (إنما)، و(ج): أيضاً كذلك.

(٦) في النسخة (ب): (أقوى فيه)، وهي تعطي المعنيين. أي أقوى يقيناً، وأقوى في اليقين. وكذلك النسخة (ج).

(٧) هذه الجملة سقطت من النسخة (ب) واستدركت على الهامش لأنها بنفس الخط ونفس لون الحبر.

(٨) في النسخة (ب): (مقابل).

(٩) في النسخة (ب): (الحقائق).

(١٠) في الأصل (من الجاهل).

(١١) في النسخة (ب): (فرائنا في مسأ) وفي الأصل (مساق) وفي النسخة (ج): (مشاق).

(١٢) في النسخة (ب): (ما ذكرناه أنه).

(١٣) في النسخة (ب): (وبه) وكذلك النسخة (ج).

(١٤) في النسخة (ب): (صريف).

(١٥) سقطت من النسخة (ب) ومن النسخة (ج).

(١٦) في النسخة (ب): (من نبينا محمد).

(١٧) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكة.

(١٨) ما بين قوسين سقط من النسختين: (ب)، (ج).

(١٩) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤، مكة.

والعلم لا بد أن يستند إلى اليقين. لأن اليقين روح العلم، والطمأنينة حياته. فلا يزال^(١) يطلب الزيادة من العلم، ولا يزال^(٢) يتعلم اليقين لارتباطه به. وهكذا في كل دقيقة من دقائق التفصيل.

ولما كان اليقين بهذه المثابة انبغى^(٣) لكل عاقل ألا يسأل سواه في كل شيء^(٤). ثم نرجع ونقول: ولما قامت نشأته الروحانية في عالم المعاني على أربع: وهي العلم، والعين، والحق، والحقيقة.

كذلك قامت نشأته الجسمية في عالم الألفاظ والعبارات على أربعة أحرف:

- الياء الصحيحة.
- والقاف.
- والياء المعتلة، وهي ألف الميل الشمالي.
- والنون.

كما قامت من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة التي هي على أربعة^(٥) أخرى في العالم الكبير، وهي الأركان. وفي عالم الحيوان المرتان والدم والبلغم^(٦). وهذان مما يؤيد أنه نشأة قائمة^(٧) نشأة الإنسان. فلنرجع^(٨) إلى الإضافة ثم إلى هذه الثمانية التي ركب^(٩) منها روحانية اليقين وجسمانيته.

فنقول: أما الإضافة فصحيحة من جهة اللفظ (ومن جهة المعنى فأما من جهة اللفظ)^(١٠): فلفظة العين ما هي لفظة اليقين أصلاً، وهكذا الحق والعلم، فجازت الإضافة.

(١) في النسخة (ب): (فلم يزال).

(٢) في الأصل (ب): (فلا يزال) وكذا (ج).

(٣) في النسخة (ب): (المشابهة انبغى).

(٤) في النسخة (ب): (من مولاة سواه) والباقي سقط. أما في النسخة (ج) فتوقف عند: (أن لا يسأل سواه).

(٥) سقطت من النسخة (ب).

(٦) في النسخة (ب): (وهي المرتان: الدم والبلغم). وهي خطأ لأن المرتان اثنان، والدم والبلغم اثنان فيكون المجموع أربعة أركان.

(٧) في النسخة (ب): (وهذا يدل على أن نشأته) وفي (ج): (يؤديك).

(٨) في النسخة (ب): (فترجع).

(٩) في النسخة (ب): (تركب).

(١٠) ما بين قوسين سقط من النسخة (ب) و(ج).

وأما من جهة المعنى^(١): فنعلم قطعاً^(٢) أن الإنسان جسم متغذى حساس ناطق فقد اشترك بكل حقيقة (من هذه الأربع الذاتية مع جنس الأجناس. وأن كل حقيقة)^(٣) على انفرادها ليست هي عين الإنسان، وأن الإنسان عبارة عن مجموعها كذلك اليقين في روحانيته وجسمانيته. فإذا قلنا العين دخل فيه اليقين وغيره.

فنقول: عين اليقين، لئلا يتخيل السامع أنا نريد عين الشمس، أو عين الميزان، أو عين الذهب، وغير ذلك.

كما تقول جسم الإنسان لئلا يتخيل أنا نريد جسم الحجر أو جسم النبات أو غير ذلك.

وكذلك نقول: علم اليقين^(٤) في العلم لئلا يتخيل^(٥) علم النحو، وعلم الأدب، كما نقول نطق اللسان^(٦) لئلا يتخيل^(٧) أنا نريد نطق الملك أو نطق الكتاب. من قوله تعالى^(٨): ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^(٩).

وكذلك حق اليقين، لئلا يتخيل حق قدره، وحق تقاته، وحق تلاوته، وإذا قلنا حق ولا نضيفه إلى اليقين.

كما نقول: تغذى الإنسان لئلا يتخيل أنا نريد تغذى الشجر^(١٠) أو غيره. كذلك حقيقة اليقين لئلا يتخيل أنا نريد حقيقة أمر آخر كحقيقة الإيمان، وحقيقة الوجود، فجازت الإضافة قطعاً؛ لأن اليقين هو مجموع هذه الأشياء فجازت.

وكذلك في النشأة الجسمانية^(١١) نقول: ياء اليقين الصحيحة تحرزاً (من يائه المعتلة)^(١٢)، ومن ياء اليوم وغيره.

(١) في النسخة (ب): (وأما من جهة الإضافة).

(٢) في النسخة (ب): (فنعم قطعاً).

(٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب) وفي النسخة (ج): (فقد اشترك الأجناس وإن كل حقيقة).

(٤) في النسخة (ب): (على اليقين).

(٥) في النسخة (ب): (لئلا يتخيل السامع أنا نريد العلم نحو أو علم علم النجوم).

(٦) في النسخة (ب): (الإنسان).

(٧) في النسخة (ب): (يتخيل السامع).

(٨) في النسخة (ج): (هذا كتاب ينطق بالحق).

(٩) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية ٢٩، مكية.

(١٠) في النسخة (ب): (لأننا نقول تغذى الحيوان والنبات كذلك نقول حقيقة اليقين) زائدة.

(١١) في النسخة (ب): (الإنسان).

(١٢) (المطلقة) زائدة في النسخة (ب).

وكذلك^(١) (قاف اليقين)^(٢) تحزراً من القاف المطلقة^(٣)، ومن قاف الحق، والصدق، والقلم.

وكذلك ياء اليقين المعتلة تحزراً من ياء التمكين والتكوين وغير ذلك.
وكذلك نون^(٤) اليقين تحزراً من النون المطلقة ومن نون الآن^(٥)، والأنا.
فصحت الإضافة قطعاً، وكنا نناسب بين الأربعة البسائط^(٦) والمركبات التي هي جسمانية اليقين، لكن غرضنا^(٧) الإيجاز من أجل ضيق الوقت، فنتبع تجويز الإضافة^(٨)، التي أنكرت علينا وتكلم على الثمانية.
فاعلم:

أن اليقين بجملته ثمانية وهي التي ذكرناها.
فأشبهه العرش وأشبه ذات الإنسان. قال تعالى^(٩): ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾^(١٠).

وقال (عليه السلام)^(١١): (وهم اليوم أربعة).
وذلك لأن الأمر اليوم عندنا غيب إلا من كشف له، وقامت قيامته فإنه يرى الثمانية. فكذلك اليقين ما بأيدي الناس منه اليوم إلا مجرد ذاته الجسمانية ولا يعرفون سوى الياء، والقاف، والياء المعتلة والنون. ولهذا ما تجد أحداً إلا وهو يشك في المعدود. إما بعقده، وإما بحالة ضرورة. وأدناها مرتبة هذه الكسرة التي وقع القسم^(١٢) من الله عليها أنه ضامن^(١٣)، ولم يشترط في ذلك إيماناً، ولا كفوياً ومع هذا كله لم

(١) في النسخة (ب): (نقول) زائدة.

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخة (ج) واستدرك بخط رفيع فوق السطر.

(٣) سقطت من النسخة: (ب).

(٤) في النسخة (ب): (نور اليقين).

(٥) في النسخة (ب): (الأب).

(٦) في الأصل: (البساط).

(٧) في النسخة (ب): (لكن غرضنا الآن).

(٨) في النسخة (ج): (فلترجع بعد تحريرنا الإضافة).

(٩) في النسخة (ب): (قال الله تعالى).

(١٠) القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية ١٧، مكة.

(١١) في النسخة (ب): (ج): جاء بها هكذا دون أن يشير إلى قوله عليه السلام.

(١٢) في النسخة (ب): (الكسرة وقع القسم).

(١٣) في النسخة (ب): (بضمانها ولا بد أن يعطيها، ولم يشترط فيها إيماناً والكفر وكذا (ج)).

تتلج صدور^(١)، ولا حصل في النفس من اليقين وعلم ولا عين ولا حق ولا حقيقة. فأين أنت يا مسكين؟^(٢) فكذلك هم اليوم^(٣) جملة اليقين: أربعة أحرف الظاهرة في اللفظ والرقوم^(٤) ولا غير. فمن كشف الله عين^(٥) بصيرته وانحل قفله وحشر^(٦) من قبره عاين الثمانية على الكمال وهم قليلون جداً لم يصل إلى^(٧) ذلك إلا النادر صاحب الهمة النافذة، فانظر ما أعلى درجة (اليقين ولمن أشبهه. لمن هو أكمل الموجودات وهو الإنسان والعالم كله والمحيط بالعلم كله مستوى)^(٨) الرحمن^(٩) فتحقق ما ذكرناه، فإنك ستقف فيه على أسرار كثيرة والحمد لله.

فلنقدم الكلام على^(١٠) جسمانيته.

فإن التسوية قبل النفخ (وإن فطر السماء قبل وحي أمرها)^(١١) فيها الذي^(١٢) هو روحها، وإن خلق الأرض قبل تقدير أرواحها التي هي أقواتها وهكذا في كل شيء^(١٣) التسوية متقدمة^(١٤)، وروحها متولد عنها وعن التوجه عليها فهو مولد أبداً.

فنقول:

* إن الياء الصحيحة، التي في اليقين وهي الأولى في التركيب خصت بالفتحة وهي الرحمانية. ولهذا جاء التنبيه: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾^(١٥).

وكانت الياء. وهي باردة. لأن برد اليقين قد ورد في الخبر عن النبي (عليه السلام) ولها

(١) في النسخة (ب): (صدره).

(٢) في النسخة (ب): (من حصول اليقين) زائدة.

(٣) سقط من النسخة (ب).

(٤) في النسخة (ب): (هي الأربعة أحرف الظاهرة في عالم الألفاظ والرقم). وكذا في النسخة (ج).

(٥) في النسخة (ب): (عن عين بصيرته).

(٦) في (ب): (وانحشر).

(٧) سقطت من النسخة (ب).

(٨) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

(٩) (وهو العرش): زائدة في النسخة (ب).

(١٠) سقطت من النسخة (ب).

(١١) في النسخة (ب): (فطر السماء وحي أمرها).

(١٢) في الأصل (التي).

(١٣) سقطت من (ب).

(١٤) في النسخة (ب): (مقدمة).

(١٥) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٢، مكة.

أول^(١) العقد فلها الأحذية في انتشاء العقد وهي المرتبة الثانية من الأربع^(٢) التي اختص بها العدد وهي:

الآحاد، والعشرات، والمئون، والآلاف^(٣). فاشبهت الباء في كونها ثانية هنا. كما أن الباء في المرتبة الثانية من مراتب الوجود المطلق. ولما ظهر عن (الباء جميع الموجودات كذلك ظهر عن هذه)^(٤) الباء جميع حروف اليقين، وكانت لها البداية، كما كانت الباء. ولهذا أشبهتها^(٥) في كون نقطتها من أسفل. والنقطة الواحدة لشركتها مع الباء، والنقطة الثانية لتمييزها عن الباء بمقام العشرة لها^(٦) وليس ذلك للباء. فإن الحقائق لا تختلط^(٧) أصلاً عند المحققين. وحركت لأن^(٨) أصل الوجود الحركة. (فإن السكون عدم الحركة)^(٩) ولهذا لا يتصور النطق^(١٠) بساكن ويحتاج إلى همزة الوصل، وحرف متحرك^(١١). ثم لها هنا^(١٢) المرتبة الثانية من مراتب الطبائع لأن^(١٣) العشرة ثانية كما قلنا. لأن الحرارة^(١٤) في الطبيعة أولاً^(١٥) ثم البرودة فوقعت على^(١٦) تقسيم الحروف في مرتبة البرودة، وهو كما قلنا: لأن اليقين موصوف بالبرد وهو من صفات السعداء لأنه من الفرح والسرور^(١٧)، وقد جاء برد الأنامل فليكيف هذا القدر. (فإن الورق معدوم عندي في هذا الوقت)^(١٨).

* ومنتقل إلى القاف فنقول:

- (١) سقطت من النسخة (ب).
- (٢) في النسخة (ب): (من العقد الأربعة).
- (٣) في النسخة (ب): (والمئين، والألوف).
- (٤) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).
- (٥) في النسخة (ب): (أشبهت) وفي (ج) كذلك.
- (٦) في النسخة (ب): (بقامه العشرة التي لها).
- (٧) في النسخة (ب): (لا تختلف) وكذا في (ج).
- (٨) في النسخة (ب): (وتحركت لأنه).
- (٩) ما بين القوسين جاء في النسخة (ب): (فإن عدم محض)، (ج).
- (١٠) سقط من (ب).
- (١١) في النسخة (ب): (والى حرف متحرك).
- (١٢) في النسخة (ب): (ثم إن الهاء).
- (١٣) في النسخة (ب): (إن).
- (١٤) في النسخة (ب): (كما أن الحرارة).
- (١٥) في النسخة (ب): (أولى).
- (١٦) في النسخة (ب): (عند).
- (١٧) في النسخة (ب): (وهو من السعد الذين أعطوا الفرح والسرور).
- (١٨) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

وأما القاف: فهو حرف عجيب جمع بين دوائر التقدير برأسه وبين دوائر السعة بما بقي منه، ولكن ظهر منه في الوجود للعين ما ظهر من الفلك نصف الدائرة^(١)، ولما كان الفلك يدور فيظهر كله لهذا جاء شكل رأسه دائرة كاملة، لكنها دائرة ضيقة. فإن دائرة جبل قاف إنما هي على الأرض والأرض أول الأجزاء^(٢). فكانت دائرة رأس^(٣) القاف من ذلك الحساب^(٤) وظهر في سائر نصف الدائرة كما^(٥) يظهر في الأرض، نصف الدائرة من الفلك فقد ظهر في حقيقة هذه النشأة نشأة الأرض والفلك.

ثم أعطى الخفض^(٦) لشبهه بالسفل. وأعطى النقطة من فوق لشبهه بالعلو، فراعى أهل الشرق مناسبتة^(٧) مع الياء فنقطوه باثنين لأنهم^(٨) رأوا ياء قبله وياء بعده، وراعى أهل الغرب شبهه بالنون لنصف^(٩) دائرة الفلك فنقطوه واحدة مثل النون^(١٠) وهم أجل في الحكمة من الشرق^(١١)، ثم له المائة وهي المرتبة الثالثة^(١٢) من العقد والأول في المئين فلها حظ في الوجدانية مثل الياء. فبينه وبين الباء هذه المناسبة وجه^(١٣) وهو يابس من أجل الشبه الأرضي الذي فيه^(١٤) والتقديس لأن الرطب^(١٥) له سيلان في الوجود، واليابس له مقام العزة والمنع، ولهذا كان جبل قاف دون غيره من الحروف^(١٦) لأن الجبال أوتاد يابسة ثابتة عزيزة من كل وجه.

• وأما الياء^(١٧) المعتلة:

- (١) في النسخة (ب): (فلك وهو نصف الدائرة). وفي (ج): (وللعين ما ظهر من الفلك).
- (٢) في النسخة (ب): (أقل من الأجزاء) وفي (ج): (أقل الأجزاء).
- (٣) سقطت من النسخة (ب).
- (٤) في النسخة (ب): (الجنس) وكذلك في النسخة (ج).
- (٥) سقط حرف (كما) من النسخة (ب).
- (٦) في النسخة (ب): (الحفظ).
- (٧) في النسخة (ب): (فراءها المشرق مناسبة).
- (٨) في الأصل: (فإنهم)، وفي (ج): (لأنه).
- (٩) في النسخة (ب): (ورائها أهل المغرب لكونها أشبهت النور في نصف دائرة الفلك).
- (١٠) في النسخة (ب): (النور).
- (١١) في النسخة (ب): (المشرق).
- (١٢) في النسخة (ب): (ثم له المرتبة الثانية).
- (١٣) في النسخة (ب): (وجه) زائدة وأضيفت منها.
- (١٤) في النسخة (ب): (من أجل النسبة التي فيه).
- (١٥) سقطت هذه الجملة من (ب) وأضيفت مكانها (لا والرطوبة لها).
- (١٦) في (ب): (دون غيره من الجبال أوتاد فهي يابسة...).
- (١٧) في (ب): (وأما المعتلة).

وهي ألف الميل فقد بان^(١) من مراتبها في الياء الأولى ما يغني، وبقي أن نذكر ما تميزت به عن تلك الياء^(٢) فمنها: السكون، وبه أشبهت القاف، لأن الجبل والوتد وهو ساكن لأن أصل وضعه أن يسكن.

وهي باردة: فتعطي الجمود أكثر من غيرها.

وهي حرف علة: (ومعلولها في العالم الأسفل والأعلى فأشبهت القاف والنون. لأن النون علوية إذ كانت نصف دائرة الفلك ولهذا وقعت بينهما. فأما تأثيرها في السفلى: فإنها حرف علة)^(٣) فعنها ظهرت الأحكام والأمور المقربة إلى^(٤) السعادة.

وهي حرف الأنبياء (عليهم السلام)

وأما تأثيرها في العالم العلوي فإنها^(٥) حقيقة الإنسان، ولهذا كانت عشرة لشبهها بالإنسان فصار الفلك يدور بنفسها^(٦) ولهذا ظهرت (من فلكية فلك القاف وفلك النون، فكانت)^(٧) كالقطب لهما لسكونهما فيما يدوران^(٨).

وأما النون^(٩):

فباردة^(١٠) أيضاً، وقد تقدم في^(١١) الخبر. قد جاء ببرد اليقين وبرد الأنامل، فعلم العلوم كلها عند هذا البرد فما أعجب هذه الحكمة. كيف اختص الله ذات اليقين بهذه الحروف والنون له الخمسون^(١٢)، وهو شطر المائة الذي هو القاف فلذلك كان نصف دائرة (لأنه على نصف القاف)^(١٣).

(١) في (ب): (فقد بان لك).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

(٤) سقط حرف (إلى) من النسخة (ب).

(٥) في النسخة (ب): (فإن).

(٦) في النسخة (ب): (لنفسها).

(٧) في النسخة (ب): (بين فلك القاف وبين فلك النور كالقطب) وكذا النسخة (ج).

(٨) في النسخة (ب): (بها) زائدة.

(٩) في النسخة (ب): (وأما النون) ولا أدري لماذا يصير ناسخ هذه النسخة، أو صاحب هذه الرواية، على وصف حرف النون دائماً بالنور.

(١٠) في (ب): (فبارد) ويصح على تقدير وأما حرف النون.

(١١) في (ب): (أن) بدلاً من (في).

(١٢) في (ب): (والنون والخمسون).

(١٣) ما بين القوسين سقط من النسخة (ب).

فإن القاف مركب^(١) من ميم ونون. فهو من حروف التركيب كالواو وغيره. فانظر ما أشرف حروف هذا^(٢) اليقين، ثم أعطى الحركات كلها.

وهو الفتح في الياء، والكسر في القاف، والضم في النون ولما وقعت آخر الكلمة قبلت جميع الحركات والسكون بحسب المؤثر المحرك لهذا الفلك، فإن حركه^(٣) من كونه فاعلاً أو مبتدأ وما أشبه ذلك رفعه، وكان له الأثر، وإن حركه من كونه منفعلاً لا عن النفس^(٤) الكلية فكان مؤثراً فيه نصبه وخفضه^(٥)، وإن بقي في الوقفة ينتظر الأمر بما يخرج له من حضرة المؤثر سكن. وهكذا^(٦) كل حرف يقبل تغيير الصفات وتناوب أحكامها عليه.

فافهم

ويكفي هذا القدر لما ذكرناه من الضرورة.

فلنرجع إلى الأربعة الأخر فنقول:

إن عين اليقين به ينظر إلى^(٧) الهمم عند تسابقها إليه وتجاريها على بركات الأعمال الصالحة^(٨) فيشهدا خارجة من النفوس المسجونة في الهياكل الظلمانية واختراقها عالم الوهم والمثال^(٩) الذي هو البحر الخضم الذي تهلك فيه أكثر الهمم وتعاین هذا اليقين بهذه العين المضافة إليه كيف يصور لها^(١٠) صاحب مملكة الأوهام ما يناسب طلبتها فيرى بعض الهمم وقعت مع ما نصب لها^(١١).

فنقول قد وصلت فنرجع إلى عالم الشهادة وتحمي عن مقامها وتقرب^(١٢) وهي تقول إنها في الحاصل في الغاية وما بيدها شيء إلا ظاهر الصورة من جهة المثال كما يتخيل الصاحب أنه قد^(١٣) ظفر بدحية، وأنه كلمه وليس بيده من دحية شيء، وإنما كان جبريل

(١) في (ب): (مركبة).

(٢) سقط اسم الإشارة من (ب).

(٣) في النسخة (ب): (فإن حركته).

(٤) في النسخة (ب): (مفعلاً عن النفس).

(٥) في النسخة (ب): (نصه وحفظته).

(٦) في النسخة (ب): (ولهذا).

(٧) سقط حرف (إلى) من النسخة (ب).

(٨) في (ب): (الصالحات).

(٩) في (ب): (والبالي).

(١٠) في (ب): (بصورها).

(١١) في (ب): (فترى بعض الهمم مع تصيب).

(١٢) في (ب): (مقاماتها وندب) وكذا (ج).

(١٣) لفظ (قد) سقط من (ب).

(عليه السلام) فهو^(١) أعقل غلظه حتى^(٢) أقسم أنه رأى دحية، ولم يكن دحية.

فماذا تقع الثقة؟ وهذه القواطع في الطريق فكيف يطمئن الإنسان إلى عقله ومواد عقله بهذه المثابة؟

وإنما وقع مثل هذا^(٣) للعجلة التي فطر الإنسان عليها، ولو لم يعجل لقال حين سئل من رأيت؟

يقول: رأيت شخصاً أقول إنه دحية إن لم يكن روحانياً تجسد، وإذا قال هذا (فلا يقين عنده، وإذا قال إنه دحية)^(٤) فلا علم عنده ولا يقين لكن عنده القطع الذي يسميه يقيناً إذا نظر بعينه إلى مثل ما ذكرناه، ورأى رجوع الهمم، يتعجب مما خلقت^(٥) عليه العقول من القصور فما أقام^(٦) من وثق بعقله أو من قال إنه يعرف ربه بعقله. وإذا وصلت الهمم بالمسابقة إلى اليقين وهو ينظر إليها بعينه أنزلها في حضرتها وحصل من صور^(٧) الهمم التي^(٨) يمتاز بعضها من بعض صورة معقولة لا يمكن للبصر [أن]^(٩) يدركها عادة؛ لأنها غيب فيسلط علمها^(١٠) عليها فهذا هو علم اليقين المضاف إليه.

فعينك إذا لم تغلط من عين اليقين، وإذا غلظت فهو^(١١) عين القطع، وعلمك إذا لم يغلظ فمن علم اليقين^(١٢) وإذا غلط فمن علم القطع.

وهو قوله تعالى: (كنت سمعه وبصره)^(١٣).

فلا يرى إلا اليقين ولا يسمع^(١٤) إلا اليقين، لأن المادة من اليقين. فهذا علم اليقين^(١٥)

(١) في (ب): (فهذا).

(٢) لفظ (حتى) مكرر في الأصل، وفي (ب): (حسن).

(٣) في (ب): (ذلك).

(٤) ما بين القوسين سقط من (ب).

(٥) في النسخة (ب) وفي الأصل: (ما خلق).

(٦) في (ب): (فما شيتتم).

(٧) سقطت من النسخة (ب).

(٨) في (ب): (الذي).

(٩) في الأصل و(ب): (لا يمكن البصر يدركها) وأضفت حرف (إن) للاقتضاء.

(١٠) في (ب): (عمله).

(١١) في (ب): (فمن).

(١٢) في (ب): سقط (علم اليقين).

(١٣) حديث: (كنت سمعه وبصره). انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر المسقلاني ج ١١ ص ٢٩٥.

(١٤) في (ب): (ولا يعلم).

(١٥) في (ب): (فهذا علمه).

قد بان أين يتصرف من المواطن وأنه بخلاف عينه كما يخالف جسمية الإنسان تغذية.
وأما حق اليقين:

فهو أن ينطق^(١) عندما تميزت له صفات الفصل^(٢) بين الهمم في الأمر الذي انبعث عنه،
وحكم مزاج صاحب تلك الهممة، وأين محله من عالمه؟

فعلى هذا، ماذا^(٣) قامت بنيتها حتى يبدو له^(٤) ما يعطي امتزاج أخلاطه من القوة فيكون
الامتداد^(٥) بحسب ذلك؟

وأما حقيقة اليقين^(٦):

فهو أن ينظر في مقامه العلوي المعلوم الذي منه نزل إلى أسفل سافلين، فإنه إلى ذلك ينتهي
بعد التكليف والالتحاق بالروحانيات العلا، الذين قالوا: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾^(٧).

ويتخيل^(٨) الإنسان أنه في الترقى، وأنه ليس له مقام، وليس الأمر كذلك. فإن الله أوجد
كل لطيفة إنسانية في مقامها الذي إليه تؤول كالملائكة سواء.

ثم نزلت إلى تدبير^(٩) الأبدان كما نزل جبريل بتبليغ^(١٠) الرسالة، وغيره من الملائكة،
ويرجع إلى مقامه.

فهذا الملك قد ترقى حقاً لا شك من أسفل إلى أعلى، وكذلك الإنسان لا يزال يترقى إلى آخر
نفسه الذي يموت عليه، وهو مقامه الذي نزل منه، ولذلك قال: ﴿وإليه ترجعون﴾^(١١).

ولا يرجع إليه شيء إلا من خرج منه^(١٢). فبذلك المقام تتعلق حقيقة اليقين. وقد ضايقنا
الوقت، وعدم الورق فأحضرنا جهدنا والحمد لله رب العالمين^(١٣).

(١) في (ب): (أُن ينظر).

(٢) في (ب): (الفاعل).

(٣) في (ب): (وعلى ماذا).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): (الأمر).

(٦) في (ب): (وأما اليقين).

(٧) القرآن الكريم، سورة الصفات، الآية ١٦٤، مكة.

(٨) هنا حرف (في) زائد في الأصل وفي النسخة (ج).

(٩) في (ب) (هذه الأبدان).

(١٠) في (ب): (لتبليغ).

(١١) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية ٥٦، مكة. وهي متكررة في نهايات عدد من الآيات اخترنا منها هذه الآية.

(١٢) في الأصل: (ولا يرجع إلى شيء إلا من خرج منه).

(١٣) من (ب): (والحمد لله).

فصل (١)

في ذكر سبب تأليف هذا الكتاب^(٢)

كان^(٣) سبب إنشائي لهذا الكتاب أني زرت الخليل (عليه السلام).

ثم خرجت من عنده قاصداً زيارة «لوط» (عليه السلام).

أنا وصاحبي الشيخ العارف^(٤) الصوفي، صاين^(٥) الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك^(٦) بن مطوف المزني^(٧) وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي^(٨) فمررنا في طريقنا بمسجد اليقين، موضع إبراهيم (عليه السلام) فأقام الله في خاطري^(٩) أن أضع جزءاً في اليقين في هذا المسجد المعروف باليقين.

فاستخرت^(١٠) الله تعالى وقيدت هذه العجالة^(١١) بالموضع المذكور في يوم الزيارة، وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستمائة.

(١) سقط من (ب).

(٢) إضافة من النسخة (ب) وزاد عليها (رب العالمين) لا أدري لماذا وهي ساقطة من النسخة (ج).

(٣) في (ب): قال الشيخ المؤلف (رضي الله عنه): (كان السبب..) وفي (ج) أيضاً.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): (الصاين).

(٦) زاد صاحب النسخة (ب): (بن محمد بن حفاظ).

(٧) الشيخ العارف الصوفي: صاين الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطوف المزني، لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(٨) عفيف الدين، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي. لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(٩) في الأصل: (فأقام له بخاطري) ثم عدلها على الهامش، أو هي مقابلة لأن الخط مختلف. وفي (ب): (بخاطري).

(١٠) في (ب): (واستخرت).

(١١) في (ب): (وقيدت هذا الجزء) وكذلك في (ج).

وأسمعته صاحبي بقراءتي، وصلينا الظهر في ذلك^(١) اليوم وانصرفنا إلى لوط (عليه السلام).

نفعنا الله وإياهما وجميع المسلمين بالعلم آمين بعزته.

فصل في تسمية الكتاب^(٢)

وكان السبب الذي لأجله سمي هذا الموضع باليقين^(٣) أن الخليل إبراهيم (عليه السلام) كانت الملائكة التي بشرته بإسحاق قد تركته بذلك الموضع، وأخبرته أنها تسير^(٤) إلى لوط (لإهلاك قومه، وأمروه بلزوم ذلك الموضع حتى يأتي إليه لوط (عليه السلام))^(٥) فلم يزل بذلك الموضع حتى أبصر مدائن قوم لوط في الهواء^(٦) وسمع ضجيجهم. وهو قوله تعالى: ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾^(٧).

فعندما أبصر ذلك سجد لله في هذا الموضع^(٨) وأثر بروكه^(٩) في القف^(١٠) وقال: أشهد أن هذا هو اليقين^(١١).

(فسمي مسجداً لأنه موضع سجوده، وسمي اليقين لقوله: هذا هو اليقين)^(١٢). وفي موضع سجوده^(١٣) أنشأت هذا الكتاب ولهذا سميته^(١٤) أيضاً: (كتاب اليقين الذي أنشأته بمسجد اليقين)^(١٥). ورأينا أن نتكلم في هذه^(١٦) الأوراق على حقيقة

-
- (١) في (ب): (في تلك).
 - (٢) سقط من (ب)، (ج).
 - (٣) في النسخة (ب): (بهذا الموضع مسجد اليقين).
 - (٤) في (ب): (تسير).
 - (٥) ما بين القوسين سقط من (ب).
 - (٦) في (ب): (بالهوى).
 - (٧) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٧٤، مكة.
 - (٨) في (ب): (سجد في ذلك).
 - (٩) في (ب): (بركوعه) وما أثبتناه من الأصل أولى، لأن الركوع لا يؤثر السجود. فهو (بروك).
 - (١٠) في (ب): (القف)، وكذلك (ج). وما أثبتناه من الأصل أولى، لأنه يقصد هنا البقعة اليابسة التي حدث فيها الأثر. ولا يعني هذا القفر. وإن كان يعني المكان الموحش.
 - (١١) في (ب): قال (أشهد أنه الحق اليقين) - وفي (ج) (أشهد أن هذا هو الحق اليقين).
 - (١٢) ما بين القوسين سقط من (ب) وفي (ج) (موضع سجده).
 - (١٣) لفظ (سجوده) سقط من (ب) وفي (ج): (موضع سجده).
 - (١٤) في (ب)، (ج): (سميته بهذه الاسم).
 - (١٥) ما بين القوسين سقط من (ب).
 - (١٦) في (ب)، (ج): (نتكلم فيه على اليقين).

اليقين دون غيره من المقامات للمناسبة التي أعطاها الموضوع^(١).
والصلاة على محمد وعلى آله. وسلم تسليماً كثيراً.
كمل الكتاب بعون الله تعالى.

قوبل على الأصل المكتوب بيد أيوب بن زيد بن منصور في العشرين من شهر رمضان
من سنة إحدى وعشرين وستمائة بجامع دمشق بحضرة منشئه وكان معتكفاً فيه، ونقلت
هذه من أصله وقرئ عليه بدمشق في الأول من ذي الحجة من سنة إحدى وعشرين
وستمائة وعليه خطه. قدس الله سره.
صح ما ذكره وكتب المنشي به.

(١) نهاية النسخة (ب). للمناسبة التي أعطانا الموضوع.
والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.
سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. تمت.

هذا آخر ما وجد بالنسخة (ب) وكل ما بقي من الأصل الذي اعتمدنا عليه هنا.
ونهاية النسخة (ج):

للمناسبة التي أعطاها الموضوع والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم. تمت.

ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين عند ابن عربي الباب الثاني والعشرون ومائة من كتاب الفتوحات المكية في معرفة مقام اليقين وأسراره

إِنَّ الْيَقِينَ مَقَرُّ الْعِلْمِ فِي الْخَلْدِ فِي كُلِّ حَالٍ بِوَعْدِ الْوَاحِدِ الضَّمَدِ
إِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي التَّخْقِيقُ حَصْلُهُ أَغْكَفَ عَلَيْهِ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ
فَإِنْ تَزَلَّزَلَ عَنِ حُكْمِ الثَّبَاتِ فَمَا هُوَ الْيَقِينُ الَّذِي يَقْوَى بِهِ خَلْدِي
(اليقين هو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة).

واليقين: هو قوله تعالى - لنبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(١).

وحكمه: سكون النفس بالمتيقن، أو حركتها إلى المتيقن.

وهو - أي اليقين - ما يكون الإنسان فيه على بصيرة، أي شيء كان، فإذا كان حكم المبتغى في النفس لحكم الحاصل، فذلك هو اليقين. سواء حصل المتيقن أو لم يحصل في الوقت. كقوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾^(٢).

وإن كان لم يأت بعد، ولكن تقطع النفس المؤمنة بإتيانه، فلا فرق عندها بين حصوله وبين عدم حصوله، وهو قول من قال: (لو كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا أَرْدَدْتُ يَقِينًا).

مع أن المتيقن ما حصل في الوجود العيني. فقال الله لنبيه، ولكل عبد يكون بمثابته: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩ مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١ مكية.

فإذا أتاك اليقين علمت مَنْ العابد والمعبود، وَمَنْ العامل والمعمول به؟ وعلمت ما أثر الظاهر في المظاهر، وما أعطت المظاهر في الظاهر.

(صاحب اليقين وصاحب علم اليقين)

واعلم أن لليقين علماً وعيناً وحقاً: (ولكل حق حقيقة) وسيرد ذلك في باب له مفرد بعد هذا من الكتاب. إن شاء الله تعالى، وإنما جعل له علماً وعيناً وحقاً، لأنه قد يكون يقين ما ليس بعلم ولا عين ولا حَقٌّ؛ ويقطع به من حصل عنده؛ وهو صاحب يقين، لا صاحب علم يقين.

(هل يصح أن يكون يقيناً أتم من يقين؟).

واختلف أصحابنا في اليقين: هل يكون يقين أتم من يقين أم لا؟

فإنه روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في عيسى (عليه السلام): (لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء)^(١).

أشار به إلى ليلة الإسراء. وأن باليقين صح له (صلى الله عليه وسلم) المشي في الهواء. وهذا التفسير ليس بشيء. فإنه أسرى به ربه ﴿ليريه من آياته﴾^(٢). وبعث إليه بالبراق، فكان محمولاً في إسرائه.

ومثل هذا الحديث لا يصح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه أشار بذلك إلى نفسه. ومعلوم أنه ليس أحد من البشر يماثله في اليقين. لكنه ما مشى في الهواء بيقينه، وإنما جاءه جبريل (عليه السلام) بدابة دون البغل وفوق الحمار تسمى «البراق»، فكان محمولاً والبراق هو الذي مشى في الهواء. ثم إنه (صلى الله عليه وسلم) لما انتهى البراق به إلى الحد الذي أذن له، نزل عنه وقعد في الرفرف. وعلا به إلى حيث أراد الله. وغفل الناس عن هذا كله فما أسرى به (صلى الله عليه وسلم) لقوة يقينه بل يقينه في قلبه على ما هو به من التعلق بالمتيقن العام، كان ما كان. لكنه مما فيه سعادته؛ لأنه وصف به في معرض المدح.

(شرف اليقين بشرف موضوعه: وهو الأمر المتيقن).

ولنا في اليقين جزء شريف، وضعناه في «مسجد اليقين»^(٣).

(١) ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء، انظره في كنز العمال ج ٣ ص ٤٣٩ رقم ١٩٤١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ١ مكية.

(٣) طبعاً هذه الإشارة من الفتوحات، والجزء المقصود به للكتاب الذي بين يديك.

مسجد إبراهيم الخليل. في زيارتنا لوطاً (عليه السلام) فقد يتيقن الجاهل أنه جاهل، والظانُّ أنه ظانُّ، والشاكُّ أنه شاكُّ فيما هو فيه شاكُّ.

وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه، علماً كان أو غير علم. فإن قلت: فأين شرفه؟

قلنا: شرفه بشرف المتيقن، كالعلم سواء. ولهذا جاء اليقين معرفةً بالألف واللام. في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

يريد متيقناً خاصاً، ما هو يقين يقع المدح به، بل هو يقين معين.

(اليقين المستقل الذي ليس له محل يقوم به)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(١).

يريد ما هو مقتول في نفس الأمر، لا عندهم. (بل شُبِّهَ لَهُمْ)^(٢). فهذا يقين مستقل ليس له محل يقوم به. فإنهم متيقنون أنهم قتلوه، واللَّه ليس بمحل لليقين. فلم يبق محل لليقين سوى القتل. وهذا من باب قيام المعنى بالمعنى.

فإن اليقين معنى، والقتل معنى. فالقتل قد تيقن في نفسه أنه ما قام بعيسى (عليه السلام). فالقتل موصوف في هذه الآية: باليقين، وأصدق المعاني ما قام بالمعاني.

وهذه المسألة عندنا من محارات العقول. مما لا نفضي فيها بشيء، وعند بعضنا هي ملحقة بالحال، وعند بعضهم هي ممكنة واقعة.

(اليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة)

وبالجملة، فاليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة، فإن العادة تسرق الطبع؛ ولا سيما في الأمور التي بها قوام البدن الطبيعي.

فإذا فقد البدن ما به يصل إلى ما به قوامه فإنه يتألم.

والألم لا يقدح في اليقين. فإنه ما يضاذه. ولكن قلُّ أن يتألم ذو ألم إلاً ولا بد أن يضطرب ويتحرك في نفسه. ولا سيما ألم الجوع والعطش والبرد والحرق. والاضطراب يضادُّ اليقين. فإن اليقين: سكون النفس إلى من بيده هذه الأمور المزيلة لهذه الآلام؛ فيريد من قامت به هذه الآلام سرعة زوالها طبعاً.

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ١٥٧ مدنية.

(٢) في القرآن الكريم، سورة النساء، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾..

وإذا كان هذا الأمر كذلك فنسلك في اليقين طريقة غير ما يتخيلها أهل الطريق. وهو أن الاضطراب لا يقدر في اليقين إذا كان هبوب النفس في إزالة تلك الآلام إلى جناب الحق، لا إلى الأسباب المزيلة في العادة.

فإن شاء الحق إزالتها بتلك الأسباب أزالها، بأن يوجد عنده تلك الأسباب، وإن شاء أزالها بغير ذلك. فصار متعلق اليقين الجناب الإلهي، لا غير. وهذا قد يكون كثيراً في رجال الله.

(درجات اليقين عند العارفين)

ودرجات اليقين عند العارفين مائتا درجة ودرجة واحدة؛ وعند الملامية مائة وسبعون درجة.. وهو ملكوتي، جبروتي. له إلى الملكوت نسبة واحدة، وعند العارفين له نسبتان؛ لأنه عند العارفين مركب من ست حقائق، ونشأته عند الملامية من أربع حقائق. وله السكون الميت والحي.

فبالسكون الحي يضطرب صاحبه.

وبالسكون الميت يتعلق بالله فيما يضطرب صاحبه فيه من غير تعيين مزيل. بما أراد الله أن يزيله.

الباب الثالث والعشرون ومائة في معرفة مقام ترك اليقين وأسراره

إِذَا وَقَفَ الْمُبِيدُ مَعَ الْمُرِيدِ يُزِيلُ يَقِينَهُ حُكْمُ الْإِرَادَةِ
وَيُعْطِي الْحَقُّ زُبَّتَهُ لَسُلْأً يُقْبِدُهُ فَيَقْدَحُ فِي الْعِبَادَةِ
فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ بِإِلْجَابِ قَلْبِ حُكْمِ لِعِبَادَةِ
وَقَدْ ذَلَّ الدَّلِيلُ بِفَيْرِ شَكِّ وَلَا زَيْبَ عَلَيَّ نَفِي الْإِعَادَةِ
لَأَنَّ الْجَوْهَرَ الْمَفْلُومَ بَاقٍ عَلَيَّ مَا كَانَ فِي حُكْمِ الشَّهَادَةِ
فَيَخْلَعُ مِنْهُ وَقْتاً أَوْ عَلَيهِ بِمِثْلِ أَوْ بِضَدِّ لِلْإِفَادَةِ
(لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي).

اعلم - وفقك الله - أنني أردت بنفي الإعادة الذي يقول:

«إنه لا يتكرر شيء في الوجود للاتساع الإلهي» وإنما هي أعيان أمثال لا يدركها الحس، إذ لا يدرك التفرقة بينها، أريد لا يدرك الحس التفرقة بين ما انعدم منها وما تجدد، وهو قول المتكلمين: إن العرض لا يبقى زمانين.

(اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي) كالصبر.

لما كان اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي مثل الصبر، ترك أهل الله الاتصاف به وتعلمه وطلبه من الله. فإذا أتى اليقين من عند الله، من غير تعمل من العبد، قَبِلَهُ الْعَبْدُ أَدْباً مع الله ولم يرده على الله إذا أراد الله أن يصير هذا العبد محلاً لوجود هذا اليقين، ويكون حكمه في هذا المحل التعلق بالله في دفع الضرر عن هذا العبد. فيكون ذلك سؤال اليقين، وتعلقه بجناب الحق، لا تعلق العبد ولا بسؤاله.

(العبد سبب في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه).

وذلك لما كان العبد سبباً في ظهور عين اليقين، لعدم قيام اليقين بنفسه، كان للمحل عند هذا اليقين يدٌ أراد مكافأتها. فسأل اليقين موجدَه - تعالى - رفع الضرر عن هذا المحل، إذ اليقين لا يوجد إلا لرفع الضرر؛ وأما في حال المنفعة فلا حكم له إلا في استدامتها، لا فيها فإنها حاصلة.

فإن توهم العبد إزالتها فإن اليقين يطلب من الله استمرار وجودها في محله. فبهذا القدر يكون ترك اليقين.

أي العبد لا يعترض على اليقين في سؤاله ربه ما شاء؛ فهو تاركه يفعل ما يريد. فلا يتصف العبد هنا بشيء.

(العبد مضطرب في أصل نشأته، لا يقين له من حيث حقيقته).

ومع هذا التحقيق فالمسألة غامضة، بعيدة التصور، فالعبد في أصله مضطرب، متزلزل المِلْك؛ فلا يقين له من حيث حقيقته، فإنه محل لتجدد الأعراض عليه.

واليقين سكون؛ وهو عَرَضٌ فلا ثبوت له بزمانين، والله تعالى يقول: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) وأصغر الأيام الزمن الفرد.

فقد أبنت لك أن أهل الله في نفوسهم بمعزل عما يطلب اليقين. وأن اليقين هو السائل. ولهذا قال تعالى له: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢). فيكون اليقين هو الذي يسأل ويتعب وأنت مستريح فافهم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(لا طمأنينة مع المرید إلا عن بُشْرَى).

فإن الوقوف مع إرادة الله لا يتمكن معها سكون أصلاً، لأنه خروج عن حقيقة النفس. والشيء لا يخرج عن حقيقته، إذ خروج الشيء عن حقيقته محال. فلا طمأنينة مع المرید إلا عن بُشْرَى. فإنه يسكن العبد عند ذلك لصدق القول. وتكون البشرية معينة، مؤقتة، وحينئذ يكون له السكون إليها وهو اليقين.

وقد ورد أن الملائكة يخافون من مكر الله، ولا يقين مع الخوف. فإن سكن العبد إلى قوله تعالى:

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩ مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩ مكة.

﴿فَعَالَ مَا يَرِيدُ﴾^(١) لا يزول عنه، فذلك السكون قد يسمى يقيناً، ولكن يورث في المحل خلاف ما يطلب من حكم اليقين الذي اصطلح عليه أهل الله. وأما نحن فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق الله، وإنما يقع الخلاف بماذا يتعلق اليقين؟
فاليقين صفة شمول، وليست من خصوص طريق الله التي فيها السعادة، إلا بحكم متيقن ما.
فهذا تحقيقه. والله الموفق لا رب غيره.

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ١٠٧ مكية. وسورة البروج، الآية ١٦ مكية.

الباب التاسع والتسعون ومائتان في معرفة علم اليقين

وهو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخول ولا الشبهة.

ومعرفة عين اليقين..

وهو ما أعطته المشاهدة والكشف.

ومعرفة حق اليقين..

وهو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود.

تَبْدُو دَلَائِلَهُ عَلَى الْأَكْوَانِ عِلْمُ الْيَقِينِ بِعَيْنِهِ وَبِحَقِّهِ
مَا قَامَ تَوْحِيدًا عَلَى بُزْهَانِ لَوْلَا وُجُودُ الْعَيْنِ فِي مَلَكُوتِهِ
فِي عَالَمِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَبْدَانِ فَانظُرْ إِلَى حَقِّ الْيَقِينِ وَعَيْنِهِ
فِي كُلِّ مَا يَبْدُو مِنَ الْأَغْيَانِ تَجِدُ الَّذِي عَنْهُ تَكُونُ سِرُّهُ

اعلم

أيدنا الله وإياك بروح منه. أنا قد علمنا علماً يقيناً لا تدخله شبهة أن في العالم بيتاً يسمى «الكعبة» ببلدة تسمى «مكة». لا يمكن لأحد الجهل بهذا، ولا أن يدخله شبهة، ولا يقدح في دليله دخل. فاستقر العلم بذلك. فأضيف إلى اليقين؛ الذي هو الاستقرار، أن لله بيتاً يسمى الكعبة، بقرية تسمى مكة، تحج الناس إليه في كل سنة، ويطوفون به. ثم شوهد هذا البيت عند الوصول إليه بالعين المحسوسة. فاستقر عند النفس بطريق العين. كيفيته وهيئته وحاله، فكان ذلك عين اليقين، الذي كان قبل الشهود علم يقين، وحصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقاً.

ثم فتح الله عين بصيرته في كون ذلك البيت مضافاً إلى الله، مطافاً به، مقصوداً دون غيره من البيوت المضافة إلى الله. فعلم علة ذلك وسببه بإعلام الله لا بنظره واجتهاده. فكان علمه بذلك حقاً يقيناً مقررأً عنده لا يتزلزل.

فما كلُّ حق له قرار، ولا كل علم، ولا كل عين، فلذلك صحت الإضافة. فلو كان علم اليقين، وعينه، وحقه (في مقام) اليقين ما صحت الإضافة. لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه؛ لأن الإضافة لا تكون إلا بين مضاف ومضاف إليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها، ومن لم يفرق بين اليقين والعلم، ويقول: إن العلم هو اليقين. وقد ورد في كتاب الله مضافاً، احتاج إلى طلب في ذلك. تصح له به الإضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال: قد يكون المعنى واحداً ويدل عليه لفظان مختلفان.

فيضاف أحد اللفظين إلى الآخر فإنهما غيران بلا شك في الصور مع أحدية المعنى، ولفظة العلم ما هي لفظة اليقين. فأضيف العلم إلى اليقين لهذا التغاير فصحت الإضافة في الألفاظ لا في المعنى.

وإنما احتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الألفاظ في الموضوعات من المعاني. فلو علم ذلك لعلم أن مدلول لفظة العلم، غير مدلول لفظة اليقين. وإذ تقرر هذا فقد علمت معنى اليقين وعينه وحقه.

ثم بعد هذا فاعلم أن اليقين في هذه المسألة هو المطلوب. ولهذا أضيفت هذه الثلاثة إليه، وكان مدارها عليه. فمن ثبت له القرار عند الله في الله بالله مع الله، فلا بد له من علامة على ذلك تضاف إلى اليقين؛ لأنها مخصوصة به. ولا تكون علامة إلاً عليه. فذلك هو علم اليقين. ولا بد من شهود تلك العلامة وتعلقها باليقين، واختصاصها به، فذلك هو عين اليقين. ولا بد من وجوب حكمة في هذه العين وفي هذا العلم، فلا يتصرف العلم إلا فيما يجب له التصرف فيه، ولا تنظر إلى العين إلا فيما يجب لها النظر إليه، وفيه، فذلك هو حق اليقين، الذي أوجبه على العلم والعين.

وأما اليقين: فهو كل ما ثبت، واستقر، ولم يتزلزل من أي نوع كان، من حق وخلق. فله علم وعين وحق. أي وجوب حكمه، إلا الذات الإلهية فيقينيها ما له سوى حق اليقين. وصورة حقها أي الوجوب علينا منها السكوت عنها، وترك الخوض فيها؛ لأنها لا تُعلم. فما ثم علم يضاف إلى اليقين ولا يُشهد.

فلا تضاف العين إلى اليقين، ولها الحكم على العالم كله بترك الخوض فيها فلها الحق. فأضيف إليها. فلا يضاف إلى اليقين إلا ما يقبله. فإن كان مما تدل عليه علامة أضيف إليه

العلم. وإن لم يكن فلا يضاف إليه. وإن كان مما يشهد أضيفت إليه العين، وإن لم يكن فلا تضاف إليه. وإن كان ممن له في نفس الأمر حكم واجب على أحد من المخلوقين حتى على نفسه مثل قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾^(١).

أضيف إليه الحق فقليل حق اليقين لوجوبه. وإن لم يكن شيء مما ذكرناه فلا يضاف إلى شيء مما تقدم. فقد أعطيتك أمراً كلياً في هذه المسألة في كل متيقن.

فلك النظر في حقيقة ذلك اليقين.

وهذا القدر كافٍ.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٥٤ مكية.

**كتاب عنقاء مغرب
في ختم الأولياء وشمس المغرب**

مقدمة المحقق لكتاب عنقاء مغرب

- ١ -

أولاً: لا بد من التوقف قليلاً عند عنوان الكتاب. ما هو المراد بعنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب؟.

لفظ «العنقاء»: قال الدميري في كتاب «حياة الحيوان الكبرى»^(١): عنقاء مغرب ومغربة «أي: يذكر ويؤنث. ثم قال: وهو من الألفاظ الدالة على غير معنى. وقيل: هو طائر يكون عند مغرب الشمس. وقال القزويني^(٢): هي أعظم الطير جثة، وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفأر. ويدو أن التهويل من أمر العنقاء قد تعدى ذلك إلى حد صنع القصص والحكايات بل والخرافات حولها. وليس هذا الأمر يهمننا.

أما عند ساداتنا الصوفية:

فإنهم يعنون به: الهباء الذي فتح الله به العالم، وهو الهيولي. سُمي عند الطائفة بالعنقاء، لأن الهَيولي تُعلم ولا تظهر، ولا توجد بدون الصورة كالعنقاء يُسمع بها وتُعقل، ولا وجود لها فكذا حال الهباء، الذي هو الهَيولي^(٣).

أما حقيقة ما أراده سيدي محيي الدين بن عربي من هذا العنوان فإنه قصد به خاتم الأولياء. ولفظ «مغرب» كناية عن بعد المرام في التعرف عليه أو القرب منه، وهذا ما جملة يشبهه بالعنقاء. فالأمر كان حتى مجيء ابن عربي سري جداً، وقليلون هم الذين يمكنهم الحديث حول خاتم الأولياء. وشمس المغرب: كناية عن سطوع نور ولاية وختمية الختم عند ظهوره بالمغرب. لمعلوم حظها من الولاية، وأن شمس الختم ستسطع فوق جميع أنجم الأولياء. لأخذ الجميع المدد والأنوار منه.

(١) انظر: الدميري: حياة الحيوان (١٣٠/٢)

(٢) أبو علي القزويني في كتابه عجائب المخلوقات.

(٣) انظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية. بتحقيقنا ١٦٦/٢).

أما أول من أطلق فكرة «ختم الولاية» أو «خاتم الأولياء» فهو الحكيم الترمذي في كتابه المعروف بهذا الاسم^(١). طرح في هذا الكتاب مجموعة من الأسئلة تصل إلى (١٥٧ سؤالاً) قال إن من يجب على هذه الأسئلة فهو خاتم الأولياء، ثم طرح في السؤال ١٣، ١٤، ١٥ من هو الخاتم؟ وما هي صفته؟ وما سبب الخاتم؟ وما معناه؟

وظلت هذه الأسئلة حتى جاء الإمام محيي الدين بن عربي فأجاب عليها وأحيا فكرة الختم من جديد ثم انتشر الكلام فيما بعد حول مفهوم خاتم الأولياء. فتحدث عدد من الأولياء الأكابر فيما بعد على حصولهم على مقام الختمية، حتى أنك حين تقرأ تجد الذين ادّعوه كثيرون. وهم في الحقيقة لم يبلغوا غير مقام الختم الخاص بزمانهم فقط ففي كل زمان لابد من قطب كامل يحل في مقام ختمية هذا الزمان أو ذلك. أما مقام الختم الواحد بالولاية المحمدية الخاصة فلم يحصل عليه في الحقيقة سوى رجل واحد في العصور جميعها، وهو الذي يكون مدد جميع الأولياء منه مباشرة. ولم نعلم على الحقيقة أن أحداً ادّعى هذا المقام أو حلّ فيه سوى الإمام الكبير سيدي أحمد التجاني (رضي الله عنه وأرضاه).

وهذا أمر مهم في الحقيقة، لا بد أن يلتفت إليه الباحثون والمهتمون الذين يتحدثون حول هذا الموضوع. ففكرة ختم الأولياء لم تثبت لسيدي محيي الدين بن عربي بهذا الكتاب الذي هو (عقلاء مغرب) وهذا الكتاب بالتحديد يعدها عنه تماماً إذ لو كان هو الختم لما احتاج الأمر للبحث عنه ووضع الإشارات والرموز والأسرار، حتى أن أحد شراح هذا الكتاب وهو أبو القاسم السعدي تصور أنه يقصد عيسى ابن مريم (عليه السلام) وربما شك بعض الناس أنه يقصد المهدي المنتظر، وحتى قبل هذا الكتاب فقد ذكر هو في الفتوحات المكية ٤/٩٢ في إجابته متوسّعاً، عن الأسئلة التي طرحها الحكيم الترمذي من قبل. فقد أجاب في السؤال رقم (١٣) بما لا يدع مجالاً للشك أنه يتحدث عن شخص آخر هو الختم لا شك، يقول:

وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب، من أكرمها أصلاً وبدأ وهو في زماننا اليوم موجود. عُرِفَتْ به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عباده، وكشفها لي بمدينة فاس، حتى رأيت خاتم الولاية منه.. لا يعلمها كثير من الناس. وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به... وكما أن الله ختم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبوة الشرائع، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي... (انظر: ابن عربي الفتوحات المكية إجابة السؤال ١٣، وانظر: الحكيم الترمذي: كتاب ختم الأولياء ص ١٦١).

وإنني أستطيع أن أؤكد أن ابن عربي قد ألف كتابه عقلاء مغرب في الكلام عن ختم الأولياء، وليس الكلام عن نفسه باعتباره ختماً. انظر معي إلى القصيدة الأولى في كتاب عقلاء مغرب المسماة بالوعاء المختوم على السر المكتوم.

(١) كتاب خاتم الأولياء للحكيم الترمذي حققه الدكتور عثمان يحيى نشرة بحوث ودراسات معهد الآداب الشرقية بباريس وملحق به عدد من الرسائل مثل رسالة بدو شأن الحكيم الترمذي.

فعند فنا خفاء الزمان وجيمها على فناء مدلول الكروم يقوم^(١)

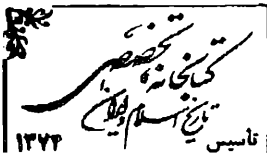
وانظر إلى ما قاله سماحة الإمام/ صلاح الدين التجاني في كتابه^(٢): يقول: مقام الختم: هو مقام معروف عند القوم، وقد تكلم عليه أناس كثيرون منهم سيدي عبد الغني التابلسي في كتابه «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين»، وكذا الإمام الفاسي في تاريخه، والشيخ يوسف البهبهاني في جواهر البحار، والشعراني في طبقاته عن سيدي علي وفا، وسيدي محمد قنون في كتاب حل الأقفال، والحكيم الترمذي في كتابه خاتم الأولياء... فخاتم الأنبياء هو من ذاق مشرب كل نبي ورسول، فهو جامع لجميع مشارب الأنبياء والرسول مع انفراده بمشربه. فنبوته أصل لجميع النبوات، والنبوات فرع من نبوته. وفي الحديث عن العرياض بن سارية قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) رواه أحمد والحاكم والبيهقي وصححه. أما باقي الأنبياء فكانوا أنبياء حين بعثوا لا قبل ذلك، وكذلك خاتم الأولياء. هو الولي المحمدي الجامع لجميع مشارب الأولياء مع انفراده بمشربه. فولايته أصل لكل ولاية وجميع الولايات فرع من ولايته. أما الأولياء: فإنما ولي محمدي جامع أو غير جامع.

فالجامع: هو من ورث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جمعته لجميع مشارب الأنبياء، ولم تفته إلا درجة النبوة، وهؤلاء استمدوا من روحانية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بواسطة الختم المحمدي الجامع؛ كسيدي محيي الدين بن عربي، وسيدي عبد القادر الجيلاني، وغيرهما، رضي الله عنهم جميعاً. وهذا استمداد بوجه خاص دون الوجه الذي استمد منه الأنبياء من رسول الله (صلى الله عليه وسلم). أما الولي المحمدي غير الجامع، فهو الذي ورث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من جهة مشرب نبي من الأنبياء. أي: استمد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بواسطة روحانية نبي. فيقال له: إبراهيمي محمدي، أو نوحني محمدي، أو موسوي محمدي. وهؤلاء هم الأفراد وخاتمهم المهدي المنتظر، وهو خاتم الولاية المطلقة، كما أن سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، خاتم الولاية الخاصة.

فمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا يزال أربعون رجلاً من امتي قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) يدفع الله بهم البلاء عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال) رواه أبو نعيم في الحلية بسند حسن.

واعلم أن كل وراثه لنبي فلها أيضاً خاتم. فيقال: مقام الختم النوحني المحمدي، ومقام الختم الإبراهيمي المحمدي. ونهاية هذه الختميات إنما هو بداية مقام خاتم الأولياء، وكل من ادعى الختمية من الأولياء فإن كانوا محمدين جامعين فإنما هي نسائم فضل سيدي أحمد التجاني (رضي الله عنه) هبت عليهم من تحت عرش مقامه الأعظم.

وإن كانوا محمدين غير جامعين فإنما يتكلمون عن الختم النوحني المحمدي، أو الختم الإبراهيمي المحمدي وغيره. فمقام الختمية ادعاه سيدي علي وفا لأبيه سيدي محمد وفا (رضي الله عنهما)، ثم رجع عنه.



(١) وشرح هذا البيت به من الأسرار الكثير.
(٢) وكشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم، ص ٤٣.

وكذا ادّعاه سيدي عيدروس بن عمر الحبشي اليمني، ثم تبين له أنه كان يتكلم في الختم الإبراهيمي.
وكذا سيدي محمد عثمان الميرغني، وقد رجع عنه.
وكذا سيدي مصطفى البكري الصديقي وقد رجع عنه.

أما سيدي محيي الدين بن عربي فقد قال في الفتوحات باب «ختم الولاية»: رأيت فيما يرى النائم حائط الكعبة قد تم إلا موضع لبنتين من ذهب وفضة، وإذا أنا هاتان اللبتان، وتم بي بناء الحائط، فأنشأ يقول:

بنا ختم الله الولاية فانتهت إلينا فلا ختم يكون لها بعدي
وما فاز بالختم الذي غمده من أمته والعلم إلا أنا وحدي
وبينما هو كذلك إذا بناد يقول: ليس لك ما ظننت وتمنيت، إنما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي على الله أكرم منه.

قال: فعند ذلك سلمت الأمور إلى خالقها ومكوّنها، ولطالما جلّت ببصيرتي في الغيوب لأطلع عليه، وعلي مقامه، واسمه، ونسبه، وبلده، وكيف حاله، فما أطلعني الله على شيء منه ولا شممت له رائحة أصلاً.

وبعد ذلك بسنتين ألف كتاب «عقلاء مغرب» فقال فيه: سألت الله أن يجمعني بخاتم الأولياء فأجابني، واجتمعت به اجتماعاً روحياً منزهاً عن الزمان، وكان بمدينة فاس، ورأيت العلامة التي أخفاها الله فيه عن عباده وكشفها لي حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه، ورأيت مبتلى بالإنكار عليه لما يتحقق به في سره من العلوم اللدنية. وكان ذلك سنة ٥٩٥هـ وكنيته أبو العباس، وإنه مكتوم الاسم عنهم ثم قبلت يده الكريمة وسألته الدعاء وانصرفت^(١).

ومن يطلع على هذا الكتاب عنقاء مغرب ويتحرى الدقة في اطلاعه يتأكد مما قلناه، وليرجع مثلاً الباب الأخير في إفصاح الكتاب العزيز بمقامه والإعلام بأحواله وآياته، يتأكد من ذلك، وليراجع في هذا الباب أيضاً هذه الأحرف السرياني التي كتبت خصيصاً لبعض العلماء لا يعلمها غيرهم.

وللعلم ولد سيدي أحمد التجاني (رضي الله عنه) سنة خمسين ومائة وألف بلدة عين ماضي بالجزائر، وقد توفي أبوه وأمه في يوم واحد رضي الله عنهم ودفنا بعين ماضي أيضاً وكان لم يتجاوز الحادية عشرة وتوفي هو (رضي الله عنه) صبيحة الخميس ١٧ من شهر شوال بعد أن صلى الصبح ثم اضطجع على جنبه اليمن، وطلب ماء فشربه ثم عاد إلى اضطجاعه فصعدت روحه إلى بارئها وذلك سنة ١٢٣٠هـ وكان عمره ثمانون عاماً.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

(١) انظر: الإمام/ صلاح الدين التجاني: كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم ص ٤٣ وما بعدها.

والى تبيينها سمددة وعلمت من الكائنات العلوية وانفسله ما وجدته
 وانا اذن منذ ذلك الوقت الى حين هلكي وافترس املني في فلكي فالوجه
 للهدية بتلك الصفة الاحدية ومن ذلك هدهدتين جابنا مقين
 وقد تحسد بذاته انوار واعطية اسرار ومن سلم علي في افقة واضهري
 بعض خلقه كوكب الاقول في ردة الملقية وقره بازعا في حله المهدية
 المشرفة فاعطى كل نور حقيقة واوضح لنا طريقته ثم تلاها الشمس الاكثر
 والبر الاضهر الذي يجلو البسوف ويشير النور وينزل الكف وهو التخلي
 المثاني والكر الاربابي فلم اقل من خوف المعجبي حتى يصل الاجل
 المستفي فاداني الاجل واقربك طلها واين هتيت عن هدهدتين
 النورية مقام التنزيه باقوله نبول الاشراف ويحل عقد الاشراف
 فعلت صدعا ويرفع كدها وهذا الاقول على قسمين لوري عيني
 فان جعل قولها في قلته فهو على نور مزينة في عالم حسيه قسبي له نور
 قربة وتكون له نور على نور وتسرور وادع على سرور وان اظلم المحل
 الماضو عند اولها فهو معري من صفات معيها قد عرف في بحر
 الذات الاقدس من سر داعي اتواب صفاتها المعنوية فانظر الى هذا
 السر السني ما اعجبه والى هذا الذوق الهني ما اعذبه ونعتت مع هذا
 النور السني في مقام الاقدس اما جهه اعولما وليالي قربة واياها
 وقد اوضح الله لنا العلامة بانه خاتم الاله مانه اعني الامانة المحمدية
 البرانية لا الامامة المطلقة الكلمة فمن لهم فنعلم ومن جهل فليقرع
 الباب وليلزم ما دام هذا النور تابعا في الحق قبل اويله في حله
 فتعقبت بالذمة وعلمت ما جعل الحق من الاسرار في يده ومن ذلك
 رحيق محتوم وقرحه من شمنه الى ان دخل عام حشره وسعدين
 ونصف يوم الهم فاعبى من الشمس ظلم الغيم وانا على حالتي
 عن رجوعي المذكور بعلي السهور وعلمي المستور في علاقل النور
 وانما يكون هذا الرحيق بالملك محتوما وكان مراده تسنما
 لانه تابع يتبع مع سموع وسنا في الاشراف والذمة
 مزجبه وتكون له الوعيد والوعز فلما دخل العام المذكور وظلت

عن خفون والشي الخان لها • لما صفي حواه الفرض والدين
 فعند ما قام فوق الفرنسي بايعه • اللوح والعا مال العلوي والنون
 سورتاه وقد احفى حقيقته • له فون استوا المي تمكين
 فان تجلي الي كوني بحكمته • له على ظهر ذلك اللون نعتي
 فلا يزال سرح الملقبات به • مقول للكائنات في الوري توني
 فقل قلب سي عن سر حكته • في كل كون قد اكس الطب خفون
 فاعلم بانك لا تدري الا الا • لم يكن فك يرحوك وصعبي
 فاعرف الحك من قبل الممات فان تمت فانت على السطحة سمون
 وان حكنت في سرحي مشهور • علام تنو فك اعال والدفا
 وارجح كل ما تحفي ونظهره • من فك صبر عن الا غبار مكنون
 وعد عليه وصنعه ما حيت به • فالتسريت يعقل التو مخزون
 فلما سمع مني العلوي ووقف على سرف منهي الغيوب وراس ما حوته
 هذه المله الا فانه من الصفات الرابنة والامر الروعانية حتى
 على ربيته وبلغ عن طليته وقال انا اكنم التسرفا واصلح لي الامر قد زال
 النكران وطرد السطان فعنايه ان علمادي لسلي لك علم سلطان
 وصف لي الخ اني اسئل وعلمي فاني انما قلت علم ارادك هذا السهد
 الشئ والتمام العلي اعلمه واو روج في علموق وطبوع التي ان
 ملكي الامر في لذي وحصلت المفايع في بدري فلما انصفت هذا
 الحصيل وهيا في الخي للقدم وراحتي للنفصيل عيت عليه انه على
 كل شي قدبر وانته تعالى من بدري حوخي التي عالم السهاده فقبلته على
 شرط الابقا للخال والتمادة اذ لا دليل فاطح لوجود نهانه ولا محقق
 لاحد بعانه اذ صعا لقال سماه وبعاني قول تنزيه وتجب لهم بان
 فيها ولدنا مزيد محصل للنتف هذا المقام نفود ارادته في ملكه فزيادة
 ما له تنصيف العية بدرك نفود ارادته في قوله عسي ابدان انما في الفتح
 او امر فزعه لكن شرط الوفا بعبده والبرادة في تميم الولاية بقوله
 وايم من عبده ففند انصر في من غير خارقة الرض الى عالم التسرف والتفيع
 تلمعتني حوادث الاكوان في الطروق ففند ذلك عرفت من الحوادث الانية

والانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ ثِقَتِي وَهُوَ حَسْبِي^(١)

قال الشيخ الإمام العالم العارف بالله أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائفي الأندلسي قدس الله روحه بجاه محمد وآله^(٢).

الوعاء^(٣) المختوم على السرّ المكتوم

حَمَدْتُ إِلَهِي وَالْمَقَامَ عَظِيمُ
وَمَا عَجِبِي مِنْ فَرَحَتِي كَيْفَ قُورِنْتُ
وَلَكَيْتِي مِنْ كَشْفِ بَخْرِ وَجُودِهِ
كَذَاكَ^(٤) الَّذِي أَبَدَا مِنْ الثُّورِ ظَاهِرًا
فَأَبْدَى سُرُورًا وَالْفُؤَادَ كَظِيمُ
بِتَبْرِيحِ قَلْبٍ حَلُّ فِيهِ عَظِيمُ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَالْحَقَائِقِ هِيمُ
عَلَى سُدْفِ^(٥) الْأَجْسَامِ لَيْسَ يُقِيمُ
عَجِبْتُ لِثُورِ الْقَلْبِ كَيْفَ يَرِيمُ^(٦)

(١) في النسخة (ط): (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم).

(٢) في النسخة (ط): [قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العارف الكامل المحقق المدقق محيي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد العربي الطائفي الحاتمي، الأندلسي رضي الله عنه وأرضاه، وحقق تاهبه بسلوك منهجه القويم. إنه جواد كريم].

(٣) في النسخة (ط): (الدعاء).

(٤) في النسخة (ط): (لذلك).

(٥) سُدْفٌ: السُدْفَةُ والسُدْفَةُ: اختلاط الضوء والظلمة جميعاً كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار.

(انظر: لسان العرب، مادة: سدف).

(٦) الرُّؤْيُ: البراج، والفعل: رام برجم، إذا برَّخ.

والرُّؤْيُ أيضاً: التباع.

والرُّؤْيُ: الزيادة والفضل.

(انظر: لسان العرب، مادة: رجم).

فَإِنْ كَانَ عَنْ كَشْفِ وَمَشْهَدِ زُؤِيَةِ
تَفَطَّنْتَ فَاسْتُرْ عِلَّةَ الْأَمْرِ يَا فَتَى
تَعَالَى وَجُودِ الذَّاتِ عَنْ نَيْلِ عِلْمِنَا^(٢)
فَفَرَّقَانُ^(٣) رَبِّي قَدْ أَتَانِي مُخْبِرًا
فَقُلْتُ: وَيَسِّرُ الْبَيْتِ صِفَ لِي مَقَامَهُ
فَقُلْتُ: يَرَاهُ الْحَشْمُ، فَأَنْشَدَ^(٤) قَائِلًا:
فَقُلْتُ: وَهَلْ يَبْقَى لَهُ الْوَقْتُ عِنْدَمَا
وَلِلْحَشْمِ سِرٌّ لَمْ يَزَلْ، كُلُّ عَارِفٍ إِلَيْهِ
أَشَارَ إِلَيْهِ التَّرْمِذِيُّ بِحَشْمِهِ^(٥)
وَمَا نَالَهُ الصُّدِيقُ فِي وَقْتِ كَوْنِهِ
مَذَاقًا وَلَكِنَّ الْفَوَازِدَ^(٦) مُشَاهِدًا
يَغَارُ عَلَى الْأَسْرَارِ أَنْ تَلْحَقَ الثُّرَى
فَإِنْ أَبْدَرُوا أَوْ أَشْمِسُوا فَوْقَ عَرْشِهِ^(٧)
فَلَرْنِشْمَا^(٨) يَبْدُو عَلَيْهِمْ شُهُودَهَا
فُسُبْحَانَ مَنْ أَخْفَى عَنِ الْعَيْنِ ذَاتَهُ

فَتُورُ تَجَلِّيهِ عَلَيْهِ مُقِيمٌ
فَهَلْ رُؤِي خَلْقَ بِالْعَلِيمِ عَلَيْهِ^(١)
بِهِ عِنْدَ فَضْلِ وَالْفَضَالِ قَدِيمٌ
بِتَفْيِينِ^(٢) حَشْمِ الْأَوْلِيَاءِ كَرِيمٌ
فَقَالَ: حَكِيمًا يَضْطَفِيهِ حَكِيمٌ
إِذَا مَا رَأَهُ الْحَشْمُ لَيْسَ يَرُومُ
نَرَاهُ، نَعَمَ وَالْأَمْرُ فِيهِ جَسِيمٌ
إِذَا يَنْسِرِي^(٣) عَلَيْهِ يَحُومُ
وَلَمْ يُبْدِهِ وَالْقَلْبُ مِنْهُ سَلِيمٌ
وَشَمْسُ سَمَاءِ الْعَرْبِ مِنْهُ عَدِيمٌ
إِلَى كُلِّ مَا يُبْدِيهِ وَهُوَ كَثُومٌ
وَأَنْ تَمَطَّطِيهَا الرَّهْرُ وَهِيَ نُجُومٌ^(٤)
وَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَقَامِ لُزُومٌ
فَمِنْهُمْ نُجُومٌ لِلْهُدَى وَرُجُومٌ^(٥)
وَتُورُ تَجَلِّيَهَا عَلَيْهِ عَمِيمٌ

(١) بمعنى: هل ترى أحدًا من الخلق عليمًا أو محيطًا بذات الحق، كلاً.

(٢) فعلنا قاصر على العلم به، أو أن ينال هذا العلم بشيء من كنه هذه الذات. فهي تعالى عن أن يعرفها أحد. وفي (ط): (علمه) وهو خطأ.

(٣) في النسخة (ط): (فراق).

(٤) في النسخة (ط): (يتعين).

(٥) في (ط): (فاشند).

(٦) في (ط): (سرى).

(٧) أي: كتاب الحكيم الترمذي (ختم الأولياء) وهو مشهور.

(٨) في (ط): (العقول).

(٩) نجوم: أي: (مفروقة) منجمة.

(١٠) في (ط): [إذا أهدروا وأشمسوا فوق حرشه]. والمقصود من أهدروا، أو أشمسوا: أي: طلعت عليهم تجليات أنوار (القطب) أو النبي (صلى الله عليه وسلم). فالبدر هو القطب عند الصوفية. والشمس هي الحبيب (صلى الله عليه وسلم).

(١١) في (ط): (فرجما).

(١٢) النجوم هنا: مصايح الهدى الأولياء الكبار.

والرجوم بمعنى: المرجومون مثل الشياطين.

ومعنى البيت: أن من ناله أنوار هذه النظرة بالرضا صار مصباحاً وهادياً، ومن كان مفضوباً عليه فقد صار شيطاناً رجيماً.

وَكَيْفَ يَرَى طَيْبَ الْحَيَاةِ سَقِيمٌ
عَلَيْهِمْ نَرَى أَمْرَ الْوَجُودِ يَقُومُ
لَهُمْ فَهُوَ قَوْلٌ يَرْتَضِيهِ كَلِيمٌ
طَرِيقَهُمْ فَزُدْ إِلَيْهِ قَوْمٌ^(٢)
وَتَامِنُهُمْ عِنْدَ النُّجُومِ لَزِيمٌ
عَلَى قَاءِ مَذَلُولِ الْكُرُورِ^(٣) يَقُومُ
عَلَيْهِمْ بِتَذْيِيرِ الْأُمُورِ عَلَيْهِمُ
وَصَاحِبُهَا بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ
إِذَا فَاخَ زَهْرًا أَوْ يَهَبُ نَسِيمٌ^(٤)
كَثِيرُ الدُّعَاوَى أَوْ يَكِيدُ زَنِيمٌ
عَبُورٌ عَلَى الْأَمْرِ الْعَزِيزِ زَعِيمٌ
إِلَى سَاعَةِ أُخْرَى وَحَلَّ صَرِيمٌ^(٥)
وَيَخِيَا نَبَاتَ الْأَرْضِ وَهُوَ هَشِيمٌ^(٦)
وَيُشْخَصُ إِمَامُ الْمُؤْمِنِينَ رَمِيمٌ
بِهِ لَمْ أزل فِي الْحَالَتَيْنِ أَهِيمٌ

وَلَكِنَّهُ الْمَزْمُورُ لَا يُذْرِكُ الشَّنَا^(١)
فَأَشْخَاصُنَا خَمْسٌ وَخَمْسَةٌ
وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْأَرْبَعِينَ نَهَايَةٌ
وَأِنْ يَشِئْتَ فَاخْبِزْ عَنِ ثَمَانٍ وَلَا تَزِدْ
فَسَبَعَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ لَا يَجْهَلُونَهَا
فَعِنْدَ فَنَاءِ خَاءِ الزَّمَانِ وَذَالِهِ
مَعَ السُّبُعَةِ الْأَعْلَامِ وَالنَّاسِ عُقْلٌ
وَفِي الرُّوْضَةِ الْخَضْرَاءِ زَنْمٌ عِدَاتُهَا^(٤)
وَيَخْتَصُّ بِالتَّذْيِيرِ مَنْ دُونَ غَيْرِهِ
تَرَاهُ إِذَا نَاوَاهُ بِالْأَمْرِ جَاهِلٌ
فَطَاهِرُهُ الْإِغْرَاضُ عَنْهُ وَقَلْبُهُ
إِذَا مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِهِ غَيْرٌ^(٦) سَاعَةٌ
فَيَهْتَرُ غُضُنَ الْعَدْلِ بَعْدَ سُكُونِهِ
وَيُظْهِرُ عَدْلَ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَمَّ صَلَاةَ الْحَقِّ تَثْرَى عَلَى الَّذِي

أما بعد:

والصلاة التي ختم بها وتمم^(٩)

حمداً لله الذي تقدّم

(١) الصنا: أول الضوء وسطوعه..

(٢) في (ط): (طريقاً فرد إليه قويم) وفي (خ): (طريقتهم) والصحيح ما أثبتناه. فالمتقصد به (الطريق الواحد الثابت المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو أقصر الطرق إلى الله).

(٣) الكرور: بمعنى التكرار.

(٤) في (ط): (وفي الروضة الخضراء اسم عداته).

(٥) في (ط): (إذا فاح زهراً ويهب نسيم).

(٦) في (ط): (نصف ساعة).

(٧) الصريم: الصبح لانقطاعه عن الليل، والليل لانقطاعه عن النهار. وفي القرآن: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: أصبحت محترقة فصارت سوداء مثل الليل، وهو من الأضداد.

وقيل: الشيء المصروم الذي ذهب ما فيه. (انظر: اللسان مادة: صريم).

(٨) هشيم: المقصود من البيت هو: عندما يعود العدل ويكثر ذكر الله تعالى في الأرض وتحيا العباد بالذكر، فتخضر أعوادهم كما يخضر نبات الأرض بعد أن كان هشيماً مثل عود الحطب.. لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم):

(ذكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء وسط الهشيم).

(٩) في (ط) والمخطوط: (والصلاة التي ختم الحمد بها وتم).

ويقول:

تَدْبُرُ أَيُّهَا الْحَبْرُ اللَّيْبُ (١)
وَحَقَّقْ مَا زَمَى لَكَ مِنْ مَعَانٍ
وَلَا تَنْظُرْهُ فِي الْأَكْوَانِ تَشْقَى
إِذَا مَا كُنْتُ نُسَخْتُهَا فَمَا لِي
أُمُوراً قَالَهَا الْفَطْنُ الْمُصِيبُ
عَوَاهَا لَفْظُهُ الْعَذْبُ الْعَجِيبُ
وَيَتَّعَبُ جِسْمُكَ الْقَدُّ (٢) الْعَرِيبُ
أَزُومُ الْبُغْدَ وَالْمَغْنَى قَرِيبُ

تبيين الغرض من هذا الكتاب

إذ كنا (٣) ألفنا كتاباً روحانياً، وأنشأناه إنشاءً (٤) ربانياً سميناه:

بـ (التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية) (٥) تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير، مسلوخ من العالم الكبير. فكلُّ ما (٦) ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر، ولم أتكلم في تلك الأوراق على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق، ولكن على ما يقابله من جهة الخلافة والتدبير.

وبيّنت فيه ما هو الكاتب منه، والوزير، والقاضي العادل، والأمناء العاملون على الصدقات، والسفر، والسبب الذي جعل الحرب له بين العقل والهوى.

ورببت فيه بين مقابلة الأعداء، ومتى يكون اللقاء (٧)، ونصرته نصراً مؤزرًا، وكونته أميراً مدبراً، وأنشأت فيه الممالك (٨). وأقمت ببعض عالمه الحياة، وبعضها (٩) المهالك.

وكمّل (١٠) الغرض وأمينَ مَنْ كان في قلبه مرض، وكنت نويت أن أجعل فيه ما أوضحه تارة وأخفيه. وأين يكون من هذه النسخة (١١) الإنسانية، والنشأة الروحانية، مقام

(١) الحبر الليب: أي العالم الكبير صاحب العقل.

(٢) في (ط): (القد).

(٣) في (ط): (كنا قد ألفنا).

(٤) سقطت من (ط).

(٥) كتاب التدبيرات الإلهية، طبع ليدن ١٩٤٨، وعالم الفكر ١٩٩٨، وحققناه وسيصدر في المجلد الثاني من أعمال ابن

عربي في مؤسسة الانتشار العربي بيروت. (إن شاء الله).

أورد صاحب المخطوط (خ) كلمة (إصلاح) (اصطلاح).

(٦) في النسخة (خ) (كلما).

(٧) في (خ): (الانتصار).

(٨) في (ط): (وأنشأت الملك).

(٩) في (ط): (ويعضهم الملك).

(١٠) في (ط): (ركهل).

(١١) في (خ): (النشأة).

الإمام المهدي، المنسوب إلى أهل بيت النبي المقامي والطيني^(١)؟ وأين يكون أيضاً منها ختم الأولياء وطابع الأصفياء إذ الحاجة إلى معرفة هذين المقامين في الإنسان أكد من كل مضاهاة من أكوان الحدثان.

لكنني خفت من نزعة العدو الشيطان، أن يصرخ بي في حضرة السلطان، فيقول علي ما لم أنوه^(٢) وأحصل من أجله في بيت التشويه فسترت بالغيران الشأن^(٣) صيانة لهذا الجسمان، ثم رأيت ما أودع الحق فيه من الأسرار لديه، وتوكلت في إبرازه عليه.

فجعلت هذا الكتاب لهذين المقامين، ومتى تكلمت على هذا فإتما أذكر العالمين لتبيين الأمر فيه، للسامع في الكبير الذي يعرفه ويعقله، ثم أضاهيه بسره المودع^(٤) في الإنسان الذي ينكره ويجهله، فليس من غرضي في كل ما أصنفه في هذا الفن معرفة ما ظهر في الكون، وإنما الأغراض ما أوجد في هذا العين الإنساني والشخص الآدمي.

فحقق نظرك أيها العاقل، وتدبر أيها الغافل، هل ينفعني في الآخرة كون السلطان مني عادلاً أو جائراً أو عالماً، لا والله يا أخي حتى انظر ذلك السلطان مني والي، واجعل عقلي إماماً علي، وأطلب منه الآداب الشرعية في باطني وظاهري، وأبايعه على إصلاح^(٥) أولى وأخرى.

فمتى لم أجعل هذا نظري هلكت، ومتى أعرضت عن الاشتغال بالناس تمكنت من نجاتي وتملكت. إذ قد قال (صلى الله عليه وسلم) يخاطب جميع أمته: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٦).

فقد أثبت (صلى الله عليه وسلم) الإمامة لكل إنسان في نفسه، وجعله مطلوباً للحق في عالم غيبه وحسه فإذا كان الأمر على هذا الحد، ولزمتنا الوفاء بالعهد، فما لنا نفرط في سبيل النجاة ونقنع بأحط الدرجات؟ ما هذا فعل من قال إنه عاقل! ويتجنب جميع هذه المعامل.

(١) في (خ): (الماء والطين).

(٢) في (ط): (على ما لا أنويه).

(٣) غير واضحة في (ط)، و(خ).

(٤) في (خ): (المودع).

(٥) في (خ): (اصطلاح).

(٦) حديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». رواه الشيخان: البخاري ومسلم، وغيرهما عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما). مرفوعاً.

انظر: كشف الخفاء، المعجلوني، ١١٥/٢ حديث رقم (١٩٤٦).

فمتى ذكرت في كتابي هذا أو غيره حادثاً من حوادث الأكوان، فإنما غرضي أن أثبتته في سمع السامع وأقابله بمثله في الإنسان، فلنصرف النظر فيه لذاتنا^(١)، التي هي^(٢) سبيل نجاتنا، فأمشيه بكليته في النشأة الإنسانية على حسب ما يعطيه المقام إما جسمانية، وإما روحانياً. فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشقيق أن غرضي من كتبي كلها الكلام فيما خرج عن ذاتي من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتي.

فَمَا أَبَالِي إِذَا نَفْسِي تُسَاعِدُنِي عَلَى النُّجَاةِ بِمَنْ قَدْ فَازَ أَوْ هَلَكَ
فَانظُرْ إِلَى مُلْكِكَ الْأَذْنَى إِلَيْكَ تَجِدُ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَلَى أَجْزَائِهِ مَلِكًا
وَزِنَهُ شَرْعاً تَجِدُهُ كُلَّ أَوْنَةٍ وَاسْلُكْ بِهِ خَلْفَهُ مِنْ حَيْثُ مَا سَلَكَ
وَلَا تَكُنْ مَارِداً تَسْقَى لِمَفْسَدَةٍ فِي مُلْكٍ ذَاتِكَ لَكِنْ فِيهِ كُنْ مَلِكًا^(٣)

فلتأمل يا ولي في هذا الكتاب فإني أذكر الأمر في العالم الأكبر، وأجعله كالقشر، وأجعل ما يقابله من الإنسان كاللُبِّ^(٤) للسبب الذي ذكرته أن يتبين للسامع ما يجهله، في الشئ الذي يعرفه ويعقله، ولو وصل فهمه إليه دون ذكره إياه، ما لحظت ساعة حياة، ولا عرضت لمحة بارق على معناه، وإنما أسوقه مثلاً للتقريب، ومجالاً للتهذيب، وسأورد ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب من لآلئ الأصداف، ونواشئ الأعراف، التي هي أمثلاً نصبها الحق للمؤمنين والعارفين، وحبالة صائده، وتحفة قاصده، وعبرة لبيب وملاطفة حبيب^(٥).

بحر طامس وبحري غاطس فيه لآلئ الإشارات في أصداف العبارات فمن ذلك مفتاح حجة، وإيضاح مَحَبَّة

ولما لم يتمكن القاصد [إلى إعلاء المقاصد]^(٦) إلى البيت العتيق أن يصل إليه حتى يقطع كل فج عميق، ويترك الإلف والوطن ويفارق الأهل والقطن، ويهجر الخلة والولد، ويستوحش في سره من كل أحد، حتى إذا وصل الميقات خرج من رِقِّ الأوقات، وتجرد^(٧)

(١) في (ط): (تصدق النظر فيه إلى ذاتنا).

(٢) في (ط): (الذي هو).

(٣) هذه الأبيات الأربعة جاءت في (ط) منثورة داخل الكلام العادي، ولم يُنتبه إلى أنها شعر.

(٤) في النسخة (خ): (كاللب).

(٥) في النسخة (خ): (وملاحظة حبيب).

(٦) ما بين المعرفتين سقط من (ط).

(٧) في (ط): (وتجرد).

من مخيطه، وخرج من تركيبه إلى بسيطه، وأخذ يلبي من دعاه، ونسي ما كان قبل ذلك وعاه، وصعد كذا ولاح له علم الهدى، ودخل الحرم محرم ولثم الحجر، وقبّل وتذكّر ميثاق الأزل، وطاف بكعبته، وأحاط بنشأته، وهكذا في جميع مناسكه يميشي على سالكه، فإن تجاوز المعنى، ووقف على حجه معنى، فذلك هو الحاج الذي يهنى، ولولا السامة من قارئه لعرفتكم به منسكاً منسكاً إلى آخره.

وابتدأت في هذا الكتاب بنكتة الحج إذ معناه تكرر القصد، إلى الواحد الفرد، والقصد أول مقام لكل طالب سراً ومحاول أمراً، وأريد أن أضع لك في هذا الكتاب أسراراً وأرسل سماءها عليك مدراراً، فأوضحت لك أول قصدي وجعلته قصداً شرعياً ومقاماً جمعياً، فإنه إذا كان القصد بهذه المثابة وهو البداية، فما ظنك بالنهاية، وأين من يقدر قدر الغاية ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١) فَأَلْتِ السَّمْعَ وَاشْهَدِ الْجَمْعَ.

أَقُولُ وَرُوحَ الْقُدْسِ يَنْفُثُ فِي النَّفْسِ
أَيَا كَغَيْبَةِ الْأَشْهَادِ وَيَا حَرَمَ الْقُدْسِ
سَرَى الْبَيْتِ نَحْوَ الْبَيْتِ يَبْغِي وَصَالُهُ
فَيَا حَسْرَتِي يَوْمًا بِبَطْنِ مُخْبِرِ
تَجَرَّعْتُ بِالْجُرْعَاءِ كَأْسَ نَدَامَةٍ
وَمَا خِفْتُ بِالْخَيْفِ^(٢) اِزْتِمَالِي وَإِنَّمَا
لَمُذَلْفِي^(٤) الْحِجَا حُجَّجٌ أَعْمَلْتُ يَا فَتَى
جَمَعْتُ بِجَنَمِي بَيْنَ غَيْبِي وَشَاهِدِي
خَلَعْتُ الْأَمَانِي عِنْدَمَا كُنْتُ فِي مَنِي^(٥)
فَفِي الْجَمْرَاتِ الْعَزْ فِي زَوْنِقِ الضُّحَى

بَأَنَّ وَجُودَ الْحَقِّ فِي الْعَدَدِ الْخَفِيِّ
أَيَا زَمْرَمَ الْأَمَالِ زَمَّ عَلَى النَّفْسِ
وَطَهَّرَ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ دَنَسِ اللَّبْسِ
وَقَدْ دَلَّنِي الْوَادِي عَلَى سَفَرِ الرَّجْسِ
عَلَى مَشْهَدٍ قَدْ كَانَ مِنْئِي بِالْأَمْسِ
أَخَافُ عَلَى ذِي النَّفْسِ فِي ظُلْمَةِ الرُّمُسِ^(٣)
لَا نُغَمُّ بِالزُّلْفَى وَالْحَقِّ بِالْجِنْسِ
بِوَثْرَيْنِ لَمْ أَشْهَدْ بِهِ زُنْبَةَ النَّفْسِ
وَطَوَّقْتُهَا فَاَنْظَرَهُ بِالطُّرْدِ وَالْعَكْسِ
أَحْصَيْتِ عَدْوَ الْجَهْلِ فَازْتَدِ فِي نَكْسِ

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٢) الخَيْفُ: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل، ومسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل. ومنه مسجد الخيف يمتى، شتى بذلك لانحداره عن الغلظ، وارتفاعه عن السيل. (انظر: اللسان، مادة: خيف).

(٣) الرُّمُسُ: إذا كان القبر مستويًا مع وجه الأرض. وأصل الرمس: الشتر والتغطية. ويقال لما يُحشى من التراب على القبر رمسًا والقبر نفسه رمس إذا تسوى بالأرض. أمّا إذا ارتفع عن وجه الأرض لا يُقال له رمس. (انظر: اللسان، لابن منظور، مادة: رمس).

(٤) مزدلفى الحجاج: موضع مشهور بمكة (طبعاً) شتى بذلك لاقتراب الناس بمنى بعد الإفاضة من عرفات. وازدلفه: أدناه.

(٥) منى: موضع مشهور بمكة أيضاً.

فَمَا أَنَا مِنْ عُرْبٍ كِرَامٍ وَلَا فُرْسٍ
 اسْتِلَامِ الْيَمَانِيِّ يَمِينٍ فِي جَنَّةِ الْقُدْسِ
 تَعَالَى عَنِ التَّخْدِيدِ بِالْفَضْلِ وَالْجَنَسِ
 تَسْوَدُ مِنْ نَكْسِ الْغُهُودِ لَدَى اللُّنْسِ
 عَلَيَّ فَلَا يَغْدُو الزَّمَانُ وَلَا يَمْسِي
 تُشَاهِدُهُ بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْأُنْسِ
 يَسْرِي بَيْنَ الْجَهْرِ لِلذَّاتِ وَالْهَمْسِ
 تُسِيرُهَا لَهُ رِيحَ أَفْكَارِهِ الْخُرْسِ
 يَسْتَيْفِ الثَّهَى مَنْ جَلَّ عَنْ رُبَّةِ الْإِنْسِ
 تَأْمَلُ هَذَا الْفَتْحَ فَوْقَ جَنَى الْغُرْسِ
 وَسَرَّخَتْ عَنِّي فَاَنْطَلَقْتُ مِنَ الْجَنَسِ
 أُرِيدُ أَرَى ذَاتًا تَعَالَتْ عَنِ الْحِسِّ
 وَغَيْبَ مُوسَى فَاخْتَفَى الْعَرْشُ فِي الْكُرْسِيِّ
 بِشَمْسِ الصُّحَى فَاَنْهَدُ مِنْ نَحْوِ الشَّمْسِ
 وَغُودِرَ فِي الْأَمْوَاتِ جِنْمًا بِلَا نَفْسِ
 وَلَكِنِّي أَدْعَى عَلَى الْقُرْبِ وَالنُّوَى
 بِلَا كَيْفٍ بَلْ تَجَلُّ كَرِيمٍ وَبِالْغُرْسِ^(١)
 وَلَكِنْ هَلْ يَرَى طَيْبَ الْحَيَاةِ سَقِيمِ

أَضْفَيْتُ عَلَى حُكْمِ الصُّفَا عَنْ حَقِيقَتِي
 رَكَنْتُ إِلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ لِأَنَّ فِي
 أَقْنُتُ أَنْجِي بِالْمَقَامِ مُهَيِّمِ
 فَشَاهَدْتُهُ فِي بِنْعَةِ الْحِجْرِ الَّذِي
 وَبِالْحِجْرِ حَجَزْتُ الْوُجُودَ وَلَوْزُهُ
 وَفِي عَرَفَاتٍ قَالَ لِي تَغْرَفُ الَّذِي
 فَلَمَّا قَضَيْتُ الْحِجَّ أُعْلِمْتُ مُنْشِدًا
 سَفِينَةَ إِخْسَاسِي رَكَبْتُ فَلَمْ تَزَلْ
 فَلَمَّا عَدَّتْ نَحْوِي الْوُجُوهَ وَعَايِنْتُ
 دَعَايِي بِهِ عِنْدِي فَلَبَّيْتُ طَائِعًا
 فَعَايِنْتُ مَوْجُودًا بِلَا عَيْنٍ مُبْصِرًا
 فَكُنْتُ كَمُوسَى جِيئَ قَالَ لِرَبِّهِ
 فَذَكَ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ جَلَالُهُ
 وَكُنْتُ كَخُفَّاشٍ أَرَادَ تَمُّعًا
 فَلَا ذَاتَهُ أَبْقَى وَلَا أَذْرَكَ التُّسَى
 فَسُبْحَانَ مَنْ أَخْفَى عَنِ الْعَيْنِ ذَاتَهُ
 وَشَمْسٍ تَجَلِّيهَا عَلَيْهِ مُقِيمِ
 وَلَكِنَّهُ الرَّمُوزُ لَا يَدْرُكُ الشُّنَا

فمن لم يكن قصده على هذه المحجة وهو يطلب العين، فهو في حضرة الأين^(٢).
 فاسلك يا أخي على هذه الطريق. وقل الرفيق حتى تتصل به إليه من غير اتصال وتنفصل
 عنه إليه من غير انفصال. وتكون ظلالك تسجد له بالغدو والآصال، ومن ذلك تنزل روح
 أمين بإشراق صحيح مبین.

(١) في (ط) آخر بيت هو:

(ولكنني أدعى على القرب والنوى بلا كيف بل بفعل كريم وبالعرس)

وكلمة (بل بفعل كريم) كتبت (بالعمل) هكذا. وليس هذا هو المهم. فقد حاول صاحب المخطوط أن يشطر هذا البيت
 فيبدو أنه فشل. فأضاف بيتاً آخر فظهر كأن هناك ثلاثة أبيات زائدة في المخطوط عن المطبوع، والحقيقة أنه خلط من
 الناسخ فأورد شطر البيت من القصيدة السابقة، ثم شطر آخر، ولقن الأبيات ومع هذا أوردتها. لتجدد الإشارة (المحقق).

(٢) في (ط) جاء هذا المدخل على النحو التالي: [فمن لم يكن قصده على هذه المحجة، ولم تصح له هذه المحجة. ويطلب
 العين فهو في حضرة العين].

ولما هزم الصبح جيوش الليل وأردف عليه بسوابق الخيل، وحصل الجسم والرسم في قبضة العين والاسم وأعتقه من رق كونه وألبسه رداء صونه، ومنحه مشاهدة عينه، في أي وجه كان من أينه^(١).

عند ذلك سألني رجل من أهل تبريز، وممن يقول بدولة العزيز، وينكر سقوط التمييز، من أسرار أشراف الساعة وأماراتها وحقائقها وإشاراتهما؛ من طلوع شمس مغربها^(٢)، وروحانية مقصدها ومذهبها، وإغلاق باب توبة، وإبقاء زلة وحوبة، ونفخ دابة، ونزول مسيح، وخسف جيش بمهامه فيح وملحمة عظمى، وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى الشئنة، لا بالمرهفات البيض ولا بزرق الأسننة، وختم ولاية، وروضة خضراء، وسرّ نبوة، ومحجة بيضاء، ومن خرج من مقامه إلى مقام الزلّ، فصح له به الشرف^(٣) الأكمل، وخرج دجال لا يعنى، وقتيل^(٤) يموت ويحيا.

وقال لي: أريد منك أن تبين لي أين أسرار هذه الأكوان من نشأتي الإنسان^(٥)؟ فإني أريد أن أجعلك لشيطناني شهاباً رصداً، وأتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً^(٦).

فقلت له: وأين فتاك وقوتك^(٧)، وهل اتخذ في البحر سرباً حوتك^(٨)؟

فقال لي: لولا ما اتخذت حوتي سرباً، ما وجدت لكل شيء سبباً، ولولا فتاي ما حملت غداي.

فقلت له: سيلحقك مقامك وتأخر إذا وقع ذلك، حينئذٍ تعتبر.

ثم قلت له: وهل نسيت الحوت فارتدت قصصاً على أترك لتعرف خبرك؟^(٩)

(١) هذه الفقرة في المطبوعة جاءت على هذا النحو: [وأوجف عليه - والدمس - ... ومنحه مساعد... في جهة كان من ابنه].

(٢) في (خ): (من مغربها).

(٣) في (ط): (المشرق).

(٤) في (خ): (وهيكل).

(٥) هذه الفقرة جاءت في المطبوعة (ط) هكذا: [وأريد منكم أن تبينوا لي إلى أين أسرار هذه الأكوان في نشأة الإنسان].

(٦) استند المؤلف على: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٦٦. في لقاء سيدنا موسى (عليه السلام) بالبعد الصالح (الحض) ونصها: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾.

(٧) هنا أيضاً استند إلى: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٦٢. ونصها: ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾.

(٨) استند إلى: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٦١. ونصها: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نيباً حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾.

(٩) استند إلى: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيات (٦٣، ٦٤). ونصها: ﴿قال رأيت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنت نبي فارتداً على آثارهما قصصاً﴾.

فقال: كل ذلك قد كان، ولقد تعب من أخذَ عِلْمَهُ عن الأكوان.

فقلت له: أَوْ بَشَّرَكَ الحقُّ بأني صاحب الرحمة والعلم، فأبشر بأنك صاحب الغلظة والذم، لأنني في العين وأنت في الكم والأين، فأنت في ملكك رئيس، وأنا في سجن عالم شهادتك حبيس، وأنا في ملكوتي غَلِقْتُ نفيس، وصاحب صنعة لبوس.

فقال: إني آتيتك بقصدي فعلمي رشدي.

فقلت: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً﴾^(١).
﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾^(٢).

قلت: ﴿قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدِثَ لك منه ذكراً﴾^(٣).

وصفُّ حالٍ بعد جِلٍّ وترحالٍ

ثم قلت له: يا سيدي صان الله أنوار شيبتك، وحفظ عليك متاع غيبتك، أريد أن أعرفك قصتي، لتكون لك سلماً إلى منصتي، عسى أن يقل إنكارك، فيحسن أن وقع منك اعتذارك، فإن الذي سألت عنه من هذه الأسرار المصونة عن ملاحظة الأنوار فكيف بعالم الأفكار، لا يصلح في كل وقت إفشاؤها، ولا بأي نفخ بعثها وإحياؤها.

فإن نبأها عظيم، وشيطان مكرها أليم، وإن كان بعض ما سألتني عنه لم أعرج عليه، ولا طلبته منه، فإن الطريق الذي سلكت عليه، والمقام الذي طلبته وانفردت إليه، الذي هو مقام فردانية الأحد، ونفي الكثرة والعدد، لا يصلح معه التعرّيج على كون، ولا يقبل منه إلا ما تحقّقه عين، ولما لم تتعلق بحوادث الأكوان همتي، ولا تشوقت إليها كلمتي، كان الحق سبحانه وتعالى وجهتي ونزهتي، عن ملاحظة جهتي، فكنت لا أشهد أينا، فكيف أبصر كوناً؟!

حكمة تعليم من عالم حكيم

ثم لما رأيت السائل عن تلك المسائل والأسرار، لا تحركه دواعي الإنكار، أعرضت عنه إعراض معلم ناصح، وصرفت وجهي إلى وجهة الحق الذي بيده المفاتيح، كلها من جهة المقام الذي يعقله، وسددت الباب الذي ينكره ويجهله، حتى يتمكن في مقام السمع، ويتحقق بحقيقة من حقائق الجمع. وقمت إلى الحق مُلَبِّياً، وله مناجياً، أعددت عليّ سوابغ نعمه،

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيتان (٦٧، ٦٨)، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٦٩، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٧٠، مكة.

وأسمع السائل سرائر حكمه، وكأني لا أقصد بذلك تعليماً، وهكذا بفعله من صيِّره الحق حكيماً. فإن البيوت لا تؤتي إلا من أبوابها، والملوك لا يدخل عليها إلا بإذن حجابها. وذلك أني إن أبديت له الأسرار كفاحاً، وجد قلبه لذلك سراحاً. فسرح في عالم التجسيم سر فكره، واستوى على قلبه سلطان فكره، فصيّر نوره ناراً وقراره بواراً، فالحكيم المطلق إذا أخذ مع من هذه صفته في مناقشة الحق وأعرض عن مشاهدة جميع الخلق، بهره المقام فقطع الأوهام، وغاب عن الأجسام، واستسلم أي استسلام، ووقعت النكته في قلبه فقادته إلى معرفة ذاته وربّه، فأعرضت عنه لهذه الحكمة وأنشدت وبحثت ببعض ما وجدت بعلمه فيه، أن السلوك يجذب الحق وداعيه، وسره سبحانه بالعبد وبحقيقة فعله ينتبه ويعيه.

قَلْبِي بِذِكْرِكَ مَسْرُورٌ وَمَحْزُونٌ
فَلَوْ رَقَّتْ لِسْمَاءِ الْكَشْفِ هِمَّتُهُ
لَكِنَّهُ حَادٍ عَنِ قَضِي الشَّيْبِلِ فَلَمْ
حَتَّى دَعَتْهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ دَاعِيَةً
وَأَبْرَقَتْ مِنْ نَوَاجِي الْجَوِّ بَارِقَةً
فَالشَّخْبُ سَارِيَةٌ وَالرَّيْحُ دَائِرَةٌ
وَأَخْرَجَتْ كُلَّ مَا تَحْوِيهِ مِنْ حَسَنِ

لَمَّا تَمَلَّكَه لَمَحٌ وَتَلْوِينٌ
لَمَّا تَمَلَّكَه وَجَدَ وَتَكْوِينٌ
يَظْفَرِيهِ فَهَوَّ بَيْنَ الْخَلْقِ مِنْ كَيْفِ
أَضْحَى بِهَا وَهُوَ مَغْبُوطٌ وَمَفْشُونٌ
هَمَّتْ لَهَا نَحْوَ قَلْبِي سُخْيَهَا الْجُونُ
وَالْبَرْقُ مُخْتَطَفٌ وَالْمَاءُ مَسْنُونٌ
أَرْضُ الْجُسُومِ وَقَاحُ الْهِنْدِ وَالصَّيْنُ

فلما سمع السائل وصف حالته، وسجنت بدر سره في إرادة هالته، وتنبه لما أخفي فيه، وأبرزت له نبذة من معانيه، ورأيتُه قد أصغى إليّ بكلّيته، وخرج عن ملاحظة نفسيته، صرفت وجهي إليه، وهو فإن فيما أوردته عليه، متعطش للزيارة فيما أنشدته^(١)، وطلب مني الزيادة بحاله فزدته.

فَمَا تَرَى فَوْقَ أَرْضِ الْجِنْسِ مَرْقَبَةً
فَكُلَّمَا لَاحَ فِي الْأَسْرَارِ^(٢) مِنْ بَدَعِ
وَالْقَلْبُ يَلْتَدُّ فِي تَقْلِيْبِ مَشْهَدُهُ
وَالجِنْسُ فُلُكُ بِبَخْرِ الْجُودِ تُزْعِجُهُ

إِلَّا وَفِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ تَزْيِينٌ^(٣)
وَفِي السَّرَائِرِ مَغْلُومٌ وَمَوْزُونٌ
بِكُلِّ وَجْهِ مِنَ التَّزْيِينِ صُنَيْنٌ
رِيحٌ مِنَ الْعَرَبِ بِالْأَسْرَارِ مَشْخُونٌ

(١) في نسخة المخطوط (خ): (أنشده عليه).

(٢) هذا البيت ورد في (ط) على هذا النحو:

[فَمَا تَرَى فَوْقَ الْأَرْضِ الْجِنْسِ مَرْقَبَةً

(٣) في (ط): (الأجسام).

وَفِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ تَزْيِينِ].

رِيحِ الشَّرِيعَةِ مَحْفُوظٌ وَمَيْمُونٌ
 وَفِيهِ لِنَمَلِ الغُلُوبِيِّ^(٢) تَأْمِينٌ
 رِيحِ^(٣) وَمَا فِيهِ تَحْرِيكَ وَتَسْكِينٌ
 نُورٌ وَنَارٌ وَطِينٌ فِيهِ مَشْنُونٌ
 وَبَيْنَ رَبِّي مَقْرُوضٌ وَمَنْشُونٌ
 إِذَا تَحَقَّقْتَ مَوْضُوعًا وَمَيْمُونٌ
 فَإِنَّ قَلْبَ كِتَابِ اللَّهِ يَأْسِينُ
 عَلَيَّ مِنْ دَفْءِهِ فِي نَشَائِي جِينُ
 وَلَا لَعِينُ^(٥) الَّذِي تَبْكِيهِ تَبْيِينُ
 أَخْفَانِي عَنْ عِلْمِهِ فِي عَيْنِ الطَّيْنِ
 غَيْمِ الغَمِّ وَأَنَا فِي الغَيْبِ مَخْرُونٌ
 يَمْشِي الهُؤُونَنَا وَفِي أَعْطَافِهِ لِينُ
 عَذِي وَغَارَ لَهْ حُورٌ بِهَا عَيْنُ
 لَمَّا مَضَى مِنْ هَوَاهِ الفَرْضِ وَالدَّيْنِ
 اللُّزْخِ وَالقَلَمِ الغُلُوبِيِّ^(٦) وَالنُّونِ
 لَهُ فُورِنُقُ اسْتِواءِ الحَقِّ تَمَكِّينُ
 لَهُ عَلَيَّ ظَهْرُ ذَاكَ اللُّونِ تَغْيِينُ
 يَقُولُ لِلنَّكَائِنَاتِ فِي الوَرَى كُونُوا
 فِي كُلِّ كَوْنٍ فَذَاكَ القَلْبِ مَغْبُونُ
 لَمْ يَكُنْ فِيكَ يَزْمُوكُ وَصَفِينُ^(٧)
 تَمَّتْ فَأَنْتَ عَلَيَّ الثَّقَلِيدِ مَنْجُونُ

وَرَاكِبُ^(١) القُلُوكِ مَا دَامَتْ تُسَيِّرُهُ
 أَلْقَى الرُّؤَيْسَ عَلَى التَّوْحِيدِ مَقْدِمُهُ
 فَلَوْ تَرَاهُ وَرِيحَ الشُّوقِ تُزْعَجُهُ
 إِنَّ الأَوَائِلَ فِي الإِنْسَانِ مُوَدَّعَةٌ
 وَأَوْدَعُ الوَضْلُ مَا بَيْتِي عَلَيَّ كَتَبُ^(٤)
 فَالَسْرُ بِاللَّهِ مِنْ خَلْفِي وَمَنْ خَلْفِي
 يَقُولُ إِنِّي قُلْتُ الحَقَّ فَاغْتَبِرُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَتَى مِنْ قَبْلِ نَفْحَتِهِ
 لَا يَغْرِفُ المَلِكُ المَقْصُومَ مَا سَبَبِي
 لَمَّا تَسْتُرْتُ عَنْ صَلَاحِ تَمَلُّكِي
 فَكَأَنَّ يَخْجُبُهُ عَنِّي وَعَنْ صِفَتِي
 فَعِنْدَمَا قُمْتُ فِيهِ عَادَ مُفْتَجِرًا
 لَمَّا سَرَى القَلْبُ الأَعْلَى وَصَارَ إِلَى
 غُضْنِ الجَفُونِ وَلَمْ يُثْنِ العَنَانَ لَهَا
 فَعِنْدَمَا قَامَ فَوْقَ العَرْشِ بَايَعَهُ
 فَلَوْ تَرَاهُ وَقَدْ أَخْفَى حَقِيقَتَهُ
 فَإِنَّ تَجَلَّى إِلَيَّ كَوْنٌ بِحِكْمَتِهِ
 فَلَا يَزَالُ لِيَزْجُ المَلَقِيَاثُ بِهِ
 فَكُلُّ قَلْبٍ سَهَى عَنْ سِرِّ حِكْمَتِهِ
 فَاغْلَمَ بِأَثْلِكَ لَا تَذِيرِي الإِلَهَ إِذَا
 فَاغْرَفَ إِلَهَكَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ فَإِنَّ

(١) في النسخة (خ): (ومركب).

(٢) في (ط): (الملأ العليا).

(٣) في (ط): (تجري).

(٤) أي: (عن قرب).

(٥) في (ط): (ولا العيون).

(٦) في (ط): (العلام).

(٧) يرموك وصفين: أسماء لموقعين شهيرتين في التاريخ الإسلامي. فاليرموك: كانت في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر رجب ١٥ هجرية. وصفين: كانت في عهد الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).

وإنَّ تَجَلُّبَيْتَ فِي شَرْقِي مَشْهَدِهِ عَلِمَا تَنْزَرَةَ فِيكَ الْعَالِ وَالذُّوُنُ
وَلَاخَ لِي كُلِّ مَا يَخْفِي وَيَبْظَهَرُ مِنْ لِيكَ بِرُّ عَنِ الْأَغْيَارِ مَكْثُونُ
وَيَغْزِ عَلَيْهِ وَضْنُهُ مَا حَيَّيْتُ بِهِ فَالْسُرُ بَيْتَ بِقَلْبِ الْحُرِّ مَخْزُونُ^(١)

فلما سمع منتهى القلوب، ووقف على شرف منتهى الغيوب، ورأى ما حوته هذه المملكة الإنسانية، من الصفات الربانية، والأسرار الروحانية، جثا على ركبتيه وانسلخ عن ظلمته.

وقال: أنا أكتنم السر، فأوضح لي الأمر، فقد زال النكران، وطرد الشيطان، بعناية: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٢)، وصف لي الخبر أنني أسلم، وعلمني فإني أتعلم.

قلت: فلم أزل بهذا المشهد الشئبي، والمقام العلي، أعدو وأروح، في عُبُوقٍ وَصَبُوحٍ، إلى أن تمكن الأمر لدي، وحصلت المفاتيح في يدي.

فلما اتصفت بهذا التحصيل، وهيأني الحق للتقديم وورشحني للتفصيل، علمت على أنه على كل شيء قدير، وأنه تعالى يريد رجوعي إلى عالم الشهادة، فقبلته على شرط الإبقاء للحال والزيادة، إذ لا دليل قاطع بوجود نهاية، ولا تحقيق لأحد بغاية، إذ هو القائل سبحانه وتعالى قول تنزيه وتمجيد: ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾^(٣).

فحصل للمتصف بهذا المقام نفوذ إرادته في ملكه، وزيادة ما لم تتصف الهمة بدركه، فنفوذ إرادته في قوله: ﴿فعمسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾^(٤). لكن بشرط الوفاء بعهده والزيادة في تميم الآية^(٥) بقوله:

﴿أو أمر من عنده﴾^(٦) فعند انصرافي من غير مفارقة الرفيق، إلى عالم الترفيع والتلفيق، تلقنتي حوادث الأكوان في الطريق، فعند ذلك عرفت من الحوادث الآنية والأينية ما شهدته، وعلمت من الكائنات العلوية والسفلية ما وجدته، وأنا الآن من ذلك الوقت إلى حين هلكتي وافتراق ملكي في فلكي. فالرجعة المشهدية بتلك الصفة الأحدية.

ومن ذلك هددهد مبین، جاء نبأ يقين، وقد تجمّد بثلاثة أنوار، وأعطيته أسراراً ومن سلم

(١) في (ط): (مدفون).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٤٢، مكة

(٣) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ٣٥، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٥٢، مدينة.

(٥) في النسخة (خ): (الولاية).

(٦) جزء من الآية السابقة.

عليّ في أفقه، وأظهر لي بعض خلقه، كوكب الأفلو في رد المقّة، وقرمه بازغاً في حلة الهداية المشرقة، فأعطى كل نور حقيقته، وأوضح لنا طريقته ثم تلاهما الشمس الأكبر والنور الأزهر الذي يجلو السّدْف، وينير الغرف، ويزيل الكلف، وهو التجلي المثالي، والنور الإرسالي، فسَلَّم ثم أفل من مغرب الغمى، حتى يصل الأجل المسَمَّى. فإذا دنى الأجل واقترب طلع هادياً من حيث غرب.

هذا هو شمس التوجيه ومقام التنزيه بأفوله يزول الإشراك، وتنحل عقد الإشراك، فيفلت صيدها، ويرتفع كيدها، وهذا الأفلو كله على قسمين لذي عينين.

فإن جعل أفولها في قلبه فهو على نور من ربه في عالم غيبه، فبقي له نور قُربه، ويكون له نور على نور، وسرور وارد على سرور.

وإن أظلم المحل الأضواء عند أفولها فهو معرى من صفات مقيلها، قد غرق في بحر الذات الأقدسية متجرداً عن أثواب صفاتها المعنوية.

فانظر إلى هذا السر السّني ما أعجبه، وإلى هذا الذوق الهنّي ما أعذبه.

وبقيت مع هذا النور الشمسي في مقامه القدسي أناجيه أعواماً، وليالي قمرية وأياماً، وقد أوضح الله لنا العلامة بأنه خاتم الإمامة أعني الإمامة المحمدية الجزئية، لا الإمامة المطلقة الكلية. فمن فهم فليعلم ومن جهل فليقرع الباب وليلزم، ما دام هذا النور ثابتاً في أفقه، قبل أفولهِ في حقه، فتحققت ما لديه، وعلمت ما جعل الحق من الأسرار في يديه، ومن ذلك رحيق مختوم.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾^(١) إلى أن دخل عام خمسة وتسعين ونصف يوم اليوم فأعنى من الشمس ظلام الغيم، وأنا على حالتي عن رجوعي المذكور، بعلمي المشهور، وعملي المستور، في غلائل النور، وإنما يكون هذا الرحيق بالمسك مختوماً، وكان مزاجه تسنيماً، لأنه تابع متبوع، وسامع مسموع، وستأتي الإشارة إليه من بعد، ويكون له الوعيد والوعد، فلما دخل العام المذكور ومضت منه ثلاثة شهور تلقاني عند فراقِي الشمس المغربية، وتركي لها في العصابة اليبيرية الختم المذكور برقيقه، وأوضح إلى كأس التسنيم مزاج طريقه، فرأيت ختم أولياء الله الحق، في مقعد الإمامة الخاصة الإحاطية والصدق، فكشف لي عن سر محتده، وأمّرت بتقبيل يده، متديلاً على الصديق والفاروق، متدانياً من الصادق المصدق، محاذياً له من جهة الإذن، قد ألقى السمع لتلقى الإذن، ولو تقدمه منشوراً وخاتماً نور على نور فكان

(١) القرآن الكريم، سورة المطففين، الآية ٢٧، مكة

له في ذلك الجمع الطهور، ومن عداه فيه (كلايس ثوبني زور)^(١) والشمس البيئية قد قبلت يده مثلي ولحظتها.

فقال الختم: هي من أهلي ثم نازعني الحديث وتغنينا بالقديم والحديث، والساقى يحث المدامة، ويبدأ بساق عرش الإمامة، وهو ينعطف على عطفه نشوان، ويغازلني مغازلة هيمان.

ويقول: رَدُّنِي بَرْدَاءِ الْكُتْمِ فَإِنِّي أَنَا الْخِثْمُ لَا وَلِيَّ بَعْدِي، وَلَا حَامِلَ لِعَهْدِي بِفَقْدِي تَذْهَبُ الدُّوَلُ، وَتَلْتَحِقُ الْأَخْرِيَاتُ بِالْأُولُ.

وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْنَا أَذْكَرُهُ فَظَنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ

ولما تناجت القلوب بأسرارها، وطلعت شمس الغيوب من سماء أنوارها، وأخذ المجلس حده، ودخل أبو العباس^(٢) وصاحبه^(٣) عنده، وانصرف متحققاً بما عرفت، ولم تبق نكتة نادرة إلا على باب حضرتي واردة وصادرة، ولولا عهد الغيرة ما أخذ علينا دخيل إلا فشا الذي نبذ لأبرزناه لكم في حلتة وبنيته، ولكن سأجعله وراء كنيته بحليته. فمن اجتهد^(٤) ورفع ستره رأى سره، وهكذا أفعله في شمس غربنا أظهرها، لكم من وراء قلبنا في حجاب غيبنا، فمن كان ذا كشف علوي وعزم قوي شق عن قلبي حتى يرى فيه شمس ربِّي، فمن امتطى عتيق الإفشاء طلب ولحق، ومن نزل عن متنه إلى ذلول الكتم نجح والتحق، إلا إن كان كما أفعله وفعله من قلبي وفعله مغم خفي رمز ودرج مغنى في معمى لغرضي ومن ذلك البحر المتقدم المذكور وإرخاء الستور على البدور، ولما دخل شهر ميلاد النبي (عليه الصلاة والسلام) بعث إليَّ سبحانه رسول الإلهام وهو الوحي الذي أبقاه علينا، والخطاب الذي جعل منه إلينا. ثم أردفه بمبشرة^(٥) ساطعة في روضة يانعة، يأمرني فيها بوضع هذا الكتاب المكنون، والسر المصون المخزون، وسماه لي بكتاب: «الكشف والكتم في معرفة الخليفة والختم».

(١) إشارة إلى حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): «المتشيع بما لم يعط كلايس ثوبني زوره». رواه البخاري في النكاح، (١٠٦) وأبو داود في الأدب، ٨٣، ومسلم في اللباس، ١٢٦، ١٣٧، والترمذي في البر، ٨٧. كلهم عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما).

انظر: الإمام صلاح الدين التجاني: جوامع الكلم، حديث رقم (٢٣٨٧). وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ١/ ٣١١.

(٢) هذا هو لقب الختم (أبو العباس أحمد التجاني).

(٣) يقصد نفسه (ابن عربي) إذ لم يحضر هذا اللقاء غيرها كما هو واضح من الحديث الذي ساقه.

(٤) في النسخة (ط): (اجترى).

(٥) في النسخة (ط): (يمسرة).

فراجعت الملك في هذه العلامة فقال: أيها الفتى مه. ثم عاد إليّ وما رحل، وفرش المحل الأقدس وما نزل، وقال الحضرة قد وَسَمْتُهُ بكتاب [سدرة المنتهى وسورة الأنبياء في معرفة الخليفة المهدي والختم قبله ختم الأولياء].

فقلت: إني لا أجد في نفسي لهذه التسمية نكتة فلا تعجل عليّ وتأخذني بغتة.
فقال: إني أستحي.

فقلت: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(١).

فلما كان يوم الجمعة والخطيب على أعواده يدعو أولياءه إليه وعباده إذ وجدت برد كف الجذب من حضرة القرب، فتلقيت للغفلة الكلمات وتوفرت دواعي القلب، لما يرد عليه من سماء القرب، فإذا ألحظ الخطاب الأنفس، من المقام الأقدس، هل تقنع أيها الخطيب المغرب والمنتقد المعجب.

[بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سرّ الشفاء في القرن اللاحق بقرن المصطفى].

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٥٨، مدنية.

فصل

وهذه الإشارات كلها راجعة إلى النسخة الصغرى، لا إلى النسخة الكبرى. فقد بيّنتُ لك آنفاً أن لا فائدة لك في معرفة ما خرج عن ذاتك إلا أن يتعلق به سبيل نجاتك، فشمس المغرب ما طلع في سماء غيبتك من أنوار العلوم، وتجلى على قلبك من أسرار الخصوص والعموم، كما أن الختم ما ختم به على مقامك عند منتهى مقامك، وكذلك إذا كنت في مقامك الخاص بك بين إخوانك على ما كان عليه من تقدم من صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) من العمل السنني والمقام العلي فقد لحق زمانك بزمانهم وصرت من جملة أقرانهم ومن ذلك رفع ستر ومجاهدة ومعاودة بكر ولما نصّ ما ذكرته، وورد عليّ بما سطرته.

قال: هل رأيت يا محمد^(١) هذه الإشارة في تأخير هذه العبارة، الوزير عن الوزارة، للوزارة عن الأمر في وقت الإمارة. لولا خلافة الصديق لرجع الناس عن الطريق، لعدم الكشف ومعرفته وهل الخليفة إلا بعد ثبوت المستخلف ولهذا توقف المجادل المتعسف.

فقال: قل له يا محمد هيهات يا إنسان ما لا بد من كونه فكأنه قد كان وكان، لكنه غير موجود في عالم التغيير والحدثان. إنما الحكمة أخرته لسرّ أضرته سيظهر ذلك في أوانه، وحُلُول زمانه.

فشمس المغرب دون رتبة الصديق فعليك بالكتم، كما أن الصديق فمن دونه تحت لواء الختم، وذلك أن أنوار الغيوب الساطعة في القلوب، التي كنيها عنها قد ينالها من ليس بصديق أكبر ولا له ذلك المقام الأخطر، بل قد ينالها الممكور به والمستدرج المغبون.

(١) أي: (محمد بن علي الحاتمي الطائفي) المؤلف.

وسرُّ هذا في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

والصدِّيقية لا ينالها إلا أهل الولاية، ومن كان له عند الله أولاً سابق عناية، وهي السبيل في نجاة من اتصف بها وتمذهب بمذهبها، فلهذا جعلنا الشمس دونها والنهار كونها، كما أن الختم فوق رتبة الصديق. إذ كان المهد للطريق الذي مشى عليه عتيق فالختم نبوي المحتد، علوي المشهد، فلهذا جعلناه فوق الصدِّيق كما جعله الحق فالأخذ من نوره أخذ من مشكاة النبوة أكبر من أخذ من مشكاة الصدِّيقية. فبين التابع والمتبوع والصاحب، كما بين الشاهد والغائب.

ولما صَحَّح أن الختم مقدّم الجماعة، يوم قيام الساعة، ثبت أن له حشرين، وأنه صاحب الختمين ويشركه ذو الأجنحة في حشْرية وينفرد الختم بخاتميته، وذو الأجنحة في الإنسان من غلبت عليه الروحانية والتحق بتطهير نفسه بالرتبة الملكية ولا دفاع عندنا في هذا المقام ولا نزاع^(٢) وعلى قدر ارتقائه لها يكون مع صاحب مثنى وثلاث ورباع، فإن كان أمين الأرواح، فسيكون له ستمائة جناح، ولا حرج عليه في ذلك ولا جناح، وإنما سميناه خاتماً، وجعلناه على الأولياء حاكماً، لأنه يأتي يوم القيامة وفي يده اليمنى محل الملك الأسنى خاتم مثالي جسماني، وفي يده اليسرى محل الإمام الأيسر خاتم نزالي روحاني، وقد انتشر باليمين في جملة أهل التعيين، وقد انتشر باليسار مع أهل التمكين، فقد خصص بعلمَيْن، وخوطب باسمين [فله التراس في الآخرة الحافزة والتقدم في الأولى والآخرة]^(٣) فتفطن أيها اللبيب لهذه الأسرار واسع لضياء هذه الأنوار، ومن ذلك وهن إغلاق وأخذ ميثاق، ولما سمعت ما ذكره أظهره لعيني ما كان ستره، عزم عليّ في تقييد هذه النبذة الأقدسية، وأخذ عليّ العهد إن أجرّدها من غلائلها السندسية، حتى لا تبتسم عن إغريض، ولا يظهر لبرقها وميض.

وقال: هي رهن في يدك وقد غلق فلا تبتس فامسك عليه ولا تخرجه فتفتلس.

فتوجه الأمر عليّ عند ذلك في إفشاء هذا السرِّ المكتوم والكتاب المختوم، إفشاء تعريض لا تصريح، وإعلام تنبيه وتلويح، ولما تلقيت منه الأمر على هذا الحد، ودخلت تحت هذا العقد، لزمني الوفاء بالعهد، فأنا الآن أبدي تارة وأعرض تارة، [وياك أعني فاسمعي يا جارة]^(٤)

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٨٢، مكة.

(٢) في (خ): (ولا دفاع) أيضاً.

(٣) ما بين المقوفين سقط من (ط).

(٤) مثل عربي [إني أعني فاسمعي يا جارة]. أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري عندما خرج يريد النعمان فمرّ بيمض أحياء طعى. فلم يجذ سيد الحي، فقالت له أخته: انزل على الرحب والسعة، فنزل فأكرمه، ولاطفته، ثم خرجت من خباتها فدهشه جمالها، فوقع في نفسه منها شيء. فجعل لا يدرى كيف يرسل إليها، فجلس بفناء الحياء يوماً، وهي =

فكيف أبوح بسري أو أبدي بمكنون أمري وأنا الموصي به غيري في غير ما موضع ما من نثري ونظمي.

أَكْثَمُ السُّرِّ وَلَا تُبْدِيهِ فَالْبَوِّخُ بِالسَّرِّ لَهْ مَقْتُ
عَلَى الَّذِي تُبْدِيهِ فَاضْبِرْ لَهُ وَاكْثُمُهُ حَتَّى يَصِلَ الْوَقْتُ

فمن كان ذا قلب وفطنة، شغله طلب الحكمة عن البطنة، فوقف على ما رمزناه وفك المعنى الذي لغزناه، ولولا الأمر الإلهي لشافهنا به الوارد والصادر وجعلناه قوتاً للمقيم وزاد الراحل^(١)، ولكن جف القلم بما سبق في القدم، فما أشرف الإنسان حيث جعله الله محل روحانيات هذه الأكوام فقد أبدع الله سلخه حين أوجده وأكمل نسخه والله الكفيل ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(٢) ومن ذلك موقف اختصاص ونتيجة إخلاص^(٣)، ولما كان هذا الأمر يدخل الصدق والمين، ولو كان عند قائله عن مشاهدة عين، لما كان يقطع بصدق السامع، إلا أن يتأيد ذلك الخبر بإعجاز قاطع، أو نور حسن ظن بقلبه ساطع.

ولهذا قال الإمام أبو يزيد^(٤) (رضي الله عنه): لموسى الديبلي^(٥): إن المؤمن بكلام أهل هذه الطريقة مجاب الدعوة عند العلي، فقد حصل للمؤمن الصديق الاشتراك مع الصادق بطريق حسن الظن لا بدليل الخوارق، ولما كان الأمر عند الخلق بهذه النسبة وحججوا عما له عند الله من عظيم النصبة أخفيناه عنهم رحمة بهم وجرينا معهم على مذهبهم فما أظهرت النبوة للجمهور إلا قدر حمل عقولهم خوفاً من نفورهم له وذهولهم فيقعوا في تكذيب المخبر الصادق فتحل بهم لذلك مثلات العوائق.

ثم جرى على هذا المهتبع السلف الصالح من الصحابة، ونزلوا من مقام الهيبة إلى مقام المزاح والدعابة، اقتداءً بمن مازح الشيخة وذاته التغيير بما ظاهره موهم وباطنهم خير وتستر

= نسمع كلامه فأنشد:

بِأَخْتِ غَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي لَيْسَى فِزَارَةَ
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِمَطَّارَةَ إِثَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعِي بِأَجَارَةَ

فهو مثل يضرب لمن يتكلم بكلام، ويريد به شيئاً غيره.

انظر: الميداني: مجمع الأمثال، ٨٠/١ رقم (١٨٧).

(١) في النسخة (ط): (المسافر).

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٩. وقد استكمل في (ط) جزء آخر منها ولكنها ناقصة من الوسط. ونص الآية:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

(٣) في النسخة (خ): كلمة (إخلاص) سقطت وكتبت على الهامش استدراكاً (اختصاص).

(٤) (أبو يزيد البسطامي). انظر ترجمة له في داخل المجلد.

(٥) في النسخة (ط): (موسى الديبلي).

بالمعاملات في الظواهر، وتكتموا بما حصل لهم من العلم المصون والسرائر، وإن كان قد نبهوا رضوان الله تعالى عليهم عن أمور ليست عند الجمهور خوطبوا بها من وراء الستور فقد قال أبو هريرة (رضي الله عنه): لو بثته لقطع مني البلعوم.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): لو فترته لكنت بينكم الكافر المرجوم.

لما رأوا أن حقائق الغيوب فوق مراتب بعض القلوب فأخذوا الأمر من فوق معرفة ومشاهدة وذوق ورتباً نبوياً محفوظاً ومقاماً علوياً ملحوظاً إذ أشار في إنبائه لما لقنه ليلة إسرائه من تحصيل علم أخذ عليه كتمه لما عسر على غيره فهمه.

ولما كانت هذه العلوم التي أنا واضعها في هذا المجموع وأشباقه من هذا القبيل ومتلقاه من هذا الجيل ومما لا يصح إلا بعد مفارقة جبريل، وكل صنف من الملأ الأعلى وقيل: لا يصح عندنا إذاعتها، إلا أن يرفع حجابها فتكشف سريرتها، فكل ما أبعدناه لعين الناقد البصير إنما هو من تلقيات الروح الأمين ومن سدره منتهى السالكين وبعض تلقيات اليقين والتمكين من حضرة المناجاة بلغة الأنس، لإزالة سطوة الهيبة ونزول رحمة الأنس، فما ظهر منها إلا قدر إبصار الناظرين فمنهم من فهم وسلم ومنهم من جال بها في ميدان المتناظرين.

ومن ذلك موج مجنون تجرد عنه لؤلؤ مكنون، ولما توالت عليّ الأسرار وسطعت من جميع مسام أشعة نشأتي الأنوار اغتسلت بالماء القراح لسد المسام، فانعكست الأنوار إلى محل الإلهام، فتفجرت جداولها وأنهارها، واشتد الريح الغربي فتموجت بحارها، فدخل الموج بعضه في بعض، وأسرع إلى ما أبرمه التبرم بالحل والنقض، فلا تبصر إلا سحاباً مركوماً وموجاً مجنوناً.

﴿في بحر لحي يغشاها موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾^(١). حتى ما بقي على ظهر هذا البحر فلك يجري، ولا ظهر في جوه فلك يسري، إلى أن لطف المغيث سبحانه فسكن من الريح ما اشتد وكثر الموج بالساحل وامتد فرمى بزبده على سفينة زبده مخض لوضع الوقت وشريعة.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾^(٢) وحققوا طريقهم ومذهبهم، فذاك الزبد قدر ما خرج من بحر قلوب العارفين على ظواهرهم إلى الخلق ولا يعرف قدره إلا صاحب ذوق.

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية ٤٠، مدنية.

(٢) حديث ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ انظر الدر المنثور ج ١ ص ٧٣ عن عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

وهذا الكتاب المحفوظ من طوارق العليل والمسمى في غيايات الأزل [بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، ونكتة سرّ الشفاء في القرن الملاحق بقرن المصطفى] من ذلك الزيد الذي رماه الموج يلوح للمنفرد به الفرد وللجامع الزوج، فمن شاء فليوتر ومن شاء فليشفع، وهذا القرن قد آن زمانه وقرب أوانه فليتأهب المتأهب للحول، وليستغنم السعي لهذا النور الإلهي قبل أفوله.

لا تعجب يا أخي فإن القرن الملاحق بقرن المصطفى، لم يزل موجوداً ما دام الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى مشاهداً له والحق له مشهوداً وإن كان الذي قد أشار إليه الشرع، وجاء به السمع، في عبارة الهرج والمرج والقتل فذلك أوان التقدم والفضل (فإن للعامل منهم أجر سبعين من تقدم) ^(١) وإن كان الإمام المتقدم، فإنهم لا يجدون على الخير أعواناً كما وجدوا، ولا يشهدون لإمامهم غيباً كما شهدوا، ولا شيء أقوى من إيمان غيب إذ لم يلحق بصاحبه ريب، وذلك زمان الفتنة وحلول البلايا والحنن ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ ^(٢).

فتأمل هذه الإشارة في نفسك، واجتمع عليها بقلبك وحسك، فإن الزمان شديد، وجباره عنيد، وشيطانه مرید، فانسلك منهم انسلاخ النهار من الليل، وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور والويل، فقد نصحتك فاعلم وأوضحت لك السبيل فالزم، ومن ذلك نكاح عقد، وعرس شهد، ولما كان ما صدق من الرؤيا جزءاً كبيراً نبوياً قطعنا بتصديق ما تهديه، وتنعم به من أيادي الحق وتستهديه، فدخلت بيت الأنوار وانسدلت الحجب والأستار غيرة على الحرم والأبكار فبينما أنا أناجيه بين يديه، إذ جذبني جذبة عزيزة إليه، فأقامني الحق في مقام البحر الذي على موجه وطمي، ودخل بعضه في بعض ونمي، وأنا في حالة لا يعرفها إلا من كابدها ولا يصفها إلا من شاهدها كما قيل:

لا يَغْرِفُ الشُّوقُ إِلَّا مَنْ يُكَايِدُهُ ولا الضَّبابَةُ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

فأقمت متكئاً على اليمين، وتركت قلبي مقابلاً عليين، إذ هو محل الحق، ومقعد الصدق، وقد غمره الماء وأحاطت به الأنوار فلم تزل أمواجه تصطفيق ورياحه تنزعج وتختفق

(١) حديث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه: «أن للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً منكم». رواه الترمذي في تفسير سورة ٥، ١٨. ورواه أبو داود في الملاحم، ١٧. ورواه ابن ماجه في الفتنة، ٣١. (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ١٩/١، مادة: أجر).

(٢) القرآن الكريم، سورة النجم، الآيات (٢٩، ٣٠)، مكة.

إلى أن فُتِحَ في الورك الأيسر الأعلى قدر خرق الإبرة، فرشح منه قدر رأس الشعرة، رأيت منها العبرة فكونها الحق تعالى سبحانه ملكياً وأنشأها منشأً فلكياً، فرأيت مسبحاً ومهللاً ومكبراً وملياً، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب الذي أنزله الحق عليّ وأبرزه للعيان على يدي وأنه قطرة من ذلك البحر المتموج ورشحة من ذلك الموج الأهوج.

فالحمد لله الذي صيّرني ملكاً محيطاً وجعلني له روحاً بسيطاً، فانظر وتأمل أيها الولي الأكمل إلى نبي قد فقدت جثته وبقيت عند الآحاد سنّته فَبُعِثَ من قبره وسيّر به إلى حشره، والتحق الحي بالميت فحشر، وحصل رب البيت في البيت فعمر، فخطب حميره من عتيقه، وانتزعها من يدي صديقه، فأصدقها عدداً غاب عني، وطلب الشهادة على ذلك مني، فكتب في خرقة حرير أحمر كتاب بزهره وكنت أول الشهود في مهره، عن إذنه (صلى الله عليه وسلم) وأمره، وذلك في منزله الأعلى، ومقامه الأجل الأجل. فلما صح أمره ترك بيدي مهره ودخل منزله بعمره واختلى بها وبنفسه وبقي المهر بيدي إلى انقضاء أمدي.

فلما لاح الصبح لذي عينين وجمع لي بين النورين لم أجد عرساً ولا بعلاً غير ذاتي ولا صدى ما غير خلقي وصفاتي فكنت البعل والعرس. وزوّجت العقل بالنفس، فتطهرت الحميرة^(١) ببعلها، وتأيدت بعزيمة عقلها، فعمجت من أمري وأمرها، ولما لم يكن غيري وهكذا وقفت عند رفع الستور، على مخبات الأمور، فمن ساحل ما له بحر يحتمي به وزوجه، وفي بحر لا ساحل له يكسر عليه موجه، ومن ناطق بحقائق بغير لسان ولا مخارق، ومن صامت لا يبرح داعياً وإلى الله هادياً ومن كرة لا مكان لها ما عرفها أحد ولا جهلها، ومن قبة ما لها عمد، ومن عمد ما له في الأرض مستند، إلى أسرار تتدنس بالذكر صحتها ولا تخلص بالفكر إذ هي من حضرة ما خطر على قلب بشر ولا وعتها أذن واعية بالخبر ولا أدركتها حقيقة بصر كما قلت:

وَسَاحِلٌ مَالَهُ بَخْرُ	عَجِبْتُ مِنْ بَخْرِ بِلَا سَاحِلٍ
وَلَيْلَةٌ لَيْسَ لَهَا فَجْرُ	وَصَخْوَةٌ لَيْسَ لَهَا ظُلْمَةٌ
يَفْرِقُهَا الْجَاهِلُ وَالْخَبْرُ	وَكُرَّةٌ لَيْسَ لَهَا مَوْضِعٌ
جَارِيَةٌ مَزَكَّزُهَا الْقَهْرُ	وَقُبَّةٌ خَضْرَاءُ مَنْصُوبَةٌ
وَلَا مَكَانَ خَفِيَ السُّرُ	وَعُمْدٌ لَيْسَ لَهَا قُبَّةٌ

(١) الحميرة: والحَمِير: سائر أبيض مقشور ظاهره تؤكد به السروج، ويُسمى: الأَشْكُر.

(انظر: لسان العرب، مادة: حمير). وهنا يبدو معنى الصغيرة حمراء اللحم.

حَبَطْتُ سِرّاً لَمْ يُغَيِّرْهُ كَمَنْ
فَقُلْتُ مَا لِي قُدْرَةٌ فَارْفُقُوا
فَإِنَّ بِالْفِكْرِ إِذَا مَا أَسْتَوِي
فِيضِيحِ الْكُلِّ حَرِيْقاً وَلَا
فَقِيلَ لِي: مَنْ يَنْجِسِي زَهْرَةَ
مَنْ حَطَبَ الْحَشَنَاءَ فِي حِذْرِهَا
أَغَطَيْتُهَا الْمَهْرُ وَأُنْكَخَتْهَا
فَلَمْ أَجِدْ غَيْرِي فَمَنْ ذَا الَّذِي
قَالَ ثُمَّنْ قَدْ أُذْرَجُ فِي صَوْنِهَا
فَالدَّهْرُ مَذْمُومٌ وَقَدْ قَالَ

وإني أريد أن أظهر لك من العجائب ما تيسر، وأمهّد لك ما توغر، فوالله لو رأيت يا أخي حال العارفين إذ خرجوا من نفوسهم ودرجوا عن محسوسهم. فظهرت قلوب، وأظهرت غيوب، ورفعت أستار، واطلعت أنوار، وكانت التجليات على مقدار. فمن شاهد قدساً، ومن شاهد أنساً، ومن شاهد عظمة وجلالاً، ومن شاهد ملاطفة وجمالاً، ومن بهت عن أبنية ومن خطفه في هوية، فلو اطلعت عليهم غيباً، لوليت منهم فراراً وملكت منهم رعباً، لانعدامك عند تلك المشاهدة وتعديك، وسقوط قواك وحلّ تركيبك، فإذا سلكت باب المناصحة، شهدت الحق منك مكافحة، فتشدد عند ذلك ما يشوق السالك:

أَتَانِي الْحَقُّ لَيْلًا مَكْلَمًا كِفَاحًا
وَأَرْضَعَنِي ثَدْيِي الْوُجُودِ تَحْقُقًا
وَلَمْ أَقِثْ الْقَبْضِطِي لَكِنْ زَجْرْتُهُ
وَمَا ذُبِحَ الْأَبْنَاءُ مِنْ أَجْلِ سَطَوْتِي
فَكُنْتُ كَمُوسَى غَيْرَ أَنِّي رَحْمَةٌ
لَقَرْتُ أُمُورًا إِنْ تَحَقَّقَتْ سِرُّهَا

فإذا كان الأمر العظيم في المسلك الموسوي، فما ظنك بالصرراط السوي، والمسلك الحمدي.

ففي الصراط إشارة فندبر العبارة، وانظرها آية وإمارة، واجعلها زنداً تقتبس ناره، فإن بالمزج والامتزاج العقار والحك يريك النار وها أنا إن شاء الله تعالى آت لك من السر المكنون والأكوان ما شاهده العين والمقام وما سبب البدوّ، ومن كان أول النشأة وكيف كان ذلك

الأول مشرق الأنوار وينبوع الأنهار، وعنه كان العرش والعالم الأوسط والفرش والجماد والحيوان وهو أول الأكوان. وأريك ذلك كله قد أودعه الرحمن في ذاتك، وجعله من جملة صفاتك.

فأنت المثل المشبه، وذلك المثل المنزه، فإن قلت وأين حظي من التنزيه، وحظه من التشبيه؟ فعند المواجهة والتوجيه، يتردد كل واحد منكما بين التنزيه والتشبيه. فإياك أن تغفل، عن فتح هذا الباب المقفل، واللّه يحسن عونك، وإذا فتح لك أن يديم صوتك، وبدايتنا في هذا الكتاب إن شاء الله بمعرفة المعبود وأنه لا يعرف من ذاته سوى الوجود.

ثم بعد ذلك أتكلم فيما ذكرته، وأسوقه على ما شرطته، ومنه أملي وبه أستعين، وعليه أتوكل وعنه أبين، فأنا منه إليكم وإليه منكم. من غير إلى ومن، وأنا الأمين الحافظ المؤمن وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وسلم.

في معرفة الذات والصفات والأفعال^(٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البحر المحيط الذي تسمع لموجه غطيط، في معرفة الذات والصفات والأفعال، أنكحتها بكر صهباء في لجة عمياء. وهي معرفة ذاته جلّت عن الإدراك الكوني والعلم الإحاطي غطس الغاطس ليخرج ياقوتها الأحمر، في صدفة الأزهر، فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صفر اليدين، مكفوف اليدين، أخرس لا ينطق، مبهوت لا يعقل، مكسور الجناحين، فسأل بعد ما رجع إليه النَّقْسُ وخرج من سدفة الغلس.

ف قيل له: ما رأيك وما هذا الأمر الذي أصابك؟ فقال: هيهات لما يطلبون وبعد الماء يرومون واللّه لا ناله أحد ولا تضمن معرفته روح ولا جسد، وهو العزيز الذي يُدْرِكُ ولا يُدْرَكُ، والموجود الذي يَمْلِكُ ولا يُمْلِكُ.

إذا حارت العقول وطاشت الأبواب في تلقي صفاته، فكيف لها بدرك ذاته، ألا ترى حكم تجليه في ربوبيته في الأزل، كيف خر الكليم صعقاً وتدكدك الجبل، فكيف لو تجلى في هذه الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيه موسى، لكان صاحب زمانه لا موسى، بعد اندكاك وهلاك، وبعث في نشأة مثليه وأفلاك، إذا كان تجلي الربوبية على هذا الحد، فأين أنت من تجلي الألوهية من بعد، وإذا كان هذا حظ المتبوع من الكليم، فكيف بحظ التابع الخليم. فقد رمزنا في الصفات أسراراً يعجز عنها اللبيب فلا يصل أحد إلا إلى ما قَدَّرَ له منه.

(٥) هذا العنوان من المحقق.

وأما معرفة الذات:

فمكتتفة بالنور الأضوائي في غمى^(١)، محتجبة بحجاب العزة الأحمى، مصونة بالصفات والأسماء، فغاية من غاب في الغيب، الوصول إلى أقرب ثوب، ونهاية الطلاب الوقوف خلف ذلك الحجاب هنا وفي الآخرة وفي النشأة الدنيوية وفي الحافرة، فمن رام رفعه أو تولى صدعه في أي مقام كان عدم من حينه، وطويت أرضه وسماه بيمينه، ورجع خاسراً أو بقي حائراً وكان قاسطاً جائراً، ورد إلى أسفل سافلين وألحق بالطين فمن كان من أهل البصائر والألباب، وتأدب بما يجب عليه من الآداب، أن وصل إلى ذلك الحجاب، الذي لا يرفعه سبحانه عن وجهه فكان يوقف على كنهه محال، فلا سبيل إلى رفع ذلك الحجاب بحال.

فإذا وصل إليه العاقل اللبيب الفطن المصيب وأفرغ عليه رداء الغيرة قال أغار عليه أن يعلمه غيره، فوقف خلف الحجاب وناداه باسمه الوهاب أيها البعيد الأقرب إلينا من حبل الوريد. فيجيبه الحق بالمزيد وحقائق الوجود وتقدس وتنزه وتملك وتشبه وحل حيث شاء من جنة الصفات وارتاح في رياض الكلمات وجال وصال بالتجلي المتعالي لا يرد له أمراً، ولا يحجب عنه سرّاً، ونادى الحق من عرشه من عرش التنزيه خلف حجاب عزة التنويه: هذا عبدي حقاً، وكلمتي صدقاً، عرف فأصاب، وتأدب فطاب.

فليقل جميع ما تضمنته هذه الحضرة إليه، ولينصب ذلك كله بين يديه، ليأخذ ما شاء مختاراً ويترك ما شاء ادخاراً، فيؤتي الملك من شاء وينزع الملك ممن شاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير^(٢) وهو الحكيم الخبير.

وهذا مقام الأدباء، ومنزل الأمان، وحضرة اللقاء، وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه، وقوة عزمه، وإن شملهم المقام وعمّ، فمنهم التام ومنهم الأتم، ومن هذا المقام يرجع صاحب الجماعة، وفيه يبقى من قامت في حقه الساعة فهو المنتهى الخاتم ومقام الجلال والإكرام.

وقلت:

مَوَاقِفُ الْحَقِّ أَذْبَثِي وَإِنَّمَا يَوْقِفُ اللَّبِيبُ
أَشْهَدُنِي ذَاتَهُ كِفَاحاً فَلَمْ أَرِ شَمْسَهَا تَفِيبُ

(١) في (ط) جاءت الجملة على هذا النحو: [وأما معرفة الذات فمتفتحة بالنور الأضوائي عمى].

(٢) استند إلى معنى كامل في: القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٢٦، مدينة

وَاتَّخَذَتْ ذَاتِنَا فُلْمًا كُنْتَ أَنَا الْعَاشِقُ الْحَيِّبُ
أَرْسَلَنِي بِالصِّفَاتِ كَيْمَا يَغْرِقُنِي الْعَاقِلُ الْمُصِيبُ
فَيَأْخُذُ السَّرَّ مِنْ فُؤَادِي فَتَفْتَيْدِي بِاسْمِهِ الْقُلُوبُ

فإن قلت فأين معرفة الياقوت الأحمر المصون في الصدف الأزهر فأقول:

إن معرفة الياقوت الأحمر أن لا يعرف ولا يُحَدُّ ولا يوصف، فإذا علمت أن ثم موجوداً ألا يعرف، فقد عرفت وإذا أقررت بالعجز عن الوصول إلى كُنْهِهِ فقد وصلت فقد صحت الحقيقة لديك، واتضح الطريقة بين يديك، فإنه من لم يقف على هذا العلم ولا قام به هذا الحكم يدوم ما لا يحصل له، وذلك لما ذهل عنه وجهه، فكفك أن تعلم أن لا يعلم وهذا الحق قد انبلج صبحه فالزم، واقتد بالنبي والصدِّيق وإذا قال (صلى الله عليه وسلم): (لا أحصي ثناءً عليك أنت، كما أثبتت على نفسك)^(١).

وهذا غاية العجز، أو معرفة من وقف عند حجاب العز.

وقال الصدِّيق الأكبر: العجز عن درك الإدراك إدراك.

فلا سبيل إلى الاشتراك، وليس بعد حجاب العزة الإلهية إلا الكيفية والماهية فسبحان من بعد وقرب، وتعالى ونزل، وعرفه العارفون على قدر ما وهب، وحسب كل عارف به ما كسب فكسب، وذلك من صفات السلب فغاية معرفتنا أنه موجود وأنه الخالق والمعبود، وأنه السيد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد، وهذا كله راجع إلى التنزيه، وسلب التشبيه، فتعالى أن تعرف منه صفات الإثبات، وجل أن تدرك كنه جلاله المحدثات، وإذا كانت صفات الجلال لا يحاط بها، فكيف من قامت به واتصف بها، فجعل الكبير المتعال العزيز الذي لا ينال، فبحر الياقوت الأحمر هو المسمى بـ ﴿أَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣)، فقد أشار إلى حجاب العزة الذي ذكرناه، والسر الذي وصفناه.

الصفات: لمحةً بارق، وخيال طارق: قل للباحث على ما لا يصل إليه، والطالب فوق ما

(١) حديث: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثبتت على نفسك».

رواه الإمام مسلم في الصلاة ٢٢٣، ورواه أبو داود في الصلاة، ١٤٨، والوتر، ٥، ورواه النسائي في قيام الليل ٥١، ورواه الترمذي في الدعوات، ٧٥، ١١٢، ورواه ابن ماجه في الدعاء ٣، وفي الإقامة ١١٧، ورواه الإمام مالك في الموطأ من القرآن ٣١، ورواه الإمام أحمد بن حنبل ٩٦/١، ١١٨، ١٥٠، ٥٨/٦.

(انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ٣٠٤/١، مادة: نثي).

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الصافات، الآيات (١٧٨ - ١٨٠)، مكة.

يكفيه، هل عرف من الحق غير ما أوجده فيه. والأفهل أثبت له ما لم يتصف به، وهل زلت في معرفته عن الأمر المشتبه إلا من طريق السلب والتنزيه، والتقديس ونفي التشبيه. وإن قلت: هو الحي، المتكلم، القدير، المريد، العليم، السميع، البصير، فأنت كذلك. وإن قلت: الرحيم القاهر حتى تستوفي أسماءه، فأنت هناك.

فما وصفته سبحانه بوصف إلا اتصفت به ذاتك، ولا تسميه باسم إلا وقد حصلت منه تخلقاً وتحققاً مقاماتك وصفاتك، فأين ما أثبت له دونك من جهة العين وغاية معرفتك به أن تسلب عنه نقائص الكون، وسلب العبد عن ربه تعالى ما لا يجوز عليه راجع إليه وفي هذا المقام.

قال من قال: سبحاني ما أعظم شأنني.

دون شؤوني^(١) هيهات وهل يُعزَى من شيء إلا من لبسه؟ أو يؤخذ شيء إلا ممن حبسه؟ ومتى لبس الحق صفات النقص حتى تسلبها عنه أو تُعزّيه، والله ما هذه حالة التنزيه، وإنما الملحد الجاحد، حكم على الغائب بالشاهد، وظن أن ذلك نص فنسب إليه النقص، وإنما أنزّه نفسي أن ألبس عليها ما لبسه هذا الملحد، وأعزّيهما منه حتى أكون المحقق الموحد، فنفسي إذا نَزّهت وذاتي قدست، والباري سبحانه منزّه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته.

وهو من جملة مَنَجِه لك وهباته، فالحمد لله الذي قدسك وعلى ثوب التنزيه الذي ألبسك، ولولانا ما لاح لعينك من ذلك لمحة بارق وطرقك عند هجعتك منه خيال طارق، ما صحت لك هذه العناية ولا ألبسك ثوب الخلافة والولاية وخرجت بها في وجودك كما كنت عليه في الصفة العلمية، والمشية الاختيارية، سابقة قدم قبل خط القلم.

فاعلم أنك متصل به في الصفات المعنوية، من جهة الظلال من غير اتصال منفصل عنه بالصفات النفسية المجهولة في كل حال من غير انفصال، فلولا ما وصفك بأوصافه واعتنى بك في سورة إعرافه، وأنزلك فيها منزلة في وقت القبضتين والتعالي وقوله (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)^(٢)، لما ارتفع عنه النفع والضرر، وتنزه عن صفات البشر.

(١) في النسخة (خ): قال سبحاني دون تواني.

(٢) حديث: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي....

(انظر: العجلوني: كشف الحفاء، ٢/٣٣٤ حديث (٢٨٨٩)).

فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^(١) وما كانوا له وفيه وما هم، وذلك لما خلق سبحانه وتعالى هذا الشخص الإنساني على صورته، وخصه بسيرته فصفاة الحق صفات العبد، فلا تعكس فتعكس، فانظر إلى ما أشرنا إليه في هذه الشذور وتأمل ما وراء هذه الستور، وتحقق ما حصل عندك من معرفة الصفات وإياك والالتفات، فما عرفت قط صفة على الحقيقة من معبودك، وإنما عرفت ما تحصل من الأوصاف في أركان وجودك، فما زالت عنك، وما خرجت منك، التحقت صفاته بذاته فتزهدت عن تعلق علمك بماهيتها، واتصلت في ذلك معرفتك بذاتها، فأنت العاجز عنها، والواقف دونها، فعلى طريق التحقيق ما عرفت ربك من كل طريق، وما عرفت أيضاً سواه وما تزهدت إلا إياه.

فإن قلت عرفته، قلت الحق وأنت اللاحق.

وإن قلت إنك لم تعرفه، قلت الصدق وأنت السابق.

فاختر النفي لنفسك أو الإثبات، فقد تزهدت الصفات، من تعلق العلم الحادث بها كما تزهدت الذات.

الأفعال: موج ضرب في الساحل وانصرف، وترك به اللؤلؤ والصدف فمنهم من زهد ومنهم من اغترف.

ولما كانت نجوم السماء السيارة تضاهي بعض الأسماء من باب الإشارة وهي باب في الأحكام، على ضروب وأقسام.

منها: ما هو لسلب النقائص والتشبيه ونفي المماثلة للتنزيه، وهو حظنا في هذا التركيب من علم الذات.

ومنها: ما هو شرط الألوهية.

ومنها: ما لا ينقص بعده لو جاز على الماهية وهو علم الصفات.

ومنها: ما هو لتعليق إيجاد العين، والتأثير في عالم الكون وهو صور الأفعال.

فنقول على الصراط السوي في اسمه تعالى: القدوس، العزيز، الغني، صفات جلال.

ونقول في اسمه تعالى: العليم، السميع، البصير، صفات كمال.

ونقول في اسمه تعالى: الخالق، الباري، المصور، صفات أفعال.

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٤٦، مكة

وما فيها والحمد لله صفة إلا ولنا فيها قدم، ولنا إليها طريق أم فهذا الباب لصفات الفعل وهو باب الطول والفضل والإنعام والبذل.

امتز سبحانه وتعالى أولاً بالإيجاب من غير أن يجب ذلك عليه، أو يضطره أمر إليه، بل كان مختاراً بين العدم والوجود، فاختار أحد الجائزين ترجيحاً وسعادة للعبيد، فعلق بنا القدرة بين العدم والوجود ولا بِنَيْبَةً، فبرز للعين عن تعلقها دون كيفية إذ كانت غير متعلقة بوجود، ولا أيضاً متعلقة بمفقود.

وهذا بحر ليس له قعر^(١) فرددناه للفضل المتقدم، ولم أكن فيه بالجائر المتحكم. وذلك لو علمنا حقيقة القدرة الأزلية، وماهيتها في العالمية لعرفنا كيف تحققت، ومتى تعلق، ولم نقدر في هذا الكتاب على قياس الغائب على الشاهد، لأننا ما اجتمعنا على معنى واحد. إذ ليس للقدرة الحادثة تعلق بإيجاد كون، وإنما هو سبب عادي لإبراز العين وحجاب نصبه الحق في أول الإنشاء، ليضل به من يشاء، ويهدي به من يشاء. والفعل قد يكون نفس المفعول بالتشبيه والاشتباه، كقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقَ اللَّهِ﴾^(٢).
أي: مخلوق الله.

وقد يكون عبارة عن الحالة عند تعلق الفاعل بالمفعول، وكيفية تعلق القدرة الأزلية بالإيجاد الذي حارت فيه المشاهد والعقول وكل من رام الوقوف عليه نكص على عقبيه ورجع عن مذهبيه وهو قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣).

وقال في حق أنفسهم وأقدسهم حين قال: ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٤).
فأراه آثار القدرة لا تعلقها فعرّف كيفية الإنشاء، والتحام الأجزاء حتى قام شخصاً سوياً وما رأى تعلق قدرة ولا تحققها.

فقال له العليم الخبير: ﴿اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥).
لما تقدمه من صورة الأطيّار، وتفريقه الأطوار. وكما نفخ المسيح في صورة الطين الروح وانتفض طيراً وأظهر في الوجود خيراً. فكان النفخ له حجاباً. وما فتح له من باب تعلق

(١) في (خ): (فران).

(٢) القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية ١١، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٥١، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٦٠، مدنية.

(٥) الآية السابقة وفي (خ) جاء الآتي: ﴿اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. هكذا في المخطوطة.

القدرة باباً، ولذلك يقول لمن يشاء الله تعالى أن يقول للشيء كن فيكون. ذلك عند أمره وينفرد الحق بسر نشئه ونشره، فالتفاضل بين الخلق، إنما هو في الأمر الحق. فشخص يكون أمراً ربانياً لتحقيقه فيكون عنه ما يشاء. وآخر غير متحقق ليس له ذلك. وإن كان قد ساواه في الإنشاء، فسبحان من أفرد بالاختراع والخلق، وتسمى بالواحد الحق، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

محاضرة أزلية على نشأة أبدية

اجتمعت الأسماء بحضرة المسمى اجتماعاً وترياً منزهاً عن العدد، في غير مادة ولا أمد. فلما أخذ كل اسم [فيها مرتبته ولم يعد منزلته، فتنازعا الحديث دون محاوره وأشار كل اسم^(١)] إلى الذي بجانبه دون ملاصقة ولا مجاورة وقالوا^(٢): يا ليت شعرنا هل يتضمن الوجود غيرنا فما عرف واحد منهم ما يكون «إلا اسمان» أحدهما العلم المكنون فرجعت الأسماء إلى الاسم العليم الفاضل. وقالوا: أنت لنا الحكم العادل.

فقال: نعم بسم الله وأشار إلى الاسم الجامع الرحمن، وأشار إلى الاسم التابع الرحيم، وأشار إلى الاسم العظيم وصلى الله ورجع إلى الجامع من جهة الرحمة على النبي وأشار إلى الاسم الخبير، والعليم محمد الكريم وأشار إلى الاسم الحميد، خاتم الأنبياء، وأول الأمة وصاحب لواء الحمد^(٣) والنعمة، فنظر من الأسماء من لم يكن له فيما ذكر^(٤) حظ، ولا جرى عليه من أسماء الكريم لفظ.

وقال العليم: من ذا الذي صليت عليه، وأشرت في كلامك إليه وقرنته بحضرة جمعنا، وقرعت به باب سمعنا، ثم خصصت بعضنا بالإشارة والتقييد إلى اسمه الرحيم والحميد، فقال له: يا عجباً وهذا هو الذي سألتموني عنه أن أبينه لكم تحقيقاً، وأوضح لكم إلى معرفته

(١) ما بين المعقوفين سقط من (خ) واستدرك على الهامش تصحيحاً.

(٢) عائد على جمع الأسماء حين أشار كل اسم إلى الذي بجانبه، وكأما نظقوا جميعاً في هذا الاجتماع الأسمائي. ويجوز ما في (ط): (قالت) عائدة على الأسماء أيضاً (قالت الأسماء) مثل (قالت الأعراب).

(٣) حديث: «بيدي لواء الحمد ولا فخر».

أورده العجلوني في كشف الحفاء، حديث رقم (٦١٦). وفيه [أنا سيد الناس يوم القيامة...] الحديث. وقال: رواه مسلم، وأبو داود، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وهو عن أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه بزيادة [ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من بني آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفق].

(انظر: كشف الحفاء، ٢٠٣/١).

(٤) في (ط): (فيما ذكره العليم).

طريقاً، هو موجود يضا هيكم في حضرتكم، وظهر عليه آثار نفحتكم، فلا يكون في هذه الحضرة شيء إلا ويكون فيه، ويحصله ويستوفيه، ويشارككم في أسمائكم، ويعلم بي حقائق أنبائكم، وعن هذا الموجود المذكور، الصادر من حضرتكم، وأشار إلى بعض الأسماء منها الوجود والنور، يكون هذا الوجود الكنه والكيف والأين وفيه يظهر بالاسم الظاهر حقائقكم، وإليه بالاسم المثان وأصحابه تمتد رقائقكم، فقالوا أنبهتنا عن أمر، لم نكن به عليمًا وكان هذا الاسم إشارته إلى المتفضل علينا عظيمًا، فمتى يكون هذا الأمر، ويلوح هذا السر؟

فقال: سألتم الخبير، واهتديتم بالبصير، ولسنا في زمان فيكون بيننا وبين وجود هذا الكون مدة وأوان، فغاية الزمان في حقنا ملاحظة المشيئة حضرة القديم والنسبة، فتعالوا نسأل هذا الاسم الأحاطي في جنسه، المنزه في نفسه، وأشار إلى المرید.

فقيل له: متى يكون علام التقييد في الوجود الذي يكون لنا فيه الحكم والصولة وتجول بظهور آثارنا عليه الكون على ما ذكره الاسم العليم حوله؟
فقال المرید: وكأن به قد كان، ويوجد في الأعيان.

وقال الاسم العليم: ويسمى الإنسان، ويصطفيه الاسم الرحمن، ويقبض عليه الاسم المحسن، وأصحابه سوايغ الإحسان فأطلق اسم الرحمن محيا وحيا المحسن وبياه، وقال نعم الأخ ونعم الصاحب، وكذا الاسم الواهب فقال اسم الوهاب فقال أنا المعطي بحساب وغير حساب فقال الاسم الحبيب أقيد عليكم ما تهبونه، وأحسب عليكم ما تعطونه بشهادة الاسم الشهيد فإني صاحب الضبط والتقييد، غير أن الاسم العليم قد يعرف المعطي له ما يحصل له في وقت، ويهبهم عليه الاسم المزيد، في وقت إبهاماً يعلمه ولا يمضيه ويريد الشيء ويريد ضده، فلا يقضيه، فلا زوال لي عنكما ولا فراق لي منكما فأنا لكم لزم ونعم الجار والحميم.

فوزعت الأسماء كلها مملكة العبد الإنساني على هذا الحد الرباني وتفاخرت في الحضرة الإلهية الذاتية بحقائقها وبينت حكم مسالكها وطرائقها وعجلوا في وجود هذا الكون رغبة في أن يظهر لهم عين، فلجوا إلى الاسم المرید الموقوف عليه تخصيص الوجود.

وقالوا: سألتك بهذه الحضرة التي جمعتنا وتحقيق الذات التي شملتنا إلا ما علقت نفسك بهذا الوجود المنتظر فأردته، فأنت يا قادر سألتك بذلك إلا ما أوجدته، وأنت يا حكيم سألتك بذلك إلا ما أحكمته، وأنت يا رحمن سألتك إلا ما رحمته، ولم تزل تسأل كلها واحداً واحداً قائماً قاعداً.

فقال له القادر: يا إخواننا على المرید بالتعلق وعلیّ بالإيجاد.

وقال الحكيم: على القادر بالوجود، وعلیّ بالإحكام.

فقام الرحمن وقال: علیّ بصلة الأرحام فإنه سجنه مني فلا صبر له عني.

فقال له القادر: كل ذلك تحت حکمي وقهري.

فقال القاهر: لا تفعل إن ذلك لي، وأنت خديمي، وإن كنت صاحبي وحميمي.

فقال العليم: أما الذي قال تحت حکمي فليقدم علمي فتوقف الأمر على جميع الأسماء،

وإن بجملتها وجود عالم الأرض والسماء وما بينهما إلى مقام الاستواء.

ولو فتحنا عليك باب توقفها والتجائها بعضها إلى بعض لرأيت أمراً يهولك منظره

ويطلب لك مخبره ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما سكتنا عنه وتركانه.

فلنرجع ونقول ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾^(١) فعندما وقع هذا الكلام

الأنفس، في هذا الجمع الكريم الأقدس، تعطشت الأسماء إلى ظهور آثارها في الوجود ولا سيما

الاسم المعبود ولذلك خلقهم سبحانه وتعالى ليعرفوه بما عرفهم ويصفوه لما وصفهم فقال:

﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن

يطعمون﴾^(٢) فليجأت الأسماء كلها إلى اسم الله الأعم والركن القوي الأعظم.

فقال: ما هذا اللجأ ولأي شيء هذا الالتجاء؟

فقال^(٣): أيها الإمام الجامع لما نحن عليه من الحقائق والمنافع ألسنت العالم أن كل واحد

منا في نفسه على حقيقة وعلى سُنَّة وطريقة، وقد علمت يقيناً أن المانع إدراك الشيء مع

وجود النظر كونك فيه الأكثر، فلو تجرد عنك بمعزل، لرأيت وتزهت بظهوره، وعرفته ونحن

بحقائقنا متحدون لا نسمع لها خبراً، ولا نرى لها أثراً.

فلو برز هذا الوجود وظهر هذا العالم الذي يقال له العلوي والسفلي، لامتدت إليه رقائقتنا

وظهرت فيه حقائقنا، فكنا نراه مشاهدة عين، لما كان منا في أين، وفي حال فصل بين،

ونحن باقون على تقديسنا من الأينية وتنزيها عن إحاطتهم بنا من جهة الماهية الكيفية

فغايتهم أن يستدلوا برقائقتنا على حقائقنا استدلال مثال، وطروق ببال، وقد لجأنا إليك

مضطرين، ووصلنا إليك قاصدين.

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٤٤، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآيات (٥٦، ٥٧)، مكية.

(٣) أي: الأسماء كلها.

فلجأ الاسم الأعظم إلى الذات كما لجأت الأسماء والصفات، وذكر الأمر وأخبر السر فأجاب نفسه المتكلم بنفسه العليم، إن ذلك قد كان بالرحمن فقل للاسم المرید يقول للقائل يأمر يكن، والقادر يتعلق بإيجاد الأعيان، فيظهر ما تمنيتم، ويبرز لعيانكم ما اشتهيتم فتعلقت بالإرادة والعلم والقول والقدرة، فظهر أصل العدد والكثرة وذلك من حضر الرحمة، وفيض النعمة، أصل الإبداء وأول الإنشاء نشأ سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) على أكمل وجه وأبدع نظام.

بحرُ اللؤلؤ والمرجان المودع في العالم الأكبر والإنسان

ولما تعلققت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحدية. وذلك عندما تجلّى لنفسه بنفسه من سماء الأوصاف، وسأل ذاته بذاته موارد الألطاف في إيجاد الجهات والأكناف.

فتلقى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والاسعاف فكان المسؤول والسائل والداعي والمجيب والمنيل والنائل. فكمن فيه كمن تنزيه ودخل جوده في حضرة علمه فوجد الحقيقة المحمدية، على صورة حكمه فسلخها من ليل ذاته فكانت نهاراً، وفجرها عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها فكانت سماء عليهم مدراراً. وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور ذاته قطعة لم تكن متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة، ولكن لما فطره سبحانه وتعالى على الصورة فصار كان ثم جنساً يجمعها ضرورة فكان قطع هذا النور المنزل والممثل من ذلك الجنس التخيل والباري منزّه في نفسه، عن قيام الفصل به والوصل والإضافة بالإنسان إلى جنسه، فهو قطع مثلي أبدي أحدي عن معنى أزلي فكان لحضرة ذلك المعنى باب وعلى وجهها حجاب.

ثم إن الحق صيّرهُ حجاباً لا يرفع وباباً لا يُقرع ومن خلف ذلك الحجاب يكون التجلي ومن وراء ذلك الباب يكون التدلي، كما إليه ينتهي التداني والتولي، وعلى باطن ذلك الحجاب يكون التجلي في الدنيا للعارفين ولو بلغوا أعلى مقامات التمكين وليس بين الدنيا والآخرة فروق العارفين في التجلي عن غير الإحاطة بالحجاب الكلي، وهو في حقنا حجاب العزة، إن شئت رداء الكبرياء، كما أن ذلك الحجاب يكون تلجي الحق له خلف حجاب البهاء وإن شئت قلت رد الثناء، وما ذكرناه زبدة الحق اليقين، وتحفة الواصلين.

فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من حسن النشاء وقبيله فنقول على ما قدمنا في حق الحق من

التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه إنه سبحانه لما اقتطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها محمد (صلى الله عليه وسلم) على النشأة التي لا تنجلي أعلامها ولا تظهر في صفاته إلا أحكامها ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة وأقامه متفرقاً على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية، ثوباً يشبه الماء والهواء في حكم الدقة والصفاء، فتشكل بشكله بشكله فلذلك لم يخرج في العالم غيره على مثله. فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد والناطق والحساس وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) نسخة من الحق بالأعلام، وكان آدم نسخة منه على التمام. وكُنُتاً نحن نسخة منهما عليهما السلام، وكان العالم أسفله وأعله نسخة منا وانتهت الأقلام غير أن في نسختنا من كتابي آدم ومحمد سرّاً شريفاً ومعنى لطيفاً.

أما النبيون المرسلون وغير المرسلين، والعارفون، والوارثون منا فنسخة منهما على التمام والكمال.

وأما العارفون والوارثون من سائر الأمم، والمؤمنون منا فنسخة من آدم وواسط (محمد) عليه السلام في حضرة الجلال.

وأما أهل الشقاوة والشمال فنسخة من طين آدم لا غير. فلا سبيل لهم إلى خير. فتحقق أيها الطالب هذه النسخة تعش سعيداً وتكون في زمانك فرداً وحيداً.

فالحقيقة المحمدية المنبثه عليها ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١) وما نزل عليها من النسخ فقدم، وليل، وظل وفي أربعة الأربعة والحقيقة منزهة مرتفعة، ثم خلق الخلق وفتق الرتق، وقدر الرزق، ومهد الأرض، وأنزل الرفع والخفض، وأقام النشأة الآدمية والصورة الإيهامية، وجعلها تتناسل وتتفاضل وتترافع وتتنازل إلى أن وصل أوانه وجاء زمانه فصير العالم كله في قبضته ومحضته فكان جسم محمد (صلى الله عليه وسلم) زبدة محصنة، كما كانت حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة وهو المتبوع بالوساطة إذ كان البداية والختم ومحل الإفشاء والكتم، فهذا هو بحر اللالىء دليل النواشىء، وقد تمهد فاستره وتجمد فأخبره، فقد حصل في علمك منشأ أول موجود وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الوجود ثم علق العالم به تعلق اختيار الحق، لأنه استوجبه في حبه بحق حتى يصبح أنه تعالى المنعم المتفضل ابتداء على من شاء بما شاء لاحقه، ولما كان من العالم دورياً ومنشأه فلِكياً رجع العود على البدء واستوى الكل في منشأ، وصار اللابس ملبوساً والمعقول محسوساً فوجود أسرار الكون الأكبر في العالم الأصغر إعادة وهو لها إشارة.

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

﴿كما بدأكم تعودون﴾^(١) ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون﴾^(٢) ولهذا جعلها المحجوبون كوة خاسرة فقالوا: ﴿أنا لمردودون في الحافرة﴾^(٣) فليس هناك في النشأة حقيقة زائدة سوى أعراض واردة.

إشارة

وإن كان قد تبين فيما تقدم معناها ولكن منتهاها هل الإنسان معدوم في العالم الأكبر وهو منفصل عنه بمقامه الأزهر، فإنه آخر موجود حساً وأول موجود نفساً. فإن كان من جملة العالم الأكبر فأين نسخته، وإن لم يكن من جملة فعلى أي نسبة يخبر به عنه فحدد البصر، وردد النظر، وخلّص الذكر والمغالبة واستغن بالفكر والمراقبة، وتهياً للقبول بما يرد عليك به الرسول (صلى الله عليه وسلم) فستقف من ذلك على جلاء، وسيكشف عن عينك غطاء العمى وهذه نكتة فاعرف قدرها وحقق أمرها، فهي زبدة الأمر وخفي السر.

وإن شئت أن أنبتك فاسمع وحصل ما أشير به إليك واجمع العالم في الأين والإنسان في العين، فإن كنت في الأين فأنت منه، وإن كنت في العين، فلا يُخبرتك عنه، ولست بحق في عدم الأين، ولكنك برزخ الأمرين، صاحب لقاء وسيد نزول والتقاء برزخ فانظر أينك وحقق عينك وأنا المبر أمر تأويلك والمقدس عن تفضيلك إلا إن وافقت أمر الحق وألحقني بالخلق وهذا لب لمن كان له قلب قشر عليه لئلا يتوصل من ليس من أهله إليه. وذلك أن العالم بما فيه من جميع أجناسه ومبانيه، وأسافله وأعاليه، ليس الإنسان بشيء زائد على جميع تلك المعاني عند افتراقها، وشمل تلك الأجناس والعيون عند اتفاقها فعلى هذا الوجه صح للعارف سلخه فكان له أكبر نسخة، حظ الإنسان من العالم.

واعلم أن الإنسان على ما اقتضاه الكشف والعلم روح العالم، والعالم الجسم فهو الآن روح العالم الدنياوي وبه بقاؤه، وبه فتق أرضه وسماؤه والعالم الأخروي إلى أن يفتح فيه الأمر الرباني هذا الروح الإنساني فهو الآن كصورة آدم قبل نفخ الروح، أو الأرض قبل إشراق نوح فإذا أخذ هذا النشأ الإنساني من هذا العالم الدنياوي، تهدمت بنيته، وتخربت أفنيته، ونفخ في العالم الأخروي، فحيت به الجنة، وكانت له كالدنيا سترًا وجنة والروح المضاف إلى الحق الذي نفخ فيه من عالم الخلق هي الحقيقة المحمدية القائمة بالأحدية، فعلى هذا الحد هو الإنسان في الدارين، وظهوره في العالمين نشأ العالم من الحقيقة المحمدية نشأ ما

(١) جزء من الآية ٢٩، من سورة الأعراف، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية ٦٢، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة النازعات، الآية ١٠، مكة.

للعرش منها لؤلؤة كان الغرض أن أجعل إلى جانب كل لؤلؤة في هذا الباب مرجانتها أو مع كل بداية نهايتها أو غايتها غير أن هذا الفصل لما كان لبيان ما تعدد عن ذات واحدة، وظهر عنها من أجناس متباعدة أردت أن أكمل لآلئه على نسق، وأجعلها طبقاً تحت طبق، حتى تأتي على آخر الكون، ورغبة أن لا يتحير الناظر فيه فتذهب عنه أكثر معانيه، فإن استوفيت إن شاء الله لآلئه، ورتبت نواشئه، وعرف الطالب مغزاه وتبين معناه أخذنا في سياق مرجانه على ترتيب لآله.

المرجانة الأولى للؤلؤة الأولى

من هذا الفصل على أحسن نظم وأبدع صنع وأحكم وصل.

فأقول: إن (سيدنا) محمد (صلى الله عليه وسلم) لما أبدعه الحق سبحانه وتعالى حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية، حيث لا أين ولا بين. وقال له أنا الملك وأنت الملك.

وأنا المدير، وأنت الفلك وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظمى، وطامة كبرى، سايساً ومديراً، وناهياً، وأمرأ. تعطيتها على حد ما أعطيتك وتكون فيهم كما أنا فيك، فليس سواك كما لست سواي. فأنت صفاتي فيهم وأسمائي، فحد الحد، وأنزل العهد، وسأسألك بعد التنزيل والتدبير عن النقيير والقطمير، فتفصّد لهذا الخطاب عرقاً حياً، فكان ذلك العرق الطاهر ماء، وهو الماء الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنبياء فقال سبحانه ﴿وكان عرشه على الماء﴾^(١)، وهو منتهى الخلاء إلا ما كان هنالك من زعرع مستطر، حامل لهواء مستقر، ليس وراء ذلك وراء يكون فيه خلاء أو ملاء.

لؤلؤة نشأة الملاء الأعلى وهو بالمنظر الأجلى

[ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح]^(٢)، فظهر الملاء الأعلى وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأخلى فكان (صلى الله عليه وسلم) الجنس العالي إلى جميع الأجناس والأب الأكبر إلى جميع الموجودات والناس، وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته، فلما وقع الاشتراك مع الأملاك في عدم الأين، حتى كأنهم في العين أراد (صلى الله عليه وسلم) التفرد بالعين وتحصيل الملاء الأعلى في الأين.

لؤلؤة نشأة العرش منه (صلى الله عليه وسلم)

فلما علم الحق سبحانه وتعالى إرادته، وأجرى في إمضائها عادته. نظر إلى ما أوجد

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٧، مكة.

(٢) ما بين المعرفين سقط من (خ).

في قلبه من مكنون الأنوار، رفع عنها ما اكتنفها من الأستار، فتجلّى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجهتين، فخلق سبحانه وتعالى من ذلك النور المنهق عنه (صلى الله عليه وسلم) العرش، وجعله مستواه وجعل الملاء الأعلى وغيره مما ذُكر ما احتواه، لكنهم منه (صلى الله عليه وسلم) بالموضع الأدنى ومن مستواه بالتجلي الأسنى فحصلوا في أئنيّة الحصر، وتمكنوا من قبضة الأسر، وانفرد (صلى الله عليه وسلم) في مستواه بمن اجتباه ومن اصطفاه وصيّره الحق تعالى خزانة سره وموضع نفوذ أمره، فهو المعبر عنه (بكن) فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، وهو حجاب تجليه وصياغة تجليه، وترقي تدانيه وتلقي تدليه.

لؤلؤة نشأ الكرسي منه (صلى الله عليه وسلم)

ثم نظر طالباً أين يضع قدميه، وأين موضع نعليه؟ فانبعث من تلك الطريقة أشعة في الخلاء، استدارت أنوارها؛ كاستدارة المرأة، لطيفة الكيف، فارغة الجوف، معلومة المنازل عند السالك والراجل.

فجعل ذلك الكور، وأنشأ ذلك الدور كرسياً لقدميه، وحضرة لنفوذ ما يصدر من الأمر بين يديه، فيخرج الأمر منه متحد العين، حتى إذا وصل الكرسي انقسم قسمين. إذ كان المخاطب من ذلك الموضع، إلى أقصى الأسفل موجود بين اثنين، وإن كان واحداً، فمن جهة أخرى، وعلى ذلك الواحد، تتابع الرسل ترى. فإن المخاطب بجميع الأشياء إنما هو الإنسان، ليس ملك ولا جان، فإن الملك والجان جزء منه، وأتمودج خرج عنه. فله بعض الخطاب، والإنسان كلّي الكتاب؛ المنبّه عليه بقوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

ثم عمّم بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يَحْشُرُونَ﴾^(٢).

كما نبه على الحقيقة المحمدية، التي هي أصل الإنشاء، وأول الابتداء فقال: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

فنحن الكتاب الأجلّي، وهو الأم الأعلى.

فالإنسان: الكتاب الجامع، والليل المظلم والنهار المشرق الساطع.

فمن علو مرتبه، وسمو منزلته، وأنه:

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٣٨، مكة.

(٢) الجزء الثاني من الآية السابقة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٣٩، مدنية.

- واحدٌ بالنظر إلى معناه.

- واثنان بالنظر إلى حاله.

- وثلاثة بالنظر إلى عالمه.

- وأربعة بالنظر إلى قواعده.

- وخمسة بالنظر إلى مملكته.

- وستة بالنظر إلى جهاته.

- وسبعة بالنظر إلى صفاته.

- وثمانية بالنظر إلى نسخته.

- وتسعة بالنظر إلى مراتبه.

- وعشرة بالنسبة إلى إحاطته.

- وإحدى عشرة بالنظر إلى ولايته.

* وهو روح القدس، فإن أمده هذا الروح من غير كشف ملكي وهو تابع لغيره، فهو صديق. وهي المنزلة الحادية عشرة في الإنسان.

وإن أمده على الكشف الملكي، وهو أيضاً تابع، أو لا تابع ولا متبوع، فهو نبي. وهي المنزلة الثانية عشرة في الإنسان.

وإن أمده على الكشف الملكي، وهو متبوع ولا تابع فهو الرسول وهي المنزلة الثالثة عشرة في الإنسان بتمام وجود الإنسان.

وبه تمّ الوجود في العشرة، ثم جاء الحادي عشر نظير الأول، - إن تأملت - ومنعطف عليه.

ونظير الثاني عشر، والثالث عشر نظير الثاني والثالث من البسائط وتبيين ذلك في الوسائط.

فاعتكفت ملائكة التقييد على خدمته لا حظّه، لما يصدر منه في العلوم لاحظة حافظة.

* فإن قيل:

هذا الكرسيّ الأعلى، فأين اللوح المحفوظ، والقلم الأعلى؟

وأين الدّواة واليمين، وكيفية كتابة التعيين؟

ف نقول:

تركنا تعيين ما ذكرته موقوفاً على نفسك، حتى تطلع على ذلك ببصرك عند شروق شمسك. وقد نبهنا عليه في هذا الكتاب بالتضمين لا بالتعيين. فاشحذ فؤادك، وقوّ اجتهادك، عسى الله أن يفتح لك باباً من عنده، عند مواظبتك على الوفاء بالعهود، أو بعهده، والتصديق بوعيده ووعده.

لؤلؤة الأفلاك

وهي أرواح السموات، يُنشىء السبع الطرائق والكواكب منه. فلما كمل هذا الكرسي، واستقر فيه الملائمة الأُمري أحال أنوار السبعة الأعلام، وكان عنها السبع طرائق متماسة الأجرام. جعلها سقفاً مرفوعاً لمهاد سيكون إذا توجه عليها الأمر.

بقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وكواكبها منتهى الأشعة في الخلاء على الاستيفاء فسطعت الأنوار، وتجارت، وانتشأت الأفلاك، واستدارت، وبقي منتهى الأشعة على أصله نيراً في محلّه.

فالأفلاك اتصال أشعة الأنوار المحمدية، والمقامات الأحمديّة ويرجع صفر حجم الكواكب، وكبرها لمسامة ذاته المشرفة، وبنائيه المنهقة، وعلة دور الأفلاك الإحاطية، التي اتصف بها الوسائطية وتحريكها بالتماس شروط على عقد مربوط.

واختصت كواكب المنازل بالكرسي الكريم، لما كان المقام، يُفرق فيه كل أمر حكيم، فتنبّه يا غافل، وتدبّر يا عاقل لهذا السرّ المصون والكتاب المكنون، الذي لا يمسه إلا المطهّرون.

ولمّا استدارت هذه الأفلاك مجوّفة، واستقرت بساحاتها عوالم الأفلاك متجوّفة، وكملت البنية في النشأة العلوية، واستمرت وطلب التأثير أينيّة، فلم يجد، فرجع فقيراً إلى حجاب الأحديّة، فجنثا عند قدمها راغباً، ولملكته منها طالباً، وصحت ملائكة السماء، وما بقي هناك سرّ الأسماء، لوجود الأرض، والماء، والنار، والهواء.

لؤلؤة نشأ العناصر الأول منه (صلى الله عليه وسلم)

فنظر (صلى الله عليه وسلم) ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأه الحق محل الإحصاء، ثم نظر ما وجد عنه، فوجد الملائمة الأعلى، والملائمة الأدنى، وفقد العالم الأوسط والأقصى فأخذ يدبر لإيجاد أصول الكون الأسفل، والنور الأنزل، إذ لا بد لكل علو من سفلى، ولكل طيب من تفل.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٧، مدنية وغيرها كثير.

ففيض عليه - للحق سبحانه - عند هذه النظرة، ومن وراء هذه الخطرة فيض الجلال والهيبة ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة.

فعندما اشتد عليه الأمر، وقوي عليه القهر، فظهر عليه العدل والأمر، رشح منه تلك الضغطة، فكان ذلك الرشح ماءً، ثم نفس عنه يسير التنفس، فكان ذلك النفس هواءً، ثم أوقفه على سر الجهة التي فيها فلاخ له ميزان العدل، قائماً على نصب ذاته فزفر زفرة فكانت تلك الزفرة ناراً، فشتت عنه ميزان العدل بحجاب الفضل، فوجد برد الرحمة، فببس ما بقي من الرشح بعد قطرة، فكان ذلك اليبس والبرد أرضاً قراراً.

ثم ناداه من حضرة العين: يا محمد. هذه أصول الكون فصرها إليك، ثم امزج بعضها في بعض، فيكون منها عالم الهواء والأرض، والجامع لهؤلاء العوالم: الإنسان.

وهو الذي أشار إليه العارف بقوله: لا أبدع من هذا العالم في الإمكان. فيكون فيه الخلاف والمثل وظهرت الصورة والشكل، وكل خلق بالإضافة إلى ما خلق منه يسير، وإلى ما كوّن منه بعد انحلاله يصير، وستعلم أن في قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين﴾^(١).

إلى ما خلق منه من طين. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾^(٢).

فعرف من أين جاء وزال الظل، ثم قال: ﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾^(٣). مشاهدة تمكين. ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾^(٤) عند مكاشفة التعيين: ﴿ليس الله بأحكم الحاكمين﴾^(٥). بين المتنازعين من أهل البرازخ، بين الشمالي واليميني.

فضن هذه الدزر، وتكتم بها واستتر.

لؤلؤة نشأ الدخان الذي فتق به السموات العلى والأرض السفلى

ولما خلق الله هذه العناصر الأول، على الخلق الذي قدره في الأزل، جعلها سبعاً طباقاً، وأسكنها أقواتاً وأرزاقاً، كما أسكن الطباق العلى معارفاً وأخلاقاً. فتماشت طباق الأرض وحك بعضها في بعض فتولد بينهن لهب، ذو سبع شعب كل شعبة من جنس أهلها (أرضها).

(١) القرآن الكريم، سورة التين، الآيات (٤، ٥)، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة التين، الآية ٦.

(٣) آخر الآية السابقة.

(٤) القرآن الكريم، سورة التين، الآية ٧.

(٥) القرآن الكريم، سورة التين، الآية ٨.

ولذلك تميز بعضها من بعضها فَعَلًا من كل لهب دُخان مختلط، ففتق فلك الماء والهواء والنار، وما زالت أفلاك الذراري والأنوار، مرتوقة الشُعَب، منزوعة اللهب، ففرقت أفلاك النيرات بحقائقها، فكان فتقًا، فصعد صعداً هيولانياً فصَيَّره الحق عند هذه الأسباب صوراً وخلقاً، فأداره سبع طرائق، وجعل الأفلاك أرواحاً لهن، وحقائق.

فقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ...﴾^(١) الآية.

وقال: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢).

بعدما خلق الأرض، وقَدَّر فيها القوت في أربعة أيام، وذلك لكثافة الأجرام، فإنها أربعة عناصر مختلفة الأوامر.

ولما كان الدخان من نار السبع الطباق الترابية فكانت مختلفة في الكونية، كذلك جاءت الطباق السماوية مختلفة اللونية فزرقة، وُصفرة، وُحمرة، وبياض، وخضرة. كل سماء من جنس أرضها، إذ هي من بعضها، فلذلك لما كان أصل السموات أرضياً عنصرياً زالت بزوالها في الآخرة، وبقيت الأفلاك العلوية في أوجها دائرة من غير جُرم محسوس، ولا جسم ملموس، لذلك لا تظهر فيها النجوم، فإن الفلك يبرز بذاته على العموم.

إذ النجم عبارة عمّا ظهر في الفلك، فتأمل يا أخي هذا الخير الذي شملك. فالأفلاك باقية لبقاء الجنان، والإنسان والسموات فانية بفناء الأرض والحدثان: فتأمل لآلئ الحقائق المرتبطة، والأفلاك الروحانية المتوسطة، ما بدلت الأرض غير الأرض، وصارت درّ مكة يضاء تحت قدم الخفض. فظهور الأفلاك النيرات، عبارة عن تبدل السموات. فتأمل هذه الإشارات وابحث عمّا تضمّنته هذه العبارات.

لؤلؤة نشأ منها مثال برؤية الحق في عالم الخلق

وتجلي الحق سبحانه وتعالى للناطق من الحيوان كتجلي السراب للظمان، وليس في الكون كله شيء يشبه تجلي الحق على قلوب العباد، من سماء المعرفة سوى هذه الصفة، ألا ترى التجلي لا يكون إلا من أعلى على أدنى، وجعل القيعان دون الجبال محلاً للسراب الأسنى، فانظرها حكمة ما أجلاها، وقطرة مُزّن ما أعذبها وأحلاها.

ثم حجب حقيقة هذا السر، إذ نصّبته تشبيهاً بعمل أهل الكفر، ثم نبّه أهل الإشارة على عظمتة عنده في آخر الأمر، فقال حين أنزل عهده، وخاطب عبده:

(١) القرآن الكريم، سورة نُصَلت، الآية ١١، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة نُصَلت، الآية ١٢، مكة.

﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده﴾^(١). فستره أولاً بعمل أهل الكفر، ولتوفية الحساب بعده، إذ: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٢). ولا يُدرك وصفه ﴿وهو اللطيف الخبير﴾^(٣).

فارفع هذا الطنب، واخرق هذه الحُجُب، تُبصر العجب العجاب، ونشكر القشر الذي صان هذا اللباب.

لؤلؤة التحام اليواقيت وانتظام المواقيت

ولما عهدت الخليقة، وامتدت الرقيقة إلى الحقيقة، وتجمتد في أوّل النشء الترابي الشخص الإنساني الآدمي المخلوق بيد التنزيه، والمكسوّ لحلة التشريف والتتويه، ويزداد الجسد طوراً بعد طور، وكوراً بعد كور، في قوالب يكثر عددها، ويكبر أمدها، حتى كانت تلك الأطوار في تلك الأدوار نشأة متحدة، وهيئة فردية متجسدة، فلما كملت بنيتها، وتخلصت تصفيتها، نفخ فيها الشخص الروحاني، والكلمة الإلهية، والأمر الربّاني، فقامت النشأة على ساقها تعتمد، وبأمرها تستمد، وتوالي الدور بالنشأة على أصل البدء. إلى أن سلخ ذلك النهار من ليل أرضه والتحق بعنصره الأعلى، واختلط بعضه ببعضه، وبقي في أوجه الأعلى رقيباً، وعلى تعاقب الأدوار حسيباً، ولنبصره على التعيين في مقام التمكين، ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾^(٤). وهو إذ ذاك أحكم الحاكمين.

فلما ارتفع كما ذكرناه، في الردّ الذي سترناه، لحقت المملكة بالفساد، وعمّ الهلاك جميع العباد، إلى أن جعلت الشمس في حملها بعث شرفها وجدولها، وسطح الدور، ويتنزّل الأمر فلم يبق ملاً أعلى إلاّ صُعب لذلك التجلي، ولا بقي رفرق أسنى إلاّ كان محلاً لذلك التدلي، فتنزل نور ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٥) في أنبوب ماله مكتنفاً بأردية الصُّون، حتى وصل إلى عالم الكون فحلّ الذرى المشرق في برجه، وحصل الرقم المدوع في درجيه، فكان ياقوتة حمراء مجوفة لها ياقوتة صفراء، فأودعه، سبحانه وتعالى فيها وختم عليها بخاتم: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾^(٦).

(١) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية ٣٩، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية ١١، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٨٨، مكة.

(٥) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

(٦) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١٥، مكة.

فلما التحقت الحقيقتان، والتقت الرقيقتان، زُهرت الأفلاك، واعتصمت الأملاك، وظهر الرجوم لمن أراد الهجوم، وتنزل النور الحق، والكلم الصدق، ثم اختلت الياقوتتان في الظلمات، لتعاین الصفراء منها ما غاب عنها من الآيات.

فعندما اجتمعت الصفراء بأختها، كانت لها بنتاً، ثم ارتقت إلى من كانت لها أختاً، فأكرمت الأم مثواها، وحمدت مستواها، فطلعت الحميراء خلف حجاب الكتم، فإذا هي بنور الختم، فخاطبه بلسان الاستيفاء:

- أنا خاتم الأولياء، ومقدم الجماعة الأصفياء.

- أنا مكنون حكمتك، وخاتم أمّتك.

فقال له:

- هل لك أن تكون معي وزيراً صديقاً؟

فقال:

- قد استخلف عتيقاً!

وسال رداءه، فإذا بالصدّيق إزاءه، وشمس المغرب وراءه، ثم فارقه وقد ساقه.

فلما عدت الأغيار، وتقطعت الأنوار، واتصلت الرقيقة المثلية، بالحقيقة الكلّية، في أنبوب الزمردة الطينية. سمع صوت وزيره، وصاحب سيره وتدبيره، الذي استخلفه خاتم أوليائه، في الحريّ على إنجائه.

ثم كانت أمور في هذا التجلي، لا يتسع الوقت إلى اقتنائها، ولا يُعطي الحال أيضاً إذاعة أنبائها. فإن القصد في هذا الكتاب إنما هو معرفة الخليفة والختم وتنزل الأمر الختم.

فنقول: فرجع عوده على بدئه في ليله، وإدراك صلاة الصبح مع أهله، فتسود مع ذلك الجسد على أمثاله، يُمنّ تقدم أو تأخر من أشكاله، لما كانت مادة الحقيقة الأصلية، والنشأة البينية إليه من ذاتها، وإلى غيره من صفاتها.

لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصيّد بالمقراض

ولما كان هذا المنشأ المحمّدي بهذه المنزلة العلية، وكان الأصل الجامع لجميع البرية، وصح له المجدّ الذي لا ينبغي لغيره، وإقامة الحق سبحانه وتعالى في صورة نفعه وضرّه عدلاً وفضلاً، وجمعاً وفضلاً، وإرادة الحق أن يتم تكريمه حسّاً، كما أمّتها نفساً.

فأنشأ لها في عالم الحسّ صورة مُجسّمة، بعد انقضاء الدورة التي انعطفت آخرها على أولها، وكانت في وسطها مكمله. وسُمّي سبحانه وتعالى ذلك الجسم المظهر المكرّم محمّداً،

وجعله إماماً للناس كافة، وللعالم سيّداً، ونطق على ظاهر ذلك الجسد لسان الأمر فقال: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)^(١).

ثم نزل لهم معلّماً فافتقر، وردد فيهم البصر، ونظر. وقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾^(٢) وذلك لما كُنَّا له مثلاً، وكان لنا تمثالاً. فطوراً تقدّس، وطوراً تجنّس، فهو السابق ونحن اللاحقون، وهو الصادق ونحن المصدّقون.

ولما كانت، أيضاً، صورته الجسدية ختماً لمقام الأنبياء، لا لصورة الإنشاء، كما كان بدءاً لوجود الكون، وظهور العين، فكانت دورة فلكه دورة ملك، والدورة المقدّمة دورة ملك. لعلّك تقول: كيف يتأخّر وجود الملك عن وجود المملكة، وهي قد حصلت في ميدان الهلكة، فإلى من كان في ذلك الوقت استنادها، وعلى من قام أمرها وعمادها فما أنا أشفي الغليل، وأوضح السبيل، وأعرفك امتداد الرقائق وتناسب الحقائق.

لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق

ولمّا أوجد الحق سبحانه وتعالى - كما قدّمنا - الأفلاك سقفاً مرفوعاً، لأهل الشفّل. ونصب الأرض مهاداً موضوعاً لخالّة الثقل، فانتشرت عنه (صلى الله عليه وسلم) في مستواه في الملأ الأعلى حقائقه، وتكوّنت من أشعة نوره طرائقه، واتصلت بعالم الأرض الموضوع رقائقه، وظهرت فيهم شمائله (صلى الله عليه وسلم) وحقائقه لكل حقيقة يشزب معلوم، [ومع كل رقيقة رزق مقسوم، ولاحظنا تفاضل الرقائق، فوجدناها راجعة إلى تفاوت الخلائق في الحقائق، فكشفنا في مقام من مقام المشاهدة والتعيين، على رقائق الأنبياء والمرسلين، فرأيناها تنزّل عليهم - صلى الله عليهم وسلم - على قسمين:

- منها ما ينزل بها ملائكة القدمين.

- ومنها ما ينزل عليهم من مستواه مكاشفة عين.

ورأينا مشاركة اتباعهم لهم في هذين التنزّلين، ولكن بواسطتهم لا بالعين، إلا هذه الأئمة، التي قيل فيها إنها ﴿خير أئمة أخرجت للناس﴾^(٣) فإنها تأخذ عنه من غير واسطة ولا التباس، كما أخذ عنه من تقدم من رسول مرسل، أو نبي منزل، غير أن تنزيل الملك قد يفاجئهم وقتاً ما. كما يعمهم بالإلقاء في الأجل المسمى.

(١) حديث: وأنا سيد ولد آدم ولا فخره. تقدم تخريجه في حديث لواء الحمد يده.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكية.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١١٠، مدنية.

وأما من مخلق جاحداً، وطُبع مُلحدًا، فإن النور المحمدي لما ضرب في الأرض شعاعه، وحميت قيعانه وبقاعه، تولدت بينهما حرارة، وتجمّدت بالنبات.

فتكوّن منها شرارة، ففتق في تلك الشرارة الجن على قسمين: رفع وخفض. لما كانت تلك الحرارة نتاجاً من النور والأرض. ولذلك قال تعالى: ﴿وخلق الجنان من نار﴾ (١).

إشارة إلى اختلاط الأرض بالأنوار، فمن غلب عليه النور في ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالأنوار، ومن غلب عليه الأرض ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالبورار. فتنزل الرقائق على من طبع كافراً، في أناييب ذلك النار الشيطاني، وإن كان أصله من النور السلطاني.

و[أما العصاة فتنزل رقائقهم] (٢) بوساطة ما قدّمناه في الحرارة، لا بوساطة الشرارة. فكانت رقيقته (صلى الله عليه وسلم) في دورة الملك الهالك إلى هلم جرى إلى الأبد أصلاً لجميع الرقائق، وحقيقته ممّدة في كل زمان وأوان إلى جميع الحقائق. فهو الممدّ (صلى الله عليه وسلم) لجميع العوالم من أول منشئه إلى أبرد لا يتناهى، مادة شريفة مكملة لا تُضاهى.

مُرْجَانَةُ اللَّوْلُؤَةِ الْأُولَى

حظّ الإنسان منها انسلاخه عن حقيقته المجردة، بمشاهدة حقيقة من أوجده، ففني عن نفسه حين أحاط به نور شمسه في حضرة قُدسه، فحصل له الإحاطة بالعلم الكلّي تقديراً، وبقي له تأثير الحكم تكويراً، فصاحب هذا المقام لا يعجز عن ما يسأله عنه سائل، وكيف يعجز من أحاط بالعلم الكامل!

فتحصيل العلم عنده - عند السائل - هو الفرق بينه وبين المتعال، كما أن الفرق بينه وبين عالم الذل والعز عدم الحصر والعجز، وقد يسأل نفسه أو يرى فيعلم ما سكن في الليل والنهار، أو يحرك في الورى، فهذا نعت من حصل في هذا الكشف الأجلّي، والمقام السّني الأعلى، فلا تخدع نفسك بنفسك، ولا تترك الغمايم على شمسك إلا إن استسقاك من جذبت أرضه، وتعطل عليه فرضه، وهلك بعضه، فاروه من مُزّنك حتى يستصحبك، فيعلم أن جميع مطالبه فيك، فعند ذلك أرخ العنان، وقل للريح تزرها ذروراً حتى تبدو الشمس

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ١٥، مدنية

(٢) ما بين المعقوفين مستدرك على هامش المخطوط (خ) وكتب معه (صح).

للعيان، فإذا أحاط الإنسان بهذا الوصف، وتحقق بهذا الكشف، فليس وراءه عدم ولا وجود، ولا عابد ولا معبود، ولا وراء أولاً إذا قد حصل الوجودين، وتحقق العدمين، وفصل العدم الثالث فصلين، ولم يبق له من العلم سوى حرف العين وانفردت المادة بالميم، واللام بلطف القديم..

فليس في ذلك المقام سوى علم مجرد، وتحقيق قديم ومجدد.

مُرْجَانَةُ اللَّوْلُؤَةِ الثَّانِيَةِ

كذلك بعض الخواطر الأولى اللاحقة بالأزل، لا تتصف بالوجود ولا بالعدم، ولا يتضمنها لوح ولا قلم، خطها لو كانت مجملة بالدورة، كالثمر في النواة. لم تتصف بالأين، ولا زالت تتكثر من العين إلى الأين، فمن هنا وقعت الشبهة، والاشتراك بين هذه الخواطر وعيون الأفلاك، وذلك قبل خلق العرش، وفتق الفرش. فقد صحت المقابلة وعيّنت المماثلة.

مُرْجَانَةُ اللَّوْلُؤَةِ الثَّالِثَةِ

كذلك إذا خلع الإنسان نعليه، وتجرد عن ثوبيه، وزهد في كونه، حلّ هذا المحلّ الأسنى، وكان منه كقاب قوسين أو أدنى، ورثاً نبوتاً ممن دنا، كل قوس على حسب راميتها، وعلى حسب اختلافها في مراميتها.

هذا هو مقام الاستواء، وحضرة وتر الأنبياء، فيه ترد عليه مخاطبات التأسيس، وقواعد التأسيس، بعين الاتحاد من غير إلحاد، فتمايل ذاته في ذلك النور، تمايل السراج من وارد السرور والابتهاج.

فكانه نشوان، أخذ من الراح، فرام الارتياح، ولم يجد الشرج، فسمع منه إليه، فتواجد بعضه عليه، فكان عشاقاً لنفسه، تواقاً لشمسه، فطلعت عليه من فؤاده، وأشرقت أرض بلاده، فتنعم بعضه في بعضه، لما جادت سماؤه على أرضه.

مُرْجَانَةُ اللَّوْلُؤَةِ الرَّابِعَةِ

كذلك إذا حصل الإنسان من ذاته في برزخ البرازخ، مقام المجد الشامخ، والعزّ البازخ، مقام المجد فيه تكون ليلة قدره، وكمال بدره، يميز فيه بين الأشياء، ويفصل فيه بين الأموات والأحياء، ويطلع فيه على أهل البلاد والنعماء.

فيه يبرز على أصحابه بالكتابين، بالشمال واليمين:

- فهؤلاء بأسمائهم وأنسابهم في عليين.

- وهؤلاء كذلك في سجين.

بعدهما يحصل له التجلي العالي، من حضرة المتعالي.

(فهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي)^(١).

منه أنزل القرآن، وفيه يعلق الميزان، وتطارت صحف السمائل والأيمان.

في هذا المقام تقوم قيامة الخاصة بذاته، وتقع مسائل العدل في أسمائه وصفاته، فتنتطق الجوارح لبعض العارفين، وتبدو الفضائح لأهل التلوين، والمصالح لأهل التمكين.

فيه تُبدل سيئاتهم حسنات، وكراماتهم آيات. فيه يحصل له بعد قيامته، واستواء إقامته: الورث الإنبائي، والمقام الاختصاصي. فنادى في ذلك الانباء الخاص، ألا فانزل إلي القصاص، وعجل بالأوبة ولات حين مناص.

فعبادر ومتكلل، ومتملّل، ومتهلّل. في هذه الحضرة ينقلب الولي نبيّاً، والنبي وليّاً، فهي حضرة الخليفة والختم، ومحل الإفشاء والكتم، وإن رغم أنف المنكر، فإنه العائل المستكبر. أخذ بقضاء الله، إلا إن حصل في مضمار الانتباه، فتنقلب عينه، ويتصل بينه.

فيا حضرة فرق، ويا مقعد صدق ما أعطاه بحق.

مُرْجَانَةُ اللَّوْلُؤَةِ الْخَامِسَةُ

كذلك إذا طلعت نجوم العلوم من سموات الفهوم، افتقر إليه كل شيء، ولم يفتقر هو إلى شيء. وسبّحت ذراري صفاته، في أفلاك ذاته، على بروج مقاماته، ومنازل كراماته، فتخلق الأيام بدورتها، وثبتت الأحكام بكثرتها.

فسبعة سابعة في سبعة لها إقبال في ثمانية وعشرين، ورجعه مقسمة على اثني عشر محلاً، لتصبح اثني عشر شهراً حراماً وجلاً، فليس إلا أربعة أعلام أيام، وجُمع، وشهور، وأعوام.

فالأيام داخلة في الجُمع، والشهور داخلة في الأعوام، ثم يرجع الكور، ويتوالى الدور. فالذراري جُمعهُ تمام، والمنازل شهور، والبروج أعوام.

- فإن كان يومك الأحد: فإدريس جليشك، فلا تلوي على أحد.

- وإن كان يومك الاثنين: فآدم جليشك، فلا تلوي في برزخ التائبين.

- وإن كان يومك الثلاثاء: فهارون جليشك، فالزم الاهتداء.

: ويحيى أنيسك، فالزم العفاف والاكتفاء.

(١) هذا الحديث تقدم نخرجه.

- وإن كان يومك الأربعاء: فعيسى جليشك، فالزم الحياة القدسية والبيداء.
- وإن كان يومك الخميس: فموسى جليشك، فقد ارتفع التلبيس، وكملت على كشف الأنس والأنيس، وقد استبشر الملك، وختس إبليس.
- وإن كان يومك العروبة: فيوشف صدّيقك جليشك، صاحب الصفات المشوقة المحبوبة.
- وإن كان يومك السبت: فإبراهيم جليشك، فبادر بكرامة ضيفك، قبل الفوت.
- * فهذه أيّام العارفين، وهؤلاء ذراري أفلاك السائرين.
- * وأما شهورهم؛ فأربعُ جمع:
- فاستمع أيّها السالك، وأتبع.
- فكشفُ جمعتهم الأولى لوحية.
- والثانية قلمية.
- والثالثة يمنية.
- والرابعة علمية.
- * وعائهم: اثني عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض.
- فعليك بالانتباه لمحرم الحرام: التحريم والتبرّي.
- وصفّر: التخلي والتحلي.
- وربيع الأول: العرق.
- وربيع الثاني: الكشف.
- وجمادى الأولى: المشاهدة.
- وجمادى الآخرة: المعرفة الأولى والأخرى.
- ورجب: المشهد الأشمخ.
- وشعبان: البرزخ.
- ورمضان: الصمدية.
- وشوّال: عين الماهية.
- وذو القعدة: البساط.
- وذو الحجّة: الانبساط.

فهذه شهورهم، وهكذا دهورهم.

فشمسهم حياتهم، وزهرتهم بصرهم، وكتابهم كلامهم، وقمرهم علمهم، فالقاتل قدرتهم، والمشتري إرادتهم، والمزيخ سمعهم.

فشمسهم: روحهم.

وقمرهم: أنفسهم.

والجنس: حواسهم.

وترجلهم: سيرهم في المقامات.

وتأثيرهم: ما ظهر عنهم من الكرامات.

ورجوع دورتهم: نزولهم إلى البدايات بعد النهايات.

لكن النشأة الأخرى، يوم الطاقة الكبرى. فيمانية، وشمالية في الترحيل. فالترقي بأسماء خلق لحق، وأسماء حق لخلق، على التحريم والتحليل.

وكسوف يعترى، لكتمل قذ برى، وأدنى يكشف أعلى، لغيب الشهادة على ما خفي وزيادة في قمر النفس ونقص وذلك لتعريج القوس، فخرج من حضرة الحق ودخول، ومُحاق وأقول، ولا يكشف إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

ويكسف القمر الشمس، في أوجها، إذ دخل برجها، ولولا طلب الاختصار، لأوضحنا هنا من الأسرار ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

فانظر إلى هذا الأتمودج في نفسك، واجتهد في ترحيل قمرك في شمسك، والله يهدي إلى الطريق الأقوم، والميل الأقوم، والسبيل الأقدم.

مُرْجَانَةُ اللُّؤْلُؤَةِ السَّادِسَةُ

كذلك إذا كان الإنسان في مقام المشاهدة، عُديم القرار، فعنصره النادر، وإن تَلَطَّفَتْ ذاته بكشف الإيماء، وفني عن تأثير الإرادة، وسلطان الأهواء، فعنصره الهواء.

فإن كان في مقام التحقيق بالأسماء، بعد الأسرار والنزول من السماء، فعنصره الماء.

فإن صمت وهو متكلم، وتبرأ من العلم وهو معلم، وسأوى بين الأقارب والأتراب، وعم بخطاب الهداية الأعداء والأحباب، فعنصره التراب.

مُرْجَانَةُ اللُّؤْلُؤَةِ السَّابِعَةُ

كذلك إذا علم الإنسان أن وجوده سراب، إلى جانب وجوب الوهَاب. ﴿يُحْسِبُهُ

الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً^(١).

فلولا نفخة الدعوى ما تشبه بالماء، فإن ارتقى عن هذا الشكل فسرايه عبارة عن المثل، وذلك إذا تجلى الحق إلى قلبه في مكنون غيبه، وسطعت أنواره عند التجلي، فتخيل الظفر به في ذلك التدلي.

فَوُجِدَ الأين تحصره، والعين تبصره، والكيف ينعته، والعقل في التشبيه بمقته، فيرجع بعد الغنى إلى العجز، ويعرف أنه خلف حجاب العز، فحينئذ يجد الله عنده، فيوفيه عهده، فيحقق رشد.

مُرْجَانَةُ اللُّؤْلُؤَةِ الثَّامِنَةُ

فكذلك من وَسِيعِ الحَقِّ قَلْبُهُ، فقد استوت شهادته وغيبه، وأتحدت بواقيته، وانعدمت موافقته. وكان الحق هنا المساوي لعبده، رحمة من عنده.

وهذا هو الفرق بين النبي والولي، والثَّهَامِي والنجدي، فإن النبي يسري إلى الخلاق العلي. والحق يسري إلى الولي. ولا طاقة له على السرى لقوة امتزاجه بالورى، وتثبته بالثرى.

فمن غلبت عليه روحانيته، واستولت عليه ربانيتها سرى إليه سير النبي على البراق العملي.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).

والحق يفرقه ويجمعه. فمن أراد بسط هذه المرجانة ولؤلؤتها على الاستيفاء، فليطالع من كتبنا كتاب (الإسراء) هناك يعرف منزلته، ويكشف مرتبته.

مُرْجَانَةُ اللُّؤْلُؤَةِ التَّاسِعَةُ

كذلك عالم الشهادة. تمام العوالم، ونكته العالم. هو مجتمع الأسرار، ومطلع الأنوار، به يصح المجد، وله يحصل الجد، فإن قال قائل: أنا سيد العالم.

فله أن يقول، لأن العقل لم يصح له علم إلا بعد المغيب في هذا الجسد، والأفول.

وإن قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾^(٣) دون زيادة فلا اشتراك في العبارة.

والإنسان في نفسه نسختان، وكذلك له إذا صام فرحتان، فتنسخة إحساسه تفرح

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية ٣٩، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٠، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكة.

بفطرها. ونسخة عقله تفرح بلقاء ربّها. فكان للواحد مثلاً، والآخر تمثالاً. وقد كان ملك الروح موجوداً، أو عالم الملك مفقوداً، ولكن يلاحظه في أطوار تنقله من الأصلاب، إلى أوان الانسلاخ منها والانسلات. فمن انسلخ عن صلبه، فقد فاز بلذة قُربه. ومن تقدم روحه على حسّه فقد حاز حضرة قدسه. ومن دبّر ملكه في عالم الغيب أبراه الله عند وجوده من الغيب والريب. ومن كان آدمي الوضع محمديّ الإسراء، فقد حصل المقامات على الاستيفاء، وكلمه الجبار بواسطة الافتقار إلى النار، في حق الأغيار.

كذلك من مشى في حق غيره فقد باء بجميع خيره، فإن مشى في حق الحق فهو في مقعد صدق.

فتحقق ترشد.

مُرْجَانَةُ اللُّؤْلُؤَةِ العَاشِرَةُ

وإذا كان العارف أمره متبوعاً، وكلامه مسموعاً، وحصل المشاهدة الغيبية، وحاز الرتبة القطبية، وتاقت إليه الأسرار، وطالع الأنوار من خلف حجاب الأستار، فكانت له كالشمس في مادّتها. وقبلت كل ذات على حسب حقيقتها فإذا حصل في النور تغيير، فذلك راجع إلى محل التكوير.

فكما لا يساوي قبول الجسم الصقيل قبول الدرر للنور المنور والفيض واحد، كذلك منازل القلوب عند فيض المشاهد، فالقلب يرسل نوره، والكون منه ما يكشف حجابيه، ومنه ما يزيخي ستوره. فالغيب من كون النفس، لا من عين الشمس.

فالإمدادُ: وترّي، والقبول: شفعي ووترّي.

فنور المعرفة كالسراج، ما قُرب منه إلى الفتيلة أظلم، وغاب ما بعد عنه، وارتفع، وسطع، وأنار. وكذلك نور المعرفة ما امتزج منه بعالم الشهادة، قلّ ضوءه، وتراكم غمامه ونوؤه، فإن المحل كثيف، ونور المعرفة لطيف. إذ لا يُمازج اللطيف الكثيف وما تعلق منه بالعقل والروح أنار، كذات يوح وبقي على أصله من الجلاء، لما انسلخ من العماء.

وكما أن الفتيلة إذا كان في رأسها دخان مسامت لنور السراج لاصق به جرى نور السراج في أنبوب الدخان، حتى استقر برأس الفتيلة فتتقد على بُعد، فما ظنك بنور المعرفة من بُعد. كذلك العارف إذا احترق قلبه بالشوق، وصعدت همته إلى جهة فوق، واتصلت بنور معرفة المعروف، ردها إلى قلب العارف بأسنى معروف، فعاش بها زماناً، وأنار بها أكواناً.

فكما أنَّ السُّراج إذا طلعت الشمس لم يتعدَّ ضوء نفسه كذلك نور المعرفة في العارف إذا تجلَّى الحقُّ للأعيان وأظهر قدسه أنار الوجود بتجليه، وأنار العارف بذلك التجلِّي وزاده على الغير، بما أودعه فيه. فهو يُضيء بنورين، ويشهد الحق من جهتين.

وكما أن نور السُّراج أبدأً إلى جهة فوق، كذلك نور المعرفة متعلق بالحق، فإن مرَّ على السراج هواء تمايل الضوء تمايل النشوان، فإن اشتد عليه الهواء عدم من العيان. كذلك نور المعرفة في العارف، إذا داخله تعلق بالأكوان تمايل عن الشمائل والإيمان، فإن تعلق بها تعشفاً عدم من المشاهدة تحقّقاً.

وكما أن السُّراج يُطفىء منه الهواء ما لحق، ويبقى منه منيراً ما لم يلحق كذلك نور المعرفة، ليس يذهب ذهاباً كلياً، ولكن يذهب منه ما تعلق بالخلق، ويبقى منه ما تعلق بالحق.

وكما يفجأ التَّفخ السُّراج بغتة فيُطفئه، كذلك الخطرة المتفرقة تُطفىء نور المعرفة، ولا تكلؤه. فإن بقي منه دخان، فذلك الهمة، فسيعود إليه نوره، وهو جالس وإن لم يبق له دخان، فسيكون الفوانق الفارس.

وكما أن السُّراج إذ لم يمدّه الدهن طُفيء، كذلك نور المعرفة، إذا لم تمدّه التقوى عُدم. وكما أن السُّراج إذا لم يتعلق بجسم لم يوجد له عين، كذلك نور المعرفة مع الكون. وكما أن السراج لا يكون ضوءه كاشفاً إلا من حيث الظلام، كذلك نور المعرفة في الأجسام.

وكما أن السراج لا يُضيء إلا من يليه، كذلك نور معرفة العارف لا يستضيء به إلا من يصطفيه ويُذنيه.

وكما أن السراج لا يستضيء به من بُعد، كذلك نور المعرفة لا يستضيء به من جحد. وكما أن نور السُّراج يكشفه البعيد والقريب، وهو في وصفه عجيب، كذلك نور المعرفة يشهد له البعيد في الأفعال والقريب.

وكما أن من حصل في ضوء السراج لا يكشف ما بعد عنه برؤاه كذلك نور المعرفة من قرب منه لا يعرف سواه.

وكما أن السراج يقيد منه أهل الأرض، ولا تنقض ذاته، كذلك نور المعرفة إذا حققت صفاته.

وكما أن السراج ما اتصل منه بالفتيلة أوسع، وما بُعد عنها خرج مخروط الشكل،

وسطع. كذلك نور المعرفة إذا تعلق بالأفعال اتسع باتساعها، وإذا تعلق بالحق ضاق ورقاً لعجزه بمكانها.

وفي السراج من الاعتبار ما يضيق عنه هذا الديوان، ولا يبلغ له كُنْه، فكيف لو أخذنا في اعتبار الشمس في هذا المقام، والقمر في حال نقصهما والتمام. أو في كون من الأكوان، لضاق الزمان عن إبراز سرائره للعيان. فليكن من ذلك ما ذكرناه، وليستدل بهذا على ما تركناه. وهذا هو حظ الإنسان من اللؤلؤة العاشرة. قد ذكر بعضه وأجمل معناه لما قصر عنه لفظه.

والله يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاق

اعلم

أن الإمامة هي المنزلة التي يكون فيها متبوعاً، وكلامه مسموعاً، وعقده لا يحل، وضرب مُهتدِه لا يُقَل. فإذا همَّ أمضى، ولا راد لما به قضى، حسامه مصلت، وكلامه مصمت، لا يجد المعترض مدخلاً إليه، وإن رام اعتراضاً عوقب عليه. قد أثبتنا سبحانه كبرى، وأكبر. وصغرى وأصغر.

فأي منزلة كانت صغرت أو كبرت، جلّت أو قلّت. فإن الطاعة فيها من المأموم واحدة، والمخالفة لها فاسدة إذ قد وقع التساوي في الطريق والاشتراك والحد في الحقيقة، وحكم الإمام على قسمين كما كان الإمام إمامين: ناطق ومصمت نطقاً، وصادق ومودع صدقاً، كالإمام الذي هو الكتاب الصحيح الذي يشهد عليه بالتصريح. فيحكم عليك الكتاب بما شاء كيف شاء، وكذلك قال الصادق المختار: (فيسبق عليه الكتاب فيدخل النان)^(١).

وكل ملك لا يكون فيه إمام متبع فعما قريب يتجرب ذلك الملك، ويتصدع. ولهذا توفرت دواعي كل أمة إلى اتحاد الأئمة، وهكذا جرت الحكمة الإلهية، والنشأة الربّانية.

فقال الحكيم الخبير: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(٢).

(١) حديث: «فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار». رواه أحمد بن حنبل ٣٨٢/١، ٤٣٠. ورواه البخاري في بدء الخلق ٦، والقدر ١، والتوحيد ٢٨، والأنبياء ١. ورواه مسلم في القدر ١. ورواه أبو داود في الستة ١٦. ورواه الترمذي في القدر ٤. ورواه ابن ماجه في المقدمة ١٠.

(انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ٤٠٢/٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٢٤، مكة

كل أمة على حسب ما تعطي حقيقتها، وتقبل رقيقتها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا طَائِر يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾^(١).

فألحق البهائم بالأمم، وحكم بذلك وعمّم، وكل أمة في أفعالها ناطقة، وفي أوجها عاشقة. فليس في الوجود جماد ولا حيوان إلا ناطق بلسان. لسان ذات لا لسان حال، والقائل بخلاف هذا قائل مُحال. فالحجب كثيفة، والمعاني لطيفة. فلو كشف الغطاء، وزال الاستبطاء لرأيت كل ذات مُسَبَّحة في جنسها، ناطقة في نفسها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٢).

وموف بعهدده. ألا ترى أن المؤذن يشهد له مدى صوته فهذا قد عرفنا بحقيقة لغته. وكلام الميت يسمعه كل حيوان ما عدا الإنس والجان.

وفي كل أمة من هذه الأمم نذير من جنسها، على حسب نفسها، ولا بدّ من إيجاد الإمام المتبع في الشيء الذي قدم له واتبع. فإن نازعه آخر هلك، وبقي الأول على ما ملك، إلا إن ظهر منه نقص في شروط الإمامة، ولم تثبت فيه العلامة، فليعزل من وقته قبل مقتته، وليقدم في تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط. فإمام الأئمة كلها هاديها ومُضَلِّها.

﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣). فقد قرن الفساد بالاشترار، وقال: إن بها يقع الهلاك، فلا بدّ من اتحاده في حكم بلاده، فلا سبيل إلى منازعته، ولا مدخل إلى مطالبته، إلا كما ذكرت لك من كمال الشروط واستيفائها والوفاء بالحقوق وأدائها، وإمام الصلاة إمام فيها على أركانها ومبانيها، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، ومن رفع قبل الإمام فناصره بيد الشيطان.

وكذلك القاضي إماماً فيما نصب إليه، والقائم إمام فيما قدم عليه، (وكلكم راع)^(٤) والراعي مسؤول عن رعيته.

فكل إنسان إمام في نفسه، وبيته، وبنيه، والإمام الأكبر المتبع، الذي إليه النهاية والمرجع، وتنعقد عليه أمور الأمة أجمع، فكل إمام لا يخالف في إمامته، إذا ظهر بعلامته، والكل إمام تحت حكم هذا الإمام الكبير، كما أنه تحت قهر القاهر القدير، فهو الآخذ عن الحق،

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٣٨، مكة

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكة

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢٢، مكة

(٤) تقدم تخريجه.

والمعطي بحق في حق فلا تخذلوه، وانصروه، ووقروه، وعززوه، فإنه إلى هذه المنزلة الشريفة، بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ولما وقع الاعتراض عليه جعل المعترضين سُجَّداً بين يديه، واختص بخزي الأبد، من أبي عن السجود حين بادر من امتثل الأمر وسجد.

وكفى بهذا شرفاً للإنسان، فكيف إذا انضاف إلى هذا كونه على صورة الرحمن، فله الفضل على جميع الوجود بالصورة والسجود.

فبالصورة: صحَّت له الإمامة.

وبالسجود: صحَّت له العلامة.

حيث شهد الحق له أنه علامة.

ولما كان الأمر على هذا الترتيب، وأعطت الحكمة هذا التقريب. كذلك هذه النشأة الإنسانية، والنكتة الربانية، فيها أئمة، كما فيها أم، أمة فوق أئمة، إذا كان أم الكتاب وحضرة اللباب. والروح الفكري إمام، والروح العقلي إمام، والروح المصور في الروح الخيالي إمام، والروح الوهمي إمام. والحواس أئمة، ولكل إمام من هذه الأئمة أئمة.

والإمام الأكبر، والنور الأزهر القلب، المقدم على عالم الشهادة والغيب، وهو الروح القدسي والإمام الأنسي وإليه الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم):

(ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^(٢).

فإن كان صالحاً فروح قدسي، وإن كان غير ذلك فشيطان غوي، فالرعية على دين الإمام. سواء كان في عالم البسائط أو في عالم الأجسام.

فأما الإنسان هو الذي قال فيه الرحمن: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن).

حين ضاق عن تجليته الأرض والسماء، واستحال عليهما الاتصاف بالأسماء، فصار قلب العارف بيت حق، ومقعد صدق، فقد ثبتت الإمامة جمعاً، وأتى الناس كرهاً وطوعاً.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٣٠، مدينة

(٢) حديث: «ألا إن في الجسد مضغة...» رواه البخاري في الإيمان ٣٩. ورواه مسلم في المساقاة ١٠٧. ورواه ابن ماجه في الفتن ١٤. ورواه الدارمي في البيوع ١.

(انظر: هامش كتاب حدائق الحقائق، بتحقيقنا ٢٤٦).

واعلم

أن المبايعة لا تقع إلا على الشرط المشروط، والعقد الوثيق الموثوق المربوط، كل مبايع على قدر عزمه ومبلغ علمه، فقد يبائع شخص على الإمامة، وفي غيره تكون العلامة، فتصح المبايعة على الصفات المعقولة، لا على هذه النشأة المجهولة، فيمتد عند تلك المبايعة للخليفة الناقص من ظاهر الجنس، الخليفة المطلوب يده من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها، من غير أن ينظر ببصره إليها. ولذلك يقع الاختلاف في الإمام المعين لا في الوصف المتبين. فعَلَّ خليفة تجتمع القلوب عليه، ولا سيّما إن اختل ما بين يديه.

فقد صحّت المبايعة للخليفة، ففاز بالمرتبة الشريفة، وإن توجه اعتراض فلا سبيل للقلوب المراض، المنعوتة بالأمراض.

ولمّا كان الحق تعالى الإمام الأعلى، والمتبع الأولى، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١).

ولا ينال هذا المقام إلا جسم، بعد النبي المصطفى الأعظم، إلا ختم الأولياء الأطول الأكرم، وإن لم يكن من بيت النبي، فقد شاركه في النسب العلوي فهو راجع إلى بيته الأعلى، لا إلى بيته الأدنى.

(١) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية ١٠، مدنية.

نُكْتة الشرف في (عُرف من فوقها عُرف)

وكان وليتي، وفقه الله تعالى، يقول قولاً قياساً شهادة وإحساساً:
 - لم يكن الختم من بيته مستخرجاً حتى يكون الشرف بالنسب أكمل وأتم للمنصب الشريف، وأفضل.

ولو كجَل، هذا القائل، عينه، وتحقق ما فيه لرأى سلمان (رضي الله عنه) مُلحقاً بأهل البيت، ولعرف أن المراد ليس في البيت.

ختام الأولياء على العقود
 من الجسم المعظم في الوجود
 لجاء اللصُّ يفتك بالوليد
 حمى بيت الولاية من بعيد
 لما أمرت ملائكة السجود
 يُسمى وهو حيُّ بالشهيد
 فريد الذات من بيت فريد
 بمشاهدة على رغم الحسود
 مكان الحق من جبل الوريد
 ؤ، على الجسم المغيب في اللحود
 طليق الوجه يرفل في البرود
 والأُسرف يلحق بالصعيد
 على الأفلاك في سعد السعود

فمن شرف النبي على الوجود
 على البيت الرفيع وساكنيه
 لو أن البيت يبقَى دون ختم
 فحقق يا أخي نظراً إلى من
 فلولا ما تكون في أبينا
 فذاك الأقدسِي أمام نفسي
 وحيد الوقت ليس له نظير
 لقد أبصرته خثماً كريماً
 كما أبصرت شمس البيت منه
 لو أن النور يشرق من سنا
 لأصبح عالماً حياً كليماً
 فمن فهم الإشارة فليصنها
 فنورُ الحق ليس له خفاء

سواء في هبوط أو صعود
وأن الأمر فيه على المزيد
ين، دليل أنني ثوب الشهيد
ولكن حل في قلب العبيد
إليه التكر من بيض وسود
مشى في القفر في عقر الأسود
على الكشف المحقق والشهود
جحدت، وكيف ينفعني جحودي
تضرع للمهيمن والشهيد
وسله العيش للزمن السعيد
عصاماً بالموذة في الودود
ككعبتكم إلى يوم الصعود
كما أخفيت بأسك في الحديد
كسترك نور ذاتك في العبيد
بتوفيتي موافيق العهد

وسيبدو لك أمره، ويتضح لك سره، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾^(١) فتخلق بالسميع

البصير، وتحقق بالعجز والتقصير.

فلنذكر الآن نسختك من هذا الخليفة البيتي الإمام، ثم اختم نسختك من ختم الأولياء الكرام، وبالختم يكون التمام.

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٤، مكة.

النُّكْتة المؤخّرة في الدورة المدخّرة

ولمّا جلّ غيبي خلّ عيبي
وعند شهود ربي حلّ حبي
ولمّا فاح زهري هبّ نشري
ولمّا اضطر أهلي لاح ثأري
ولمّا كنت مختاراً حبيبا
مطيت، ولم أبال بكل أهل
وكننت إلى رحيم البعد نجما
ولمّا كنت مرضياً حصورا
لحظت الأمر يسري من قريب
وكننت به لفرد بعد سيّ
فلو أظهرت معنى الدهر فيه
ولكنّي سترت لكون أمري
فستّرت الأمور بكل كشف

على عيني فصيّره عديما
على قلبي فصيّره سليما
على نوري فصيّره هشّيما
من الرحمن صيرني كليما
فكان براق إسرائي كريما
تركت، فعدت رحمانا رحيفا
دوين العرش وقادا رحيفا
وكان إمام وقت الشمس ميفا
على ذكر يصيّره رميفا
لعمام العقدة قواماً عليما
لأعجزت العبارة والرقوما
محيطاً في شهادته عظيما
لعمين صار بالتقوى سليما

فصل

ولمّا تكلمنا على الشرف النبوي الأجلّي، من طريق البيت الأعلى، حتى نستوفيه في آخر الكتاب، من غير اختصار ولا إسهاب، ولكن بتيسير ألفاظ جزئية تدل على معانٍ كلية.

وصل

كذلك للإنسان نسبتان، وله في العالم منصبان فأشرف نَمَبته، وأعلى منصبته؛ أن يُنسب

للحق لا لوالديه، وأن يقيم سيره أبداً خديماً بين يديه، فإذا صحت له هذه الرتبة، وفاز بأعلى درجة القربة، وتصرف عن سماع الإذن المتعالي، صح له النسب العالي، فكان إذ ذاك عبد الله بن فلان، أو ما يقتدي به الثقلان.

فصل

ولما قدّمنا شرف البيت الأعلى، إذ كان الأشدّ والأولى، أردنا أن تتميز الرتبة بالأخذ في شرف النسب، الذي يتعلق به الوژ الحسني، والغرض النفسي.

وصل

كذلك صحّ التقدم لعالم غيب الإنسان، على ما فيه من نسب الحيوان، فهو محرّكه ومصرفه، ومنبهه، ومعرفه. وقد احتجب عن أكثر الناس عالم غيبهم بما ظهر.

فلذلك حُرّموا اكتساب اللآلئ واقتناء الدرر، وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الأسرار، وضرب بينهم وبين مطالع الأنوار، بظل هذا الجدار، وإن كان له وجود شريف، وسرّ لطيف سأنبهك عليه، وأندبك إليه، وأعرفك أن الورث: ورثان. لما كان العالم عالمان.

- فالورث الأعلى في العالم الأجلّي. ورث أسرار وتجليات أنوار.

- والورث الأسنى في العالم الأدنى. ورث استخلاف على أمصار، وتعبد أحرار.

فصل

ولما كانت الشمس لا بدّ لها من تحول مطلعها، وتبدّل موضعها.

وصل

كذلك لا بد من طلوع شمس حقك على ظاهر خلقك.

واعلم

أن الشمس لم تزل جارية من المغرب إلى المشرق بنفسها، كما لم تزل جارية من المشرق إلى المغرب بغيرها، غير أن البصر قاصر واللب حائر، ولا بد لها يوماً أن تظهر حركتها، وتعطي بركتها، فمن جاء أجله المسمى ولم تغفر حوبته فقد أغلق باب توبته وطلعت شمس من المغرب، ولا ينفعه إيمان ذلك الوقت ما لم يكن آمن، وهو قوي مستبصر، فإن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يفرغر.

فصل

ولما كان هذا الأمر هو الكنز الخفي بالبحر الغريبي.

وصل

أشار إلى أن القلب هو المقعد الصدق، ومحل أسرار الحق، هو البحر المحيط، والمعبر عنه بالعلم البسيط، عنه تكون المركبات، ومنه تصدر الحركات والسكنات.

فصل

ولمّا قال: ولا يعرف ذلك الكنز إلا من كان روحاً لا جسماً، وعلمه الحق من لدنه علماً، وانبعث من كان كليماً في طلبه ليعرف شرف مذهبه. وأظهر المعروف المحمود في المنكر المشهود، وجاء بثلاثة أفعال، من المقام العال. ففعل إضافة إليه، وفعل إضافة إلى الحق، وفعل شرك في العبارة عنه بين الحق والخلق.

وصل

كأنه أشار إلى أن الإنسان في نفسه البهيمية ملاحظاً لنفسه النباتية، لا يتجلى له أمر، ولا يبدو له يسر. فإن ارتقى عن درجة الأجسام، وزال عن عالم الأوهام، والتحق بمقام الإلقاء والإلهام، تعب في طلبه علماء الأحكام، فصار شاهده يطلب غائبه، ليعرف مقاصده ومذاهبه، فإذا وقع عليه قيده بشرطه، واستوثق من عقده وربطه فأبدى له من المعاني ما لا ينفر عنه طبعه، ويرده عليه شرعه فيذكره، فيتذكر، وأن الله قد أنبأه بصدقه وأخبر. فهذه علوم الأدب والحكمة، وباب التواصل إلى حضرة الرحمة.

فصل

ولمّا قال: والذي يعرف حقيقة ذلك الكنز، ومحل النجاة والفوز، يقيم جداره، ويسكن داره، ولا يطلب على تعليمه أجراً، ويحدث لمن أنكر عليه منه ذكراً.

وصل

أشار إلى كتمان الأسرار، من حيث، لينظر أهل الإنكار، فيصع منهم الاعتذار، ويبتأ بما في طي هذه الأخبار.

فصل

ولمّا قال: فإذا بلغ اليتيمان أشدهما، وتوفي الأدوار أمدهما، حينئذ يظهر الكنز. وتقوم دولة العزّ.

وصل

كأنه يقول: فإذا بلغ الروح العقلي منتهى نظره.

وبلغ الروح الفكري غاية فكره. ووقت الأدوار الفلكية أربعين إخلاصها. وشركت في ذلك بين تقدمها ومناصها. حيثُذ جاء الروح القدسي أميراً، واتخذ الروح العقلي وزيراً، والفكري سميماً، والحيواني غريباً.

فصل

ولمَّا قال: وتشرف من الدين أسرته، وتعقد عليه أرزته، بعد ما تنقضي من المغرب طلوعها، ويظهر العدل، ويكون الفضل، ولكن إلى المشرق رجوعها.

وصل

كأنه يقول: وإذا كان السرُّ من القلب طالماً، فقد كان فيه غارياً، ولكن كان غروبه طلوع ذلك الأفق العلوي، وغروباً عن المقام الإلّهي، ثم قد يكون طلوعه من الأفق النفسي، ويكون غروباً عن الأفق العقلي.

فصل

فإذا ظهر الأمر في مجمع البحرين، ولاح السرُّ المكتوم لذي عينين.

وصل

كأنه يشير إلى ظهور النكتة الربّانية، في هذه النشأة الإنسانية، فإنه مجمع لبحر لآلىء الكون والأئين، والإبرة والعين. وقوله: لذي عينين. يشير إلى صاحب الصفتين. فمن فهم فاز فوزاً عظيماً وكان بالله عليمًا.

فصل

ولمَّا قال: وقام سميُّ النبيّ، وعن يمينه سميُّه الولي، وذلك عندما تنعدم الحاء، وتخط الألف في السماء، ويجري وادي منى، ويظهر الإنسان والماء. وتكون الشمس في الجوزاء.

فإذا استوى الفلك على الجوديّ، ﴿وقيلُ بعداً للقوم الظالمين﴾^(١) وقُتِلَ الشفّيانِي وكان من الفاسقين، ونادى الأبُّ ابنه: ﴿وقيلُ إنه ليس من أهلك﴾^(٢) ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾^(٣).

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٤٤، مكة

(٢) القرآن الكريم، سورة هود، الجزء الأول والأخير من الآية ٤٦.

وصل

أشار بذلك إلى الورث النبوي، والمقام البرزخية، ورفع الحجاب الإلهي، في قتل النفساني، وتحصيل المركب الإحساني، على الجودي الأنبائي.

فصل

ولمّا قال: وكانت علامته لأيمن الخد، الحال المكرم الأسود.

وصل

أشار إلى الحجر الأسود الخالك، وكونه يمين الواحد المالك، فمن ثبتت له تلك العلامة، فقد صحّت له الإمامة.

فصل

ولمّا كانت المبايعة لهذا الإمام، بين الركن والمقام، وليس وراءها مرمى لرام.

وصل

كذلك إذا كان واقفاً بين مقام الخلة، وركن من رام بأضيفه سدّ الخلة.

الذي قال فيه (صلى الله عليه وسلم) في صحيح الخبر: (رَجِمَ اللَّهُ أَخِي لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد)^(١). خطاباً لجميع البشر هناك يُوصف بـ: ﴿عند ذي العرش مكين. مُطَاعٍ ثُمَّ آمِنٍ﴾^(٢).

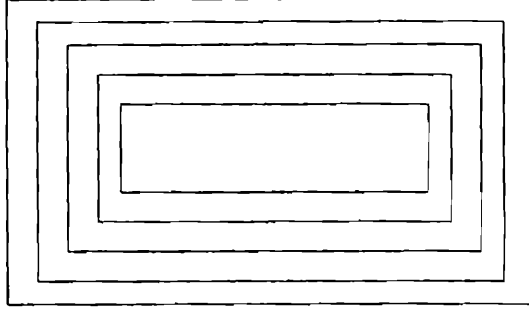
وينعقد له مبايعة التعيين في الحرم المنيع، والبيت الرفيع.

فصل

ولمّا كان فتح المدينة، التي هيأتها هكذا:

(١) حديث: «رحم الله أخي لوط لقد كان يأوي إلى ركن». أخرج ابن جرير عن الحسن (رضي الله عنه): إن هذه الآية لما نزلت ﴿لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحديث. وأخرج البخاري في الأدب، والترمذي، وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وأبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة. (انظر: السيوطي: الدر المنثور، ٤/٤٥٩).

(٢) القرآن الكريم، سورة التكويم، الآيتان (٢٠، ٢١)، مكة.



باب المدينة. بالتكبير والتهليل، وفي مقدم العسكر جبريل (عليه السلام) وقد عطف اللواء المشرق نحو بلاد المشرق، ورياح المغرب تُزعجه، وبشائر الفتح تلهجه، والملائكة به حاقون، وعليه ملتقون، وأمامه مصطفون.

وصل

كذلك إذا فتح العارف مدينته الكبرى بالمجاهدة، والمعاناة، والمكابدة، وارتقى إلى فتح مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ففتحها بالتهليل والتكبير، وذلك بنزول الروح الأمين، من ربه على قلبه، بسرائر غيبه، والملائكة من بين يديه ومن خلفه، رصداً. فحينئذ يرجع من حيث جاء مسروراً، وقد ترك بلاده تُعد بوراً. فتحقق وتخلق، والله الموفق.

فصل

ولما قال: وفيه أخذ في هذا الرحيل، فاطو بساطك أيها الجليل. ويزمعه بما معك من كثير وقليل، فإن لم يكن عندك قوة ومال، ولا طاقة بحمل العيال فيسز إلى معدن الإمامة، يحثو لك من المال ما استطعت أن تحمله، وذلك أيضاً له علامة مع جلي الجبهة، أقنى الأنف، وسيرته في الملك بين اللين والعُنف. فاصحب ذلك الركب المحفوظ، المصان الملحوظ، فإنه لا خير فيمن بقي بعده، ولكن الخير أمامه وعنده.

وصل

كذلك العارف إذا نزل روح قُدسيه، إلى فتح مدائن نفسه، ورجع إلى حضرة أنسه، لزم الجوارح أن يرجعوا وراءه، ويلازمون تلقاءه، فإن افتقروا استمدوه، وإن غير عليهم استعدوه.

فصل

وبعد انقضاء هذه الدول يخرج الأعور، وقى رجله فنزل، فيميت بإذن الله فتنة، ويحيي

يأذن الله ما أمات، ويُنزل الله الغيث، ويُخرج له النبات، وتأتي إليه الأموال، وتنعقد عليه الآمال.

إلا مَنْ آمَنَ، وتحصَّن، وتبصَّر، وأكل من الحشيش الحر، وحتى يأتي أمر الأثر الألد، فيقتله بباب لد، ويظهر دمه في الحربة، ويسرع إلى الانحصار بالأوبة، ويخرج من وراء السد أكثر عدداً، وأقوى مدداً.

فيدعو عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) على أولئك الأمم، بعدما لم ينزلوا بالأرض دياراً، وأرسلوا سهامهم إلى الجو ليقتلوا من في السماء، فيردّها عليهم سبحانه وتعالى مخضوبة بالدماء، فيسلط الله عليهم في ليلة داء، في أعناقهم، فيموتون في ليلة إلى آخرهم. ثم تخصب الأرض، ويكثر الزرع، وتعظم الثمرة، ويظل الرهط الكبير الشجرة، وتحيا الشريعة المحمدية وتظهر الحقيقة الأحدية، إلى أمدٍ معلوم، وقدر محتوم، وتنفخ دابة، وتطلع شمس، ولا يقبل عند ذلك إيمان نفس، والله يعصمنا من غوائل الفتن، ويصرف عنا وجوه الحين.

نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء

(وهو النسب الأعلى، الذي تقدّم ذكره، في نكتة الشرف. جهل من جهل، وعرف من عرف)

ولما أشار من إشارته علم، وطاعته غنم، وهو الذي يلقي الأمور، ويشرح الصدور، أن أتبه على تعيين هذه النكتة، وأن يأتي بها كالساعة بغتة، وذلك لتوفير داعية، من أذن واعية. فلا بد من بسطها، وحل ما قوي من ربطها، وما ذكر الله في كتابه العزيز من هذا الختم من الأسرار، وما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيه من الأخبار. وورد الأمر أن أذكر من الكتاب العزيز مقاماته، وآياته، وتلغز إيضاح أسمائه وصفاته.

فاعلم:

أيّدك الله بكلميه، ووهبك معالم حكيمه، وأوضّح لك سيره قديمه.

أن الختم الذي يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهى للمقام والغاية، أنه قد كان ختماً لا يُعرف، وكان له الأمر لا يُزُد ولا يُصرف، في روحانية متجسّدة، وفردانية متعددة، ختم أمراً جسيماً فاستتر، وختم أمراً مقامياً فظهر، وإن ظهر بعده وليّ فليس له المقام العليّ. فإنه من جملة أتباعه، وصحابته وأشياعه.

ألا ترى الأمر الإلهي قد حكم ونفذ تقديره، وختم فصير من كان نبياً بعدما بعث نبينا (صلى الله عليه وسلم) وليّاً، لحسن الاستماع، وحكم الاتباع. والتحق بالأئمة، وكان من بعض أنوار الهمة.

كذا جرى الحكم في هذا الولي، الآتي بعد هذا الختم العليّ، فليس الختم بالزمان، وإنما هو باستيفاء مقام العيان.

وإن كان لا بد أن يقارن حركة الفلك، هي زمانه، ووقته، وأوانه. فيُنسب إلى الزمان من هذا الجانب.
وهكذا أمره في سائر المراتب.

* * *

إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته، والإعلام بأحواله وآياته اعلم:

أن الله تعالى ذكر هذا الختم المكرّم، المتبوع المعظّم، حامل لواء الولاية وخاتمها، وإمام الجماعة وحاكمها، وأنبأ عنه سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة، من كتابه العزيز، وتنبهها على مرتبته ليقع التمييز.

فإن الإمام المهدي، المنسوب إلى أهل البيت النبويّ لما كان إماماً متبوعاً، وأمراً مسموعاً، ربما اشتبه على الدخيل صفاتهما، واختلطت عليه آياتهما.

وأما عيسى (عليه الصلاة والسلام) فلا يقع في آياته اشتراك، فإنه نبيّ بلا ريب ولا ارتباك.

ولمّا كان الختم والمهدي، كل منهما وليّ، ربما وقع اللبس، وحصل التعصّب لدواعي النفس، فلهذا الأمر الكبار ما تبه عليه لأهل البصائر والأبصار.

وأما العوام، فليس لنا معهم كلام، ولا لنا بساحتهم إمام. لأنهم مقلّدون لعلمائهم، تابعون لأمرائهم. والأمرء والعلماء يعرفونه، ويقتفون أثره ويتبعونه.

حتى أن عيسى (عليه السلام) ليدركه، فيشهد له بين الأنام أنه الإمام الأعظم، والختم لمقام الأولياء الكرام. وكفى بعيسى (عليه السلام) شهيداً.

وإن وراءكم عقبة كؤوداً، لا يقطعها إلا من ضمّر بطنه، وسهّل حزنه.

فموضع نَبّه عليه سبحانه وتعالى أنه سيظهر على أوليائه ويُنصر على أعدائه، ولذلك فاعلم.

وهذا فصلٌ يحتوي على: مولده، ونسبه، ومسكنه، وقبيلته. وما يكون من أمره إلى حين موته. واسمه، وأسماء أبويه، إمّا تضمّنه نصّ القرآن الصحيح، والخبر الواضح الصريح.

* وأما القرآن العظيم: فتضمّن ذكره، وذكر أخيه.

* وأما الخبر: فضمّ ذكره دون أخيه، إلا في موضع واحد، وذكره مع متّبعيه.

وتَبَّعت مواضع التشبيهات عليه، والتنصيص في القرآن فوجدته كثيراً، لكن على تقاسيم البرهان:

* فمنها في [البقرة] موضعان: فيهما علاماته، ومكانته، وآياته.

* وفي [آل عمران] أربعة مواضع:

١ - الاعتناء قبل وجود عينه، وتقدم شرفه قبل كونه، وآثاره الحميدة، وأفعاله المشهودة.

٢ - وإلحاقه بالنقص والخط، والنقض والحل، بعد الشد والربط.

٣ - ومسكنه الذي لا يغيره الذاريات، ولا تجهله التاليات.

٤ - وأوجب التصديق به خالقه، وأودعه في الشرع فائقه.

* وفي [النساء] أربعة مواضع:

١ - التحق في بعضها بصاحب النور، وتنزّه في ذاته عن قول الزور، ومناجاته مع إخوانه، وجولاته في ميدانه.

٢ - أفردّه بالصدق في نطقه، مناسبة بينه وبين خلقه.

٣ - جاء حرف تنبيه لا تبعيض، فأبانه، وأظهر للعقول السليمة منزلته ومكانه.

٤ - ثم ذكره بما دلّ عليه أبو يزيد في مناجاته في سماء التوحيد، وشاركه في أوضح الأسماء، صاحب سورة الإسراء.

* وفي [المائدة] في ثمانية مواضع:

١ - علمه الراسخ، ومنصبه الشامخ، ونوره الأوضح، وسرّه الأوضح.

٢ - ونُصْحُهُ وتَحْرِيطُهُ، وتخصيصُهُ وتخصيصُهُ.

٣ - لاحقه بالعالم الأنقص تصريح النَّصِّ، لتكميل علمه، وتنقيح فهمه.

٤ - خاطب الحق عباده على معوّله، كما فعل بأنبيائه ورسله.

٥ - وذكره بالأفعال المغيبة في العين، وردّه من عالم البقاء إلى عالم لبس الكون.

٦ - طلب الأعلى من المقامات العُلى فألحق بالشفلى وبالعدول عن الطريقة المثلى.

٧ - اتَّخَذَ سرّه بربه، تعشّقاً لانسلاخ زمان قُربه.

٨ - فأراد الرجوع عن مدركه، والسلوك على منهجه، فنودي في الأعنان، في عرصات الكيان: بلسانك الشرك، والبراءة من الإفك.

فوتَّخَذَ، واستشهد، وسجد للواحد الأحد.

* وفي [الأنعام] موضع:

- رتقه رتقاً لا يفتق، وجعله خلقاً لا يخلق.

* وفي [براءة] موضع:

- لما وقف على حقيقة شرف نفسه، ناطق بما يسر من جلسه.

* وفي [مریم] موضعان:

توخُّ فساد، وأحمد نار العناد.

* وفي [الأنبياء] موضع:

- زكى فتركى، ونودي فلم يتلكأ.

* وفي [المؤمنين] موضع:

- تشاءم فرجع، وأخصب وترع.

* وفي [الصفات] موضع:

- عُرض بأخيه، مع حملة بنيه.

* وفي [الشورى] موضع:

- مهَّد له السبيل، وعرف أسباب التنزيل.

* وفي [الزخرف] موضع:

- نبَّه على مقامه تنبيهاً لا يرد، بيرهان لا يُصد.

* وفي [الحديد] موضع:

- الحقُّ تالياً، فلم يصح أن يكون متلوّاً، وكان صديقاً وليّاً فإن النبي هو المتلو لا تالٍ، والولي المولى عليه ليس الوالي.

* وفي [الصف] موضعان:

- قيل عنه فقال.

- ورد ذنبه فزال المطال.

* وفي [التحريم] موضع:

- حرِّم، وأقرَّ بالمقام، وسلم.

وأما الخبر الصحيح:

في مثل البخاري ومسلم: فانظروا ما أشار إليه ابن بطال، وصاحب كتاب «المعلم» إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

وأما النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه اجتمع به في الأرض التي خلق منها آدم (عليه السلام). وفي هذه الأرض من العجائب ما يعظم سماعه، ويكثر استبشاعه. وقد ذكرت هذه الأرض وما فيها من العجائب، وما تحويه من الغرائب في كتاب أفردته لها سميتها، بكتاب: (الإعلام بما خلق الله من العجائب في الأرض التي خلقت منها طينة آدم عليه السلام).

واعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأول على ما حُطَّ له في الأزل.

- فكان العام الأول كشهر.

- والعام الثاني كجمعة.

- والعام الثالث كيوم.

- والعام الرابع كساعة.

وما بقي من الأعوام، كخطرات الأمانى والأوهام. وأنه زائل عن مرتبته بختمه، وظاهر بعلم غيره لا بعلمه، وجار في ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهوره بهذا العلم، وحكمه بهذا الحكم، ما صحَّ له مقام الختم، ولا نُحِتَتْ به ولاية، ولا كملت به هداية.

وأنه له حشرين، ولصاحبه فخرين، ولوجه نورين، وفي حفظه علمين، وله عالمين يشركهما في حكم، ويخص أحدهما بحكم، فهو صاحب حكيمين.

وهو من المعجم لا من العرب، آدم اللون، أصهب، أقرب إلى الطول منه إلى القصر.

كأنه البدر الأزهر. اسمه: عبدُ الله، وهو اسم كل عبدٍ لله، وأما اسمه الذي يختص به، فلا يظهر فيه إعراب، وينصرف في صناعة الإعراب.

- أوله عين اليقين، وآخره قيومية التمكين.

- ونصف دائرة الفلك، من جهة النصف الذي هلك.

- لا يُدعى باسم سواه، ولا يُعرف أباه.

- [إن وقف قلت سرولة، وإن مشى مشى بين السعي والهرولة.

- رضي القول، شكور الفعل.

- وهذا هو فاعلمه؟

اللؤلؤة اللاحقة بالياقوتة السابعة

ولما كانت القطوف دانية، في انعطاف القرون الثلاثة المتوالية، وكان قطف فوق قطف، وعطف فوق عطف، انتهى الأمر، وقيل: ما بقي خير، ولا مير.

واستمسكوا بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) حين بلغهم عنه، أنه قال: (ما ينقضي زمان، إلا والذي بعده أشتر منه)^(١).

وغفلوا عن القرن الرابع، الآتي بعد الثلاثة، الذي هو زمن المهدي، والخاتم الولي، ونزول عيسى النبي.

وذلك أنه لما انتهت القرون الثلاثة، ودخل صفر، ظهر الفساد في البشر، وتوالت أدوار النحوس في الأكر. إلى أن دخل رجب الفرد، الملحق بأول الثلاثة السرد، فالتحق بأصحابه، وتميز في أترابه، والتحمت القرون، بظهور السر المصون.

ولما كان ذو الحجة وسط الثلاثة المحرمة، فكان من أعظم الشهور المعظمة، وكان شهر ضمان التبعات، والمغفرة لأهل عرفات، فهو الأول بالفضلية، وهو الوسط بالدورة الزمانية، والحكم الاصطلاحية، فعُذ روحانيته في التقديم، وذلك من باب الحكمة لا التحكيم. فهو الأول وإن كان وسطاً. ولم أقل في ذلك شططاً.

ثم لما كان الترجيح التعظيم، التحق الآخر بصاحب التقديم، وهو الأصب والأصم، الملحق بالثلاثة الحزم. لكن أقوى ما تقدم عليه الحجة، إلحاقه في التعظيم بذي الحجة. وقد يكون الآخر بالجسم، يتقدم الأول في الحكم. ألا ترى النبي (صلى الله عليه وسلم) مؤخراً في النشأة الدنياوية، مقدماً في النشأة الأخروية. وإذا صبح التقدم، فالتساوي أخرى، وبهذا أجزى في هذا المجرى. ألا ترى نص الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه عنكم: (للعامل منهم أجر سبعين منكم).

فقالوا: بل منهم.

فقال: بل منكم)^(١).

فأكد في العطف التفاضل في النطق.

(١) حديث (ما ينقضي زمان، إلا والذي بعده أشتر منه، رواه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ٨٩. ط ١. دار الفكر بيروت. والهشبي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٠ ط ١ دار الكتب العلمية. والناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٥ ص ٦٢٠ حديث ٨٠٥٨ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) حديث: (للعامل منهم أجر سبعين). تقدم تخريجه أول الكتاب.

فانظر إلى عظيم هذا البذل، وعميم هذا الفضل.

فإن احتج عليك هذا الخصم الضعيف بمفاضلة هذا المدد والتصيف. فاعلم:

أن للمفاضلة أبواباً، وأن لها عند المفضل أسباباً. إذ هي راجعة إلى الزيادة والنقص، بالحكم الاصطلاحي والنص. فقد فضل الواحد صاحبه بتكليم الله له. وفضل الآخر بالإحياء للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

وإذ قد صحَّ القول، وتبين التساوي، فقد فضلونا من غير الجهة التي فضلناهم، وعرفونا بغير الدليل الذي عرفناهم، وقد يقع الاشتراك بيننا في الصفة، ونجتمع في بعض مراتب المعرفة.

فإذا تحققت هذا التفضيل، فقد فتح لك في التفصيل، وساغ لك التأويل.

ولما كان ذو الحجّة أوان الفضل والتعيين، حملنا ما بعده من الشهور على المثين من السنين. فكان طلوعه بعد انقضاء الخاء، من حروف الهجاء.

وكان ميلاده بعد انقضاء الصاد والباء، بعد ميلاد الإنشاء، وانتظام الأجزاء.

ولعل الناقد ينقد السابع في العلم، فقل له ذلك أوان الحكم، في دولة العز بظهوره، وعند انقضائه، وجود ختم أوليائه، عند فناء العدد الوتر، المذكور في الشعر^(٥).

والله أعلم بالصواب

تم الكتاب

هذه هي القصيدة التي أوردتها هذا المخطوط. وهي المقصودة بأن فيها العدد الوتر، المذكور

في الشعر:

عَجِبْتُ لَوْجُودِ حَوَى كُلِّ صُورَةٍ	مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَالْجِنِّ وَالْبَشَرِ
وَمِنَ عَالِمِ أَدْنَى وَمِنَ عَالِمِ عَلَا	وَمِنَ حَيَوَانٍ كَأَنَّ نَبْتَ أَوْ حَجَزِ
وَلَيْسَتْ سِوَاهُ، لَا، وَلَا هِيَ عَيْتُهُ	وَفِي أَيِّ شَيْءٍ نَشَاءٍ مِنْ صُورَةٍ حَضَرَ
وَيَبْدُو إِلَى الْأَبْصَارِ مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ	وَيَخْفَى عَنِ الْأَلْبَابِ ذَاكَ وَيَسْتَجِزِ
فَتَجْهَلُهُ الْأَلْبَابُ مِنْ حُكْمِ فِكْرِهَا	وَتُظْهِرُهُ الْأَوْهَامُ لِلشَّمْعِ وَالْبَصْرِ
هُوَ الْحَيُّ لَكِنْ لَا حَيَاةَ بِذَاتِهِ	تَقُومُ كَمَا قَامَتْ سَائِرُ الصُّورِ
فَمَنْ هُوَ خَيْرٌ فِي الَّذِي قَدْ ذَكَرْتُهُ	بِمَا قَدْ وَصَفْتَاهُ، وَتَزْمِي بِهَا الْفِكْرِ
فَمَا هُوَ مَخْفِيٌّ وَلَيْسَ بِغَائِبٍ	وَهَا هُوَ مَنْظُورٌ، وَيَخْفَى عَنِ النَّظْرِ

(٥) هنا نهاية النص فعلاً ولكن النسخة المطبوعة لم تورد القصيدة التي أوردتها نسختنا المخطوطة. لذا فقد أثبتناها من المخطوطة وحدها.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي قَلَّ سَمِعْتُمْ بِمِثْلِهِ أَلَا فَاخْبِرُونِي أَنْ هَذَا هُوَ الْمُبْرَزُ
وَمَا يَذْرِي مَا جِئْنَا بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ هُوَ اللَّهُ لَا تَذْرِي بِهِ سَائِرَ الْفِطْرِ
وَمَا يَمْلُئُهُ إِلَّا شَخِيصٌ وَإِنْسِي عَجِبْتُ لَهُ مِنْ كَامِلٍ، وَهُوَ مُخْتَصَرٌ
تَمَّتْ وَبِالْخَيْرِ عَمَّتْ

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي
لنعيم بن حماد: ويقوم المهدي في سنة مائتين. (الحديث).

وأخرج نعيم أيضاً؛ عن جعفر قال: يقوم المهدي في سنة مائتين. (الحديث). وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف بنحو أربعمئة سنة تقريباً. (رسائل إمام سيوطي).

قال الشيخ الأكبر في جفره الجامع: يظهر العنقاء في ثلاث بعد المائتين^(٥).
وقال الشيخ الأكبر:

الكون مقامكم وأنتم ذات والحق شمس وأجمعكم ذرأت
الجملة فيكم وأنتم فيها أنتم لهم، وهم لكم وراة
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الأئمة من بعدي اثنا عشر نقيباً، أولهم
وآخرهم المهدي، الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض، ومغاربها)^(١).

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا تنقطع الليالي والأيام، حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً)^(٢)
صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
قال ابن سينا في سؤال الشيخ السعيد الخير.

أبي سعيد بن أبي الخير، قدس الله سره العزيز، وهو قوله:

قال: إن المبدأ الأول مؤثر في جميع الموجودات على الإطلاق، وإحاطة علمه بها سبب وجودها حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

نِعْمَ مَا قَالَ رَحَ مِنْ كَنْزِ الْمَرَاتِبِ

(٥) هذه الأحاديث والإشارات كلها ليست من النص وإنما هي زائدة عليها أوردتها لأنها تعليقات القدماء على النسخة المخطوطة ومن هنا كانت أهميتها لنعلم كيف كانوا ينظرون إلى الأمر.

(١) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٢ عن ابن عباس مع اختلاف يسير في اللفظ، دار الأضواء، بيروت.

(٢) انظر صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٢٣٧، تحقيق شبيب الأناؤوط. ط. مؤسسة الرسالة. والمعجم الأوسط للطبراني ج ٢ ص ٥٥. تحقيق إبراهيم الحسيني. ط ١ دار الحرمين.

دعاء الاستخارة

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ، وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، وَعَاجِلُهُ وَأَجَلُهُ؛ فَاقْدِرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلُهُ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ.

تمت

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

نص كتاب المعرفة

مخطوطتنا الكتاب

عثر على مخطوطة كتاب «المعرفة» لابن عربي في المخطوطات المحفوظة بمكتبة طلعت تحت رقم (٧٧١ تصوف طلعت) والموجودة بدار الكتب المصرية. وهي نسخة مكتوبة بخط رقعة جيد، غير موضح بها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وربما يرجع نسخها إلى بداية القرن العاشر الهجري، وتقع في (٢٤٨ صفحة).

تميز هذه النسخة باكتمالها، ووضوحها الوضوح الشديد. ليست عليها مقابلات ولا هوامش. ولكن يبدو أن الناسخ كان يستدرك بعض سهوه فيعود ويضيف ما سها عنه بالهامش مرة أخرى. بنفس القلم ونوع الحبر. وأضاف أيضاً بعض عناوين لبعض المسائل بالهامش ربما نقلها عن نسخة أخرى، وربما اقترحها. وقد جاريته في اقتراحه هذا وأضفت بعض العناوين للمسائل ثم توقفت. وقد أشرت إلى هذا في موضعه من الهامش.

غلاف الكتاب موضح عليه:

من أعلى (تصوف طلعت) وأسفلها مباشرة خط وأسفل الخط كتب رقم تسجيل المخطوط بالمكتبة (٧٧١). ثم أسفل ذلك كتب عنوان الكتاب بخط جميل هكذا:

هذا كتاب المعرفة لحضرة النور الأبهى والكبريت الأحمر والنجم الأزهر الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين قدس سره.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (م) نسبة إلى المعرفة وتميزاً لها عن النسخة الأخرى التي سأذكرها. انظر غلاف الكتاب ونماذج من صفحاته الداخلية.

النسخة الثانية:

أما النسخة الثانية فهي أيضاً بمكتبة طلعت تحت رقم (١٢١١ تصوف طلعت) والموجودة بدار الكتب

المصرية وتحت عنوان [المسائل الدقائق في علم الحقائق] ميكروفيلم (٧٠٥٠) وعدد أوراقها (٤٧ ورقة).
كُتبت بخط نسخي معتاد لكنه واضح. وبها اضطرابات كثيرة ومشكلات نسخية ونقص في عدد
المسائل كثير جداً أوضحت كل هذا في موضعه.

وأود أن أذكر أن ابن عربي لم يذكر كتاباً بهذا الاسم الذي ذكرته. وإنما له رسالة صغيرة بعنوان
(المسائل) هكذا. وهي غير هذا الكتاب. وقد نشر في طبعة قديمة (حيدر آباد الدكن) ثم جمع ضمن
رسائل ابن عربي في الكتاب الذي نشرته دار إحياء التراث العربي ببيروت.

وربما أن ناسخ كتاب المعرفة هذه النسخة [١٢١١ تصروف طلعت] غابت عنه صفحة الغلاف الأولى
فأقترح عنواناً مناسباً وربما ناسب هذا العنوان فعلاً موضوع الكتاب لكنه ليس هو. وهذه النسخة مبنية في
نهايتها اسم الناسخ وزمن النسخ.

يقول في نهايتها:

فرغ من كتابة هذه المسائل الشريفة الأكبرية العبد الفقير: كمال الدين محمد بن محمد العامري
الحسيني الصديقي الشهير كأسلافه بابن العزّي. غفر الله له صبيحة يوم الجمعة ٢١ من شهر شوال
المبارك من شهور سنة (١١١٩) أحسن الله ختامها.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (س) تمييزاً لها عن نسخة المعرفة (الأصل).
وقمت بعمل مقابلة بين النسختين محاولاً إيجاد نسخة أخرى أبتغي بها حقيقة النص كما أراد له مؤلفه
أو حتى قريب مما يريد.

ويعيب هذه النسخة أنها تتوقف عند المسألة رقم (٢٢٢٣) ويناسب رقم (٢٥٥) في المعرفة بينما
سقط منها مسائل كثيرة وأشارت لكل هذا في موضعه.
أرجو أن أكون قد قدّمت الكتاب، بعد هذا الجهد الذي لا أبتغي به إلا وجهه الكريم، كما يجب وإن
قصرت فحسبي أني بشر، والله من وراء القصد.

سعيد عبد الفتاح

تصون هلمت
٧٧١

هذا كتاب المعرفة المحضرة
النور الابهر واللبيرت الاعمر
والنجم الازهر الشيخ الاكبر سيدي
محيي الدين قاس سر

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي صيغنا به عنه . عزَّ أن نعرف لكونه . وبدا نوراً
 فاستخرجنا من الأجهار بنوره . وظهر فاستجب عن البصائر
 بظهوره . فاستخرج النور في النور . وتبين الظهور في الظهور
 فلا يقع بهد الأعمى . ولا يخرج خارج الإضاءة . ولا يضيئ
 فاستمد الإضاءة . فبأنوار الألباب . ابن الضميمة
^{في قوله} ^{المعنى} . ومن كانت عينه صغيماً باعته . فلا تكف عن
 ولا صغاب . سنة في معنى قوله بسم الله .
 اعلم ان هذا الذكر يفتح فذكر ان الله تعالى وادرك كل شئ
بأنه الله تعالى الله تعالى . فمن أراد ان يسبح الله تعالى
عليه بسم الله تعالى . وان من سبَّ الله تعالى .

اي باقتاد الذي اثنى به على نفسه فان ذلك تسمي
 عن التسمي فان التسمي تربية - ولو تدره الاصل تحت
 كدت ينصف المخلوق - والله تعالى وادخلنا
 لك فيه سوب - ومنه المحال ان يكون عندك ما رجم الله
 نفع معه في الدنيا والاخرة - لا يكون لك فيه سوب
 فانه يبيع لك ان تسمى مع الله نفع بما لا تعلمه ويز
 هكت سبنا او عظمة - فان صفتك وادب فلو يبيع في
 الكون مع ما تعلمه الكفار التسمي الذي توهم علماء
 الرسم وانا يبيع التسمي عن التسمي - ما دام عبد ورب
 ولو زال عبد ورب فلو زال الرب هكت تسمي بعد
 ذلك اولا تسمي فانت تسمي ان كنت او انت
 او كنت او فقلت - ولو لا ما هو الامر على هذا في نفسه
 ما صح ان يظهر في العالم عبد شرك ولو شرك
 وقد ظهر في الوجود شرك وشرك فلو جله من عند

ما من صواب علم انه اتخذها براه لربها لا اله الا الله
 بهم ومع هذا في الصورتين لا يزال العابد فتحة
 لقلوبه فيما عبه همه او يامل زعمه انهم بغيره غيره
 المعبود مع ان لا معبود هو الحقيقة الا الله ثم الله
 المعبودان الكنية تنفتح في نظر العابدين الا في الحقيقة
 والبطون كمن عابداً ما يكف من يعبدوا لغيره
 فهو في معبوده هو فما عيب كل عابداً الا هو وما
 يستفيد سواه صادق المعبود الحق الذي تعبت
 عبادة او لم يعادف بسبب شروعية الحكم بسبب
 ما في فضل الامر حيث لا تقع العبادة الا مستحقاً بالذات
 ولذا انتم لا خاد لوه عند اعتبار نسبة الاصل فانه
 به به الكلى متخا لا مدية الوه وعند قطع نظر من
 تلك العاطفان لا يرى الوجود واحدة بغيرها اوقفت
 عبادة كل عابداً لكن معبود فكان هو العارف ان كل

الراز

الرُّبِّي لكل معبودٍ جمع للمثق يعبه فيه فالثق هو العبود
 طلقاً جمعاً و فرقاً و ذلك سمو العابدون ذلك
 المجمع إلهياً مع اسمه الخاص بجمه أو شجره أو حيوان أو إنسان
 أو كوكب أو ملك بالنظر إلا ما في نفس الأمر قنائل ترى
 الحكيم سلطان الجمع الإلهي في المعبودات لا لصور عبايرها المشهوراً
 فلن من عرف فأقر لا صممه جهل فأنكر و أقسم
 من السج في صورتي الاقرار والانكار و عبادك
 حتى يأتيت اليقين و على الغيب فاعبه فانه لا تتركه
 الا بهار و هو يدرك الا بهار تم و على الله على سبيلنا
 محمد النبي الأمي و على آله و صحبه و سلم

نص كتاب المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حجبتنا به عنه. عزَّ أن يُعرف له كنهه. بدا نوراً فاستتر عن الأبصار بنوره. وظهر فاحتجب عن البصائر بظهوره. فاندرج النور في النور، وتبطن^(١) الظهور في الظهور. فلا يقع بصر إلا عليه، ولا يخرج خارج إلا منه، ولا ينتهي قاصد إلا إليه. فيا أولي الأبواب، أين الغيبة والحجاب، ومن كانت عينه حجاباً عليه، فلا محجوب ولا حجاب.

(١) مسألة في معنى قوله^(٢): «سبحان الله»

اعلم أن هذا الذكر يفتح للذاكر أن الله تعالى وراء كل تنزيه ينزّهه عنه المنزهون. فمن أراد أن يسبح الله تعالى فليسبحه^(٣) بمعنى قوله تعالى^(٤): ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٥).

أي: بالثناء الذي أثنى به على نفسه. فإن ذلك تسبيح عن التسبيح. فإن التسبيح تنزيه. ولا تنزه إلا عن^(٦) كل نعت محدث يتصف به المخلوق. والله تعالى وراء كل ثناء لك فيه شوب. ومن المحال أن يكون عندك ثناء على الله تعالى مُعَيَّن في الدنيا والآخرة، لا يكون لك فيه شوب. فإنه لا يصح لك أن تشني على الله تعالى بما لا تعلمه، ومتى علمت شيئاً أو

(١) في (س): (بطن).

(٢) في (م): (قوله).

(٣) في (س): (فالسبحه).

(٤) سقط لفظ الثناء من (س).

(٥) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكة.

(٦) في (م): سقطت (عن).

عقلته كان صفتك ولا بدّ. فلا يصح في الكون، على ما تعطيه الحقائق، التسبيح الذي تتوهمه علماء الرسوم. وإنما يصح التسبيح عن التسبيح، ما دام عبداً وربّاً، (ولا زال عبد ورب) (١). فلا زال الأمر هكذا تسبيح بعد ذلك أو لا تسبيح فأنت مسبيح. إن شئت أو أبيت، أو علمت أو جهلت. ولولا ما هو الأمر على هذا (٢) في نفسه ما صحّ أن يظهر في العالم عين شرك، ولا مشرك. وقد ظهر في الوجود شرك ومشرك (٣). فلا بدّ له من مستند إلهي عنه ظهر هذا الحكم. وليس إلا ما ذكرناه من أن العبد له شوبّ من كل ما يسبيح به ربه من المحامد.

وأعلى المحامد بلا خلاف عقلاً وشرعاً: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٤). وقد ورد التسبيح مقيداً بلفظ مخصوص، وغير مقيد. فالمقيد هو المضاف إلى اسم ظاهر أو إلى ضمير مثل قوله:

«سبحان الله» و«سبحانك»، (و«سبحانه») (٥). فبأي اسم من أسماء الله سبحانه المسبيح، أو بأي حال ربطه فإن نتيجه تكون مناسبة لذلك الاسم، ومرتبطة بتلك الحال. وأما التسبيح الغير المقيد فهو مثل قوله (٦)، صلى الله عليه وسلم: «سبح قدوس» (٧). وهذا أكمل تسبيح للعارفين (٨). لأنه كناية عن عين المسبيح، ونتيجته أعظم النتائج. لأنه غاب عن التسبيح بالمسبيح، وعن الاسم بالمسمى. والله أعلم.

(٢) مسألة في معنى قوله: «الحمد لله»

قال الله تعالى آمراً: ﴿وقل الحمد لله﴾ (٩). أي عواقب الثناء - فإن مرجع الحمد ليس إلا إلى الله تعالى. فإنه المثني والمثنى عليه. فمرجع الأمر في الأمرين إليه تعالى. ولما كان الحمد يعطي المزيد من الله تعالى للحامد. علمنا أن الحمد، بكل وجه، شكرٌ.

(١) ما بين القوسين سقط من (س).

(٢) في (س): (ذلك).

(٣) في (س): (الشرك والمشرك).

(٤) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

(٥) ما بين القوسين سقط من (س).

(٦) في (س): (فمن).

(٧) قول الرسول: سبح قدوس. لم أهد إليه فيما بين يدي من كتب الحديث.

(٨) في (س)، (م): (العارفين).

(٩) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ٩٣، مكة. ونصّها: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فصرفونها﴾.

وكذلك ما أعطى المزيد من الأذكار فهو شكر. فهو حمدٌ كله. لأنه ثناءٌ على الله تعالى. فصاحبٌ هجير الحمد المطلق الذي لا يقيده شيء^(١) من الصفات الباعثة عليه يفتح عليه جميع ما يعطيه كل تجميد ما لم يقف على حال (من الأحوال لما يحصل له فيه من الحلاوة. فيقيده ذلك الاستحلاء. فلا يقف صاحب هذا الذكر مع أمر)^(٢) يرد عليه من الحق تعالى^(٣) فيقيده فهو مع كل وارد بحسب ذلك الوارد من غير تعلق بعمية. فعمية مع الوارد معية الحق تعالى مع عباده حيثما كانوا^(٤)، لعلمه تعالى أنهم لا يكونون إلا بحسب أسمائه الحاكمة عليهم، والمتصرفه فيهم. فهو تعالى مع أسمائه لا معهم. ولكن ما وقع الإخبار إلا أن الله تعالى معهم أينما كانوا. كذلك الواردات لا تتعين للعبد إلا بحسب استعداده الذي أعطاه ذكره. وذكره من فعله فهو في معية مع الواردات، مع نفسه، كما ذكرنا في معية الحق على السواء.

والله أعلم^(٥).

(٣) مسألة للغزالي «رضي الله عنه»^(٦)

اعلم أن الحق تعالى هو المتفرد بالأفعال كلها تفرداً حقيقياً، وهو المستوجب للحمد وحده. إذ لا شركة لأحدٍ معه في فعله، كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المدحية عند حُسن الخط. ومن سواه ممن يرى منه نعمة. فهو مسخر له كالقلم، فهذا مثال ما ينيهك على تفردده باستحقاق الحمد.

والله أعلم.

- (١) في (س): (بشيء).
 - (٢) ما بين القوسين سقط من (س).
 - (٣) في (س): (سبحانه).
 - (٤) في (م): (حيث ما كانوا).
 - (٥) سقطت من (س).
 - (٦) في (س): (رحمه الله تعالى). قال: والغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي. ولد في مدينة (طوس) ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور. وكان مولده سنة (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) وتوفي سنة (٥٠٥هـ يوم الاثنين الموافق ١٤ جمادى الآخرة، ١٨ ديسمبر سنة ١١١١م) أيضاً بمدينة (طوس) ودفن بظاهر قصبه الطابران. وما بين هذين التاريخين رحلة طويلة عمقها الغزالي في العلم والمعرفة ورحل إلى بلاد كثيرة وعلم العلم في مدرسة النظام. وكتب عن العلوم الإسلامية معها وضدها حيناً. حتى استقر به المقام متصوفاً. ترك عدداً كبيراً من المؤلفات. أهمها إحياء علوم الدين، والمستصفي من علم الأصول، والأربعين في أصول الدين، وتهافت الفلاسفة، وفي التصوف مكاشفة القلوب وغير ذلك كثيراً لكنني لا أستطيع أن أغفل كتابه الهام المتقد من الضلال، وكذلك معارج القدس.
- انظر: د. عبد الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي، وانظر أيضاً د. سليمان دنيا في كتابه الهام جداً: الحقيقة في نظر الغزالي، وإذا كان د. عبد الرحمن بدوي جمع رحلة الغزالي الخارجية وأثره، فإن د. سليمان دنيا اهتم برحلة الغزالي الداخلية (الباطنية) الخاصة.

(٤) مسألة في معنى قوله: «لا إله إلا الله»

اعلم أن الألوهية مرتبة لا تكون إلا لواحد وهو الله تعالى. وهي التي انتفت عن غير الله تعالى. وهي التي تثبت لله تعالى، والذي انتفت عنه الألوهية ما انتفت عنه بنفي نافي، بل نفيها لذاتها. والذي ثبت له الألوهية لم تثبت له يائبات مثبت، بل ثبوتها لذاتها. فلا يفتح للذاكر في شهودها سوى العلم بها. وليس معلوم العلم إلا نسب. والنسب أمورٌ عدمية. والحكم للنسب، والمنسوب، والمنسوب إليه. النسب: هي الألوهية. والمنسوب: هي الذات. والمنسوب إليه: هو المألوه. وبالجموع يكون الأثر والحكم. ومهما أفردت واحداً من هذه الثلاث^(١) دون الباقي لم يكن أثر، ولا صح حكم. فلهذا لإيجاد كان^(٢) بالفردية لا بالأحدية.

والله أعلم^(٣).

(٥) مسألة في معنى قوله: «الله أكبر»

اعلم أن هذه الكلمة قد وردت في الأذان، والصلاة، وغيرهما (وهي على وزن أفعل)^(٤)، ولفظة «أفعل» تأتي على الأغلب بطريق المفاضلة. ثم المفاضلة في هذه الكلمة تكون في أمرين:

أحدهما: في الأسماء الإلهية.

والثاني: في ذكر الذاكرين.

أما المفاضلة بين الأسماء الإلهية فهو معنى قوله^(٥): «الله أكبر». أي: أجل وأعظم من جميع الأسماء الإلهية. بما يعطيه فهم الخلق في كل اسم.

وأما المفاضلة بين ذكر الذاكرين فهو أن ذكر الله تعالى نفسه أجل وأعظم من ذكر العبد إياه تعالى. لأن نسبه إلى الله تعالى أكبر من نسبه إلى العبد. وإن كان العبد لا يذكر الله تعالى، إلا به.

ثم الذكر على طريق المفاضلة ممنوع عند من يرى أن الذاكر هو عين المذكور. لأن الواحد لا يقبل المفاضلة في نفسه. فمن ذكر الله تعالى على هذا الحكم، بهذا الذكر،

(١) في (س): (الثلاثة).

(٢) سقطت من (م).

(٣) سقطت من (س): وسأكتفي هنا بهذه الإشارة فسقوطها يتكرر كثيراً.

(٤) ما بين القوسين مضاف من (س).

(٥) سقط من (س).

كشفت له ذوقاً يتبين له به أن الحق تعالى عينه، وأنه يستحيل أن يذكر الله تعالى غير الله^(١) أو سمع ذكره إلا الله^(٢). وأن يكون المذكور إلا هو تعالى. ومن ذكر الله تعالى (من حيث إنه ذكر)^(٣) مشروع ولا تخطر له المفاضلة. فتح له ما هو الأمر عليه من غير تقييد.

والله أعلم.

(٦) مسألة في جواهر الغزالي^(٤) في معنى قوله: «الله أكبر»

ليس المعنى به أنه أكبر من غيره. إذ ليس معه غيره. وكل من سواه^(٥) من آثار قدرته. بل معناه أنه أكبر أن يعرفه غيره.

(٧) مسألة في معنى قوله تعالى: «وأفوض أمري إلى الله»^(٦)

اعلم أن الأمر قد نزل إلى الخلق جملة واحدة. فقبل كل شخص منه بقدر وسعه. وما زاد على وسعه، وفاض عنه رجع إلى الله تعالى. سواء علم به ذلك الشخص أو لم يعلم، ولكن من علم بفيضانه ورجوعه إلى الله تعالى بقوله: «وأفوض أمري إلى الله» كان له يدٌ عند الله تعالى يجازيه بها. ومن لم يعلم ولم يقل فليس له عند الله يدٌ. واعلم أن العبد القابل لأمر الله تعالى لا يقبله إلا باسم خاص إلهي. وأن ذلك الاسم لا يتعدى حقيقته. فما عجز العبد ولا فاض عنه شيء. لأنه محل ظهور أثر كل اسم إلهي. (فمن الاسم الإلهي)^(٧) فاض، لا عنه. فلما فوّض بقوله: «وأفوض أمري إلى الله» ما عيّن اسماً بعينه. وإنما فوّض إلى الاسم الجامع فتلقاه منه ما يناسب ذلك الأمر في خلق آخر.

مسألة (٨)

قال الله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(٨).

(١) في (س): غيره.

(٢) في (س): (إلا هو).

(٣) في (س): (على الحمد المشروع).

(٤) سبقت ترجمة الغزالي. والكتاب: (جواهر القرآن)، نشر في القاهرة مكتبة الجندي بدون تاريخ.

(٥) في (س): (بل كل ما سواه من آثار قدرته).

(٦) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٤٤، مكة.

(٧) ما بين القوسين سقط من (س).

(٨) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية ٥٦، مكة.

اعلم أن العبادة هي الذلة في اللغة. وهي ذاتية للعبد، لا يحتاج فيها إلى تكليف وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١).
 فقضاء^(٢) الله لا يُزِد. ولا بد أن يكون الخالق تعالى عين كل صورة يعبدها المخلوق. وكما أنه تعالى عين كل صورة معبودة. فكذا هو عين كل صورة عابدة. لأنه تعالى عين كل مفتقر إليه.
 والله أعلم.

مسألة (٩)

اعلم أن الأثر إذا ارتبط بين أمرين توقّف وجوده على هذين الأمرين لا محالة. فلا يصح وجود أصلاً عن أصلين.
 الأصل الأول:
 الاقتدار: وهو الذي يلي جانب الحق تعالى.
 والثاني:

القبول: وهو الذي يلي جانب الممكن.
 فلا استقلال من الأصلين بالوجود^(٣)، ولا بالإيجاد. غير أن الممكن لا يقول في نفسه إنه موجود نفسه، بل يقول:
 إن الله تعالى أوجده. فلما علم الله تعالى أن الممكن أثر ربّه على نفسه بنسبة الإيجاد إليه أعطاه الظهور بصورته جزاءً.
 فلا أكمل من العالم إلاّ الله تعالى.

مسألة (١٠)

اعلم أن وصف الحق تعالى نفسه بالغنى^(٤) عن العالمين. إنما هو لمن توهم أن الله تعالى ليس عين العالم. وفرّق بين الدليل والمدلول. ولم يتحقق^(٥) بالنظر إذا كان الدليل على الشيء نفسه بلا يضاد نفسه.

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٣، مكة.

(٢) في (س): (وقضاء).

(٣) في (س): (في الوجود).

(٤) في (س): (بالغنا).

(٥) سقطت من (س).

فالأمر واحد، وإن اختلفت العبارات عليه. فهو العالم والمعلوم والعلم. وهو الدليل والدال والمدلول.

فبالعلم يعلم العلم. فالعلم معلوم العلم. فهو المعلوم وهو العلم. والعلم ذاتي للعالم. وهو قول المتكلم ما هو غيره فقط. وأما قول القائل بعد هذا ما هو هو. فهو لما يرى أنه من مفعول زائد على هو. فينبغي ألا^(١) يكون هو. وما قدر أن يثبت هو من غير علم يصفه به.

فقال: ما هو غيره، فحار، فنطق بما أعطاه فهمه. فقال: إن صفات الحق تعالى ما هي هو. ولا هي غيره. ولكن إذا قلنا نحن بمثل هذا القول. ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم فإنه يعقل الزائد ولا بد. ونحن لا نقول بالزائد فما يزيد المتكلم على من يقول إن الله تعالى فقير^(٢) إلا بحسن العبارة^(٣). ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

مسألة (١١)

اعلم أن الأسماء والصفات نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة. إذ لا كثرة هناك بوجود أعيان زائدة على الذات المقدسة. كما زعم من لا علم له بالله تعالى من بعض النظائر. فلو كانت أعياناً زائدة، وما هو إله إلا بها، لكان معلولاً بها. (فلا تخلو إلا أن تكون هي عينه)^(٤). فالشيء لا يكون معلولاً لنفسه أو لا تكون. فالإله لا يكون معلولاً لعله ليست عينه. لأن ذلك يقتضي افتقاره، وافتقار الإله محال. فكون الأسماء والصفات أعياناً^(٥) زائدة محال. والله أعلم.

مسألة (١٢)

اعلم أن الفرائض عبادة جبرية، والنوافل عبادة اختيارية فيها راحة ربوية لأنها تواضع. والتواضع لا يكون إلا ممن لهم سهم في السيادة والرفعة. والعبد ليس له نصيب في السيادة ولا في الرفعة. فلهذا نقص فضل النفل عن الفرض. لأن العلم بالأمر على ما هو عليه الأمر على قدر الاعتقاد. وهذا علم شريف يورث لمن قام به سعادة لا تشبهها سعادة.

(١) في (س)، (م): (أن لا).

(٢) غير واضحة في (م).

(٣) في (س): (بحسب العبارة).

(٤) في (س): (فلا يخلو أن تكون عينه).

(٥) في (م): (أعياناً).

فإذا التزم العبد النوافل وتحقق بها فتح عليه في معرفة نفسه وربّه. واعلم أن الله تعالى قد ظهر في صورة ممكن فينبغي للعبد أن يتأدب مع الله تعالى وينسب الخير إليه، وينسب الشر^(١) إلى نفسه. والله أعلم.

مسألة (١٣)

اعلم أن قول الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذَكَرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾^(٢).

تنبيه لنا على أن كل كلام في العالم كلامه تعالى. لأنه ما أتى من الله تعالى إلينا^(٣) إلا كل ذكر محدث بلا شك. وكل شيء من الله تعالى حسن. ساء ذلك أم سرّ. وقد قال: ﴿فبشّر عباداً﴾^(٤) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾^(٥) إلى معرفة الحسن والأحسن. ﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾^(٦).

يعني: المستخرجون لب الأمر المستور بالقشر صيانة له. فإن العين لا تقع إلا على الحجاب. وهو الصورة التي يتجلى فيها الحق تعالى، ثم يتحول عنها إلى حجاب آخر. فما ثم في الحقيقة إلا انتقال من حجاب إلى حجاب. لأنه ما تكرر تجل^(٧) إلهي قط. فلا بد من اختلاف الصور. والحق تعالى من^(٨) وراء ذلك كله. فما لنا منه تعالى إلا^(٩) الاسم الظاهر رؤية وحجاباً.

وأما الاسم الباطن فلا يزال باطناً وهو اللب المعقول الذي يدركه أولو الألباب. يعني يعلمون أن ثم لباً. وهو الاسم الباطن المستور بالاسم الظاهر. وهو المسمى^(١٠) في الحالين. فمن قال بالرؤية صدق. ومن قال بعدم الرؤية صدق. لأن النبي، (صلى الله عليه وسلم)، أثبت لنا الرؤية بقوله: (ترون ربكم)^(١١).

(١) في (م): (الذنب).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢، مكة.

(٣) في (س): (لأن ما أتانا من الله تعالى إلا كل ذكر).

(٤) في (س): ﴿بشّر عبادي﴾ وكذلك (م).

(٥) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآيات (١٧، ١٨)، مكة.

(٦) استكمال آية ١٨ من سورة الزمر.

(٧) في (س)، (م): (تجلى).

(٨) سقطت من (س).

(٩) سقطت من (س).

(١٠) في (س): (المسما).

(١١) حديث «ترون ربكم».

ونفى^(١) الرؤية لما سُئِل: (هل رأيت ربك)^(٢).

فقال: (نورٌ أتى أراه).

أي أنه نور فلا أراه لضعف الحدوث. والنور لله تعالى وصف ذاتي. والحدوث لنا نسبة ذاتية. فنحن لا نزال على ما نحن عليه. وهو تعالى لا يزال على ما هو عليه. فمن قال على الله تعالى ظاهر، فما قال على الله تعالى إلا ما قال الله تعالى عن نفسه. ولا فائدة لكون الأمر ظاهراً إلا مشاهدته. فهو تعالى مشهود، فرئي من هذا الوجه. ومن قال إن الله تعالى باطن، فما قال على الله تعالى إلا ما قال الله تعالى عن نفسه. ولا فائدة لكون الأمر باطناً إلا أنه ﴿لا تدركه الأبصار﴾^(٣). فهو تعالى لا يشهد ولا يرى من هذا الوجه.

ومثال ذلك صورة الإنسان الظاهرة، وروحه الباطنة المدبرة لصورته للصورة الظاهرة، فمن قال إن الإنسان عبارة عن العين الباطنة المدبرة الظاهرة. قال إنه ما يُرى. ومن قال إن الإنسان هو عبارة عن الصورة الظاهرة فقط، قال إنه يُرى.

ومن قال إن الإنسان هو المجموع فهو الظاهر والباطن قال إنه يُرى وما يُرى - فهو المعنى كقول الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(٤).

فأحسن القول إثبات الأمرين على الوجهين.

فَمَا تَمَّ مَشْهُودٌ، وَلَا تَمَّ شَاهِدٌ
فَمَنْ قَالَ شَاهِدُنَاهُ يَضِدُّ قَوْلَهُ
عَلَى السَّمْعِ عَوْلُنَا فَكُنَّا أَوْلَى الثُّهَى
سِوَى وَاحِدٍ وَالْفَرْقُ يُغْفَلُ بِالْجَمْعِ
وَمَنْ قَالَ لَمْ تَشْهَدْ فَلِلضَّعْفِ وَالضَّدْعِ
وَلَا عِلْمٌ فِيمَا لَا يَكُونُ عَنِ السَّمْعِ

= انظر: الحديث رقم (١٨٠٢) ص ٢٨٧ - ٢٨٠ من كتاب (اللؤلؤ والمرجان) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. يقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً. قيل: هو رؤية الله.

(١) في (س): (ونفا).

(٢) حديث: «هل رأيت ربك، قال: رأيت نوراً أتى أراه».

ذكر الحافظ العراقي في تخرجه للأحاديث الواردة في كتاب الإحياء قال: حديث أنه «صلى الله عليه وسلم ما رأى ربه. هو قول عائشة ففي الصحيحين أنها قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب». وقال ابن خزيمة مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر: «رأته نوراً أتى أراه» ورجال إسنادهما صحيح. انظر: هامش الإحياء، ٤٤ ص ٣٠٤ وانظر: اللؤلؤ والمرجان، ص ٤١ حديث رقم ١١١ - ١٠١ باب وهل رأى النبي ربه؟.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكية. وهذا نصها: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ١٧، مدنية.

إِذَا كَانَ مَفْصُومًا وَقَالَ بِقَوْلِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا يَأْتِيهِ مَيْنٌ عَنِ الْقَطْعِ^(١)
فَعَقْلٌ وَشَرَعٌ صَاحِبَانِ تَأَلَّفَا فَبُورِكٌ مِنْ عَقْلٍ وَبُورِكٌ مِنْ شَرَعٍ

مسألة (١٤)

اعلم أن الأتباع إنما يكون فيما حدّه الله تعالى ورسوله، (صلى الله عليه وسلم)، فتمشي حيث مشى^(٢) بك، وتقف حيث وقف بك. فإن الآيات الإلهية وردت متنوعة وتنوع بتنوعها وصف المخاطب. والله أعلم.

مسألة (١٥)

اعلم أن الله تعالى أمرنا بتوحيده^(٣)، ونهانا عن التفكر في ذاته، فعصاه أهل النظر في ذلك بأجمعهم ممن يزعم أنه من أهل الله تعالى. واحتجوا بأمر هو عليهم لا لهم. وبعد استيفاء النظر أقروا بالعجز. فلو كان ثمّ علم وإيمان حتى صدقوا لكان ذلك في أول قدم، وتعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود، وجعلوا ذلك التعدي قرينة إلى الله تعالى، ولم يعلموا أن ذلك عين البعد عنه.

مسألة (١٦)

اعلم أن ليس في الوجود من يقبل الأضداد إلاّ العالم، من حيث ما هو واحد، وفي هذا الواحد ظهرت^(٤) الأضداد. وما هي إلاّ أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود التي بظهورها علمت الأسماء الإلهية المتضادة، وأمثالها. فإذا علمت ذلك فقل^(٥) (بعد هذا)^(٦) ما شئت. إما كثرة الأسماء أظهرت كثرة الأحكام، وإما كثرة الأحكام أظهرت كثرة الأسماء. فإنه لا ينكره عقل ولا شرع، فالوجود يشهد له. وما بقي إلاّ إلى ما ينسب الحكم للأسماء الإلهية أم للممكنات الكونية وهما مرتبطان^(٧) محكوم بهما في عين واحدة.

فَيَا خَيْبَةَ الْجُهَالِ مَاذَا يَفُوتُهُمْ؟ وَمَاذَا يَفُوتُ الْقَائِلِينَ لْجُهْلِهِمْ؟

(١) هذا البيت سقط من (س).

(٢) في (س): (مشا).

(٣) في (س): (في الألوهية) زائدة.

(٤) في (م): (ظهر).

(٥) الإضافة (ذلك) من (س).

(٦) ما بين القوسين سقط من (س).

(٧) في (م): (مرتبطان).

من وَحَدَ فما أنصف، ومن أشرك فما أصاب. هو تعالى واحد لا بتوحيده لنفسه لأنه تعالى واحد لنفسه. فما أحديته تعالى مجعولة ولا واحديته^(١) كثرة مجهولة. والله أعلم.

مسألة (١٧)

فيما يتعلق بمعنى قول الله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾^(٢).

فنحن وما عندنا عنده، وليس الذي عنده عندنا.

اعلم أنه ليس لنا طريق إلى الوجود إلا على وجود الحق^(٣) لنستفيد^(٤) الوجود. ففهم هذا الترتيب فإنه يعطيك العلم بحكم المواطن، وأنها تحكم بنفسها^(٥) في كل من ظهر بها^(٦). فمن مرّ على موطن انصبغ به. والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الحق في النوم. وهذا موطن الخيال. فما ترى الحق فيه في صورة جسدية كانت تلك الصورة ما كانت فهو حكم المواطن، قد حكم عليك في الحق تعالى أنك لا تراه إلا هكذا. كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت من^(٧) خزانة الخيال وموطنه، لم تدرك الحق تعالى إلا منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال^(٨).

وإذا كان الحكم للمواطن عرفت أنك إذا رأيت الحق تعالى ما رأيت فثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولاً أبداً، فلا يحصل لك علم به في نفسك إلا بتوحيد المرتبة له. وأما أن تعلم ذاته فمحال لأنك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بأن لا ترى الحق تعالى إلا به فإنك تفارق ما أعطاك بعد العلم به في موطن آخر. فتحكم على الحق تعالى في كل موطن بحكم ما هو غير الحكم الذي حكمت به عليه في الموطن الذي فيه، فتعرف عند ذلك أنك ما تعرف الحق تعالى من حيث يعرف نفسه وهذا غايتنا من العلم به تعالى. فما عندنا من العلم به تعالى في موطن ينفد في موطن آخر. وما عند الله تعالى من علمه بنفسه باقٍ لا يتغير، ولا يتبدل، ولا يتنوع بتنوع المواطن.

(١) في (س): (ولا أحديته).

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٩٦، مكة.

(٣) في (س): (الحق تعالى).

(٤) في (س): (لنستفيد منه).

(٥) في (س): (لنفسها).

(٦) سقطت من (س).

(٧) في (س): (عن).

(٨) في (س): (في عالم الخيال).

فإن المواطن تنوعها لذاتها ولو لم تتنوع المواطن لكانت موطناً واحداً. كما أن الأسماء الإلهية لو لم تختلف معانيها لكانت اسماً واحداً كما هي من حيث مسماها. والله أعلم.

مسألة (١٨)

قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾^(١).

اعلم أن عندية الحق تعالى ليست بظرف مكان قطعاً^(٢). ولا هي ظرف زمان مختص. بل هي ظرف ثالث وهو أمر نسبي لا وجودي.

والنسب أمور عدمية ثابتة الحكم معدومة العين^(٣). ومن المعلوم أن الله تعالى يخلق الأشياء، ويخرجها من العدم إلى الوجود. وإضافة خزائن الأشياء إلى عندية الحق تعالى ظاهرها يقتضي أنه تعالى^(٤) يخرج الأشياء من موجود^(٥) لم تُدرکه إلى وجود ندرکه. فما خلص الأشياء إلى العدم الصرف بل ظاهر الأمر يقتضي أن عدمها من العدم الإضافي. فإن الأشياء في حال عدمها مشهودة لله تعالى، متميزة بأعيانها (بعضها عن بعض)^(٦) ما عنده تعالى فيها إجمال، فخزائن الأشياء التي هي أوعيتها المخزونة فيها إنما هي إمكاناتها. لأن الأشياء لا وجود لها في أعيانها، بل لها الثبوت، والذي استفادته من الحق تعالى هو الوجود العيني. وفي حال وجودها لم تخرج من خزائنها. فإن الإمكان ما فارقها حكمه. فمن رأى الأشياء ولم ير خزائنها، ولا رأى الحق الذي عنده خزائنها فما رأى الأشياء قط.

فإن الأشياء لم تفارق خزائنها، وخزائن الأشياء لم تفارق عندية الحق تعالى، وعندية الحق تعالى لم تفارق ذات الحق تعالى. فمن شهد واحدة من هذه الأمور الثلاثة فقد شهد المجموع. وما في الكون أحدية إلا أحدية المجموع.

وأنت تعلم أن الحق تعالى^(٧) له الصفات العُلَى، والأسماء الحسنَى المختلفة الحقائق والمدلولات فهي الخزائن الإلهية التي فيها خزائن الإمكانيات المخزونة فيها الأشياء.

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٢١، مكة.

(٢) في (س): (أصلاً).

(٣) في (س): (منفية العين).

(٤) سقطت من (س).

(٥) في (س): (وجود) والأولى أفضل فهي تناسب فكرة نظرية وحدة الوجود في أن المدوم شيء. وبما أنه شيء فهو موجود لكننا لم ندرکه. ثم يتحول فيما بعد إلى وجود ندرکه بعد أن تفيض عليه الذات من خزائن جودها.

(٦) ما بين القوسين سقط من (س).

(٧) في (س): (سبحانه).

عِنْدِيَةُ الْحَقِّ عَيْنُ ذَاتِهِ فِيهَا لِأَشْيَائِهِ خَزَائِنُ
يَنْزِلُ مِنْهَا الَّذِي نَرَاهُ فَهَوِيًّا تَحْتَوِيهِ صَائِنُ^(١)
إِنْزَالُهُ لَمْ يُزَلْهُ عَنْهَا لِأَنَّهُ عَيْنُ كُلِّ كَائِنُ
فَعِنْدِيَةُ الْحَقِّ مَعْقُولَةٌ وَعِنْدِيَةُ الْهُوِّ فَلَا تُغْفَلُ
وَعِنْدِيَةُ اللَّهِ مَخْهُولَةٌ وَعِنْدِيَةُ الْخَلْقِ لَا تُجْهَلُ
وَلَيْسَ هُمَا عِنْدَ ظَرْفِيهِ وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُ مَحْمَلُ

مسألة (١٩)

في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٢).

مَا قَدَرَ اللَّهُ غَيْرَهُ أَحَدٌ وَلَيْسَ غَيْرُ فَكُلُّهُمْ قَدَرًا
مَا حَقُّ قَدْرِ الْإِلَهِ عِنْدِي سِوَى أَنَّهُ اللَّهُ فَاعْرِفِ الصُّورَا

اعلم أن الحق تعالى قد وصف نفسه في الصورة الظاهرة باليدين والأعين، وشبه ذلك، مما وردت به الأخبار، والدليل العقلي ينزه الحق تعالى عن حكم الظاهر من ذلك في المحدثات. فحق قدره تعالى إضافة ما أضافه إلى نفسه تعالى. مما ينكر الدليل العقلي إضافته إليه تعالى. فمن أضاف مثل هذا إليه تعالى عقلاً، فذاك الذي ما قدر الله حق قدره. ومن أضافه إليه شرعاً وشهوداً، وكان على بيّنة من ربه، فهو الذي قدر الله تعالى حق قدره.

فالإنسان الكامل الذي هو الخليفة، قدر الله تعالى ظاهراً وباطناً، صورة، ومنزلة، ومعنى^(٣). فمن كل شيء في الوجود زوجان: فاعل ومنفعل فيه. فالحق تعالى فاعل، والعالم منفعل فيه. لأنه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور الإمكانيات من حركة وسكون، واجتماع وافتراق. ومن صور الأكوان والصفات والنسب. فالعالم قدر الله تعالى وجوداً. وأما في الثبوت فهو أظهر بحكم الأزل الذي هو^(٤)

(١) أي أن الله يصون كل ما تحويه هذه العندية ومعلوم لأصحاب مدرسة وحدة الوجود أن العندية هي الصفات التي لا تنتهي في الكثرة. لذا فإن البيت التالي مباشرة يؤكد هذا المعنى في قوله:

إِنْزَالُهُ لَمْ يُزَلْهُ عَنْهَا لِأَنَّهُ عَيْنُ كُلِّ كَائِنُ

وأظن أن المعنى هنا قد اتضح.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٩١، مدنية.

(٣) في (س): (ومنعاً).

(٤) في (م) تقرأ: (تعدي) وفي (س) تقرأ (الذي هو) وصحتها: (الذي هم للممكنات في ثبوتها) كما ترى وقد تأكدت =

للممكنات في ثبوتها. لأن الإمكان للممكن نعت ذاتي نفسي^(١). ولم يزل^(٢) الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده. فكما سبح الحق تعالى نفسه عن التشبيه، سبح الممكن نفسه عن التنزيه^(٣)، وما ظفر بالأمر على ما هو عليه إلا من جمع بينهما. فقال بالتنزيه من وجه عقلاً وشرعاً. وقال بالتشبيه من وجه شرعاً لا عقلاً.

والشهود يقتضي بما جاءت به الرسل إلى أمها في الله تعالى. ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(٤). فأنا مؤمن بما جاءت به الرسل. فكل واصف فإنما هو واقف مع نعت مخصوص فينزه الله تعالى نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه، لا من حيث إنه له. فإن أحديته تعالى أحدية المجموع، لا أحدية كل واحد من المجموع. والله أعلم.

مسألة (٢٠)

في بيان المعاني المرادة بقوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٥). وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾^(٦).

اعلم أن «ما» زائدة. وليس القليل إلا من آمن بالله^(٧) فإن الموحد من وحد الله بالله. وأما من وحد الله بنفسه فهو المشرك في توحيد. وما أخذ الله ميثاق الذرية إلا بالتصديق بالوجود وبالملك لا بالتوحيد. فلما عدم التوحيد من الفطرة ظهر الشرك في الأكثر ممن يزعم أنه موحد.

وما أذاهم إلى ذلك إلا التكليف. فإنه تعالى لما كلفهم تحقق أكثرهم أن الله تعالى ما كلفهم إلا وقد علم أن لهم اقتداراً نفسياً على إيجاد ما كلفهم به من الأفعال. فلم يخلص لهم توحيد. فلو علموا أن الله تعالى ما كلفهم إلا لما فيهم من الدعوى من نسبة الأفعال إليهم لتجردوا عنها بالله تعالى لا بأنفسهم كما فعل أهل الشهود.

= منها في (الباب السادس والتسعين وأربعمئة) من كتاب الفتوحات المكية، انظر ص ١٣٢، مجلد ٤، طبعة صادر، بيروت.

(١) في (س): (ذاتي)، وفي (م): (نفسى) والصحيح كما أثبتته. انظر: الفتوحات المكية، ج ٤، ص ١٣٢، الباب (٤٩٦).

(٢) في (س): (لا يزال).

(٣) في (س) جاءت العكس وهي لا تصح: (فكما سبح الحق تعالى نفسه عن التنزيه سبح الممكن نفسه عن التشبيه).

(٤) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ٢٩، مكة.

(٥) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ١٠٦، مكة.

(٦) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٢٤، مكة.

(٧) مكررة في (م).

فإذا ألزم الذاكر نفسه هذا الذكر فتح له إقامة العذر عند الله لعباد الله فيما أشركوا فيه عند إيمانهم. فالله تعالى أثبت لهم الإيمان به. وهو عناية عظيمة.

واعلم أن من شأن الحق تعالى أنه حيثما^(١) تصور كان له وجود في ذلك التصور. ولا يزول وجوده برجوع ذلك المتصور عما تصوره بخلاف المخلوق. فإنه إذا تصوره كان له وجود في تصورك. فإذا تبين لك أنه ليس كذلك زال وجوده بزوال تصورك عما تصوره. وهذا فرقانٌ بين الحق تعالى وبين الخلق. وهو علم شريف دقيق لا يعلمه كثير من الناس. فلهذا أثبت الشرك في العالم. لأن الحق تعالى قابل صورة كل معتقدي، ولو لم يكن كذلك ما كان إلهاً.

فإذا سمع السامع الخير النبوي بوجود الله تعالى آمن به على ما يتصوره. فما آمن إلا بما تصوره والله تعالى موجود عند كل تصور. كما هو موجود في خلاف ذلك التصور بعينه. ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٢).

لما يطرأ عليهم في نفوسهم من مزيد الله بالله تعالى، ولهم في كل مزيد تصور. ليس هو عين التصور الأول. وليس إلا الله تعالى في ذلك كله. فما جاء الله تعالى بهذه الآية إلا لإقامة عذرهم. ولم يتعرض للتوحيد. والله أعلم.

مسألة (٢١) النور والظلمة^(٣)

اعلم أن النور يُدْرِك ويدرك به. والظلمة تدرك ولا يدرك بها. وقد يعظم النور بحيث أن يدرك ولا يدرك به. وَيَقْرُبُ بحيث أن لا يدرك ويدرك به. ولا يكون إدراك النور إلا بنور^(٤) في المدرك والمدرك لا بد من ذلك عقلاً وشرعاً.

فالحق تعالى هو النور المحض. والمحال هو الظلمة المحض^(٥). فالظلمة لا تنقلب نوراً أبداً. والنور لا ينقلب ظلمة أبداً. والخلق بين النور والظلمة برزخ. لا يتصف بالنور لذاته، ولا

(١) في (م)، (س): (حيث ما).

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ١٠٦، مكة.

(٣) هذا العنوان غير موجود بالنسخة (س).

وهو أيضاً على الهامش الأسير للنسخة (م). وفضلت إضافته فهو يعبر عن المسألة. وهناك عدد من العناوين تمت إضافتها من هامش النسخة (م) وسأكتفي هنا بهذه الإشارة.

(٤) في (س): (بالنور).

(٥) في النسختين (المحضة). والصحيح ما أثبتته.

بالظلمة لذاته^(١) وهو المتزوج والوسط الذي له من طرفيه حكم. وهو في نفسه لا نور ولا ظلمة. ولا هو موجود ولا هو معدوم. وهو الوسط الذي يمنع النور المحض أن ينفر الظلمة المحض^(٢). ويمنع الظلمة المحض أن تذهب النور المحض. فيتلقى^(٣) الطرفين بذاته فيكتسب بهذا التلقي من النور ما يوصف به من الوجود، ومن الظلمة ما يوصف به من العدم. فهو محفوظ من الطرفين، ووقاية للطرفين. فلا يقدر قدر الحق إلا الله تعالى. فجمع في وصفه بين النفي والإثبات. فلو كان موجوداً لا يتصف بالعدم لكان حقاً. ولو كان معدوماً لا يتصف بالوجود لكان محالاً.

فهو الحافظ المحفوظ. فهذا الحد له ثابت لازم لا يخرج، فإن قلت فيه^(٤) حق كان قولك صادقاً. وإن قلت فيه باطل فهو باطل. فأما مسمى النور والظلمة في العرف ففي الظاهر الأنوار المدركة في الحس، والظلمة المدركة (في الحس)^(٥).

وأما الأنوار الباطنة المعنوية فكأنور^(٦) الإيمان، ونور العقل، ونور العلم. وأما الظلمة الباطنة فكظلمة الشرك والجهل وعدم العقل.

وأما الذي ليس بنور ولا ظلمة فكالشك، والظن، والحيرة، والنظر. فهذه مجازات حقائق^(٧) الواجب والممكن والمحال في عرف الممكنات. فقد جمع الممكن بنفسه حقيقته، وحقيقة طرفيه. وأبين ما يكون ذلك في الممكن^(٨) ما يكون فيه من المعاني، والمحسوسات والخيالات. وهذا المجموع لا يكون حكمه في الطرفين أصلاً.

فالعلم بالممكن هو العلم الواسع العظيم الموج، الذي تفرق فيه السفن. فهو بحر لا ساحل له إلا طرفيه.

واعلم أنه في مقابلة كل نور ظلمة^(٩)، كما أنه في مقابل كل وجود عدم^(١٠). فإن كان الوجود واجباً قابلاً لعدم الواجب. وإن كان الوجود ممكناً قابله لعدم الممكن. فالمقابل على

(١) في (س): عكس (النور والظلمة).

(٢) راجع الهامش (٥) في الصفحة السابقة.

(٣) في (س): (فيتلقى).

(٤) في (س): ساقطة.

(٥) ما بين القوسين سقط من (س).

(٦) في (س): (فهو نور).

(٧) في (س): (الحقائق).

(٨) في (س): (لك الممكن).

(٩) في (س): (في مقابل كل نور وظلمة).

(١٠) في (س): (في مقابل كل وجود وعدم).

صورة المقابل. كالظل مع الشخص.
والله أعلم.

مسألة (٢٢) لولا النور

اعلم أنه لولا النور لم يدرك معلوم ولا محسوس ولا متخيل أصلاً. فبالنور أدرك المحال ولذلك ينسحب على كل قسم من أقسام العقل، كما ينسحب على أقسام الوجوب فنقول: محال على المحال أن يقبل الوجود. ومحال على الواجب أن يقبل العدم. ومحال على الممكن أن يقبل الوجوب لذاته. وواجب على المحال أن لا يقبل الوجود. وواجب على الواجب أن لا يقبل العدم. وواجب للممكن أن يكون العدم والوجود في حقه على السواء. فقد علمت أنه ما تم معلوم في محال وغيره إلا وله نسبة ما إلى النور. والله تعالى هو النور. ولولا ذلك النور الذي له إليه نسبة ما صح أن يكون معلوماً. (والله تعالى هو المعلوم)^(١). فلا معلوم إلا الله تعالى. وعلى الحقيقة فما يدري أحد^(٢) ما نقول، ولا كيف تكون نسبة الأنوار^(٣) مع كون تعلقها. والعبارات تقصر عن الإحاطة بها. والله أعلم.

مسألة (٢٣): الحجب النورانية والظلمانية

اعلم أن الحجب النورانية والظلمانية التي بين الحق تعالى، وبين العالم، إنما هي ما اتصف به الممكن في حقيقته من الظلمة والنور، لكونه وسطاً فهو لا ينظر إلا في نفسه. فلا ينظر إلا في الحجاب، فلو ارتفعت الحجب عن الممكن ارتفع الإمكان، وارتفع الواجب والمحال. فالحجب لا تزال مسدولة، ولا يمكن إلا أن يكون الأمر هكذا. وانظر إلى قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه»^(٤). وقد أخبر الله تعالى أن الخلق تراه يوم القيامة ولا تحرق، وسبحات وجهه موجودة، فدل

(١) ما بين القوسين سقط من (س).

(٢) في (س): (فما ثم أحد يعرف).

(٣) في (س): (نسبة الأمور).

(٤) حديث: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلق».

الحديث: رواه الإمام مسلم، في باب الإيمان ٣٩٣، ٣٩٤ وابن ماجه، في المقدمة (٣).

والإمام أحمد بن حنبل، في مسنده المجلد الرابع ص ٤٠١، ٤٠٥. وله روايات مختلفة انظرها هناك. وانظر هامش كتاب الأزل، تأليف محمد وفا. تحقيق: سعيد عبد الفتاح طبعة أولى دار المنتبي باريس، ص ٢٦.

على أن الحجب لم ترتفع. فالرؤية حجابية ولا بد. والضمير في بصره يعود على «ما». و«ما» هنا عين خلقه. فكأنه يقول في تقدير الكلام ما أدركه بصر خلقه.

فإنَّ لا نشك أن الحق تعالى يدركنا اليوم ببصره وسبحات وجهه موجودة. والحجب إن كانت عينه تعالى فإنها لا ترتفع، وإن كانت خلقاً احترقت. فإنها مدركة ببصره من غير حجاب ولو احترقت الحجب احترقنا فلم نكن. ونحن كائنون بلا شك فلو فهم الناس معنى هذا الحديث لعرفوا نفوسهم. ولو عرفوا نفوسهم لعرفوا ربهم. ولو عرفوا ربهم لاكتفوا به من كل شيء، فلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض. لأنه تعالى عينها. والله أعلم.

مسألة (٢٤): العطايا والمنح

اعلم أن المنح والعطايا الذاتية لا تكون إلا عن تجلٍ^(١) إلهي. والتجلي عن الذات لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد المتجلي له. غير ذلك لا يكون. فالتجلي له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق تعالى^(٢)، وما رأى الحق تعالى ولا يمكن أن يراه، مع علمه أنه ما رأى صورته إلا فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت صورتك فيها لا تراها، مع علمك أنك ما رأيت صورتك إلا فيها. فأبرز الله تعالى ذلك مثلاً نصبه^(٣) لتجليه الذاتي، ليعلم المتجلي له أنه ما رآه، وما ثمَّ مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي منه. وإذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية من حق المخلوق.

فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج. فما هو ثمَّ أصلاً. وما بعده إلا العدم المحض. فالحق تعالى مرآتك في رؤيتك نفسك وغيرك. وذاتك مرآتك لرؤيتك أسمائه. وأنت مرآته تعالى في رؤيته أسمائه^(٤)، وظهور أحكامها وليست سوى عينه تعالى.

فاختلط الأمر وأنبهم. فمننا من جهل في علمه فقال: «والعجز عن درك الإدراك إدراك». ومنا من علم فلم يقل مثل هذا. بل أعطاه العلم^(٥) السكوت. ما أعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم بالله تعالى وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، صلى الله عليه وسلم، وخاتم

(١) في (م)، (س): (تجلي).

(٢) في (س): ألفاظ الشاء إما «سبحانه» فقط وإما ساقطة.

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (م): (أسماء) وفي (س): (أسمائه وصفاته).

(٥) في (س): (علمه).

الأولياء^(١). فما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا في مشكاة الرسول الخاتم، صلى الله عليه وسلم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا في مشكاة خاتم الأولياء^(٢).

مسألة (٢٥) علم الحق

اعلم أن الحق تعالى له علم. فهو العالم، وكذا باقي الصفات. والمملك والإنسان كذلك. وحقيقة العلم واحدة.

فصفات الحق تعالى قديمة، إذ ذاته قديمة. وصفات المخلوق كلها حادثة، إذ ذاته حادثة. فانظر إلى ما أحدثته الإضافة من الحكم في هذه الحقيقة المعقولة. وانظر إلى هذا الارتباط بين المعقولات والموجودات العينية. فكما حكم العلم على من قام به أن يقال إنه عالم، حكم الموصوف به على العلم بأنه حادث في حق الحادث، وقديم في حق القديم. فصار كل واحد منهما محكوماً حاكماً عليه. وإذا كان الارتباط بين من له وجود عيني، وبين من ليس له وجود عيني قد ثبت. وهي نسب وإضافات عدمية. فارتباط الموجودات بعضها ببعض أقرب أن يعقل لأنه على كل حال بينهما جامع وهي الوجود العيني. ولا شك أن المحدث قد ثبت افتقاره إلى محدث أحدثه لإمكانه لنفسه، فهو مرتبط به ارتباط افتقاره، ولا بد أن يكون المستند إليه واجب الوجود لذاته، غنياً في وجوده بنفسه غير مفتقر، وهو الذي أعطى الوجود لهذا الحادث فانتسب إليه. ولما اقتضاه بذاته كان واجباً به. ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء، من اسم وصفة. ما عدا الوجوب الذاتي. فإنه لا يصح في وصف الحادث وإن كان واجب الوجود. إذ وجوده بغيره لا بنفسه.

والله أعلم.

مسألة (٢٦) مسمى العالم^(٣)

اعلم أن مسمى العالم بالنسبة إلى الله تعالى؛ كالظل بالنسبة إلى الشخص. فهو ظل الله تعالى. وما أوجد الله تعالى الظلال، وجعلها ساجدة متفعية^(٤) عن اليمين وعن الشمال إلا دلائل لك عليك وعليه؛ لتعرف من أنت، ومن هو، وما نسبته إليك، وما نسبتك إليه حتى تعلم من أي حقيقة إلهية اتصف ما سوى الله تعالى بالفقر الكلي إليه، وبالفقر النسبي بعضه

(١) في (س): (ولخاتم الأولياء).

(٢) في (س): (إلا من مشكاة الخاتم للولاية).

(٣) العنوان هنا من المحقق حاولت به مجازة النسخة (م) ولكنني لم أستكمل العناوين إلا في بعض الإشارات الظاهرة فقط.

(٤) في (م): متفياًة.

إلى بعض. ومن أي حقيقة اتصف الحق تعالى بالغنى الكلي عن العالمين. ومن أين اتصف العالم، بالغنى بعضه عن بعض. من وجه عين ما افتقر إلى بعضه به.

فإن العالم مفتقر إلى الأسباب افتقاراً ذاتياً. وأعظم الأسباب له سببية الحق تعالى. ولا سببية للحق تعالى يفتقر إليها العالم سوى الأسماء الإلهية. والأسماء الإلهية، كل اسم يفتقر إليه العالم من عالم مثله، أو عين الحق تعالى. فهو الله تعالى لا غيره. ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

ومعلوم^(٢) أن لنا افتقاراً من بعضنا إلى بعض. فأسماؤنا أسماؤه تعالى. إذ إليه الافتقار بلا شك. وأعياننا في نفس الأمر ظله لا غيره. فهو تعالى هويتنا لا هويتنا. وقد مهّدنا إليك^(٣). والله أعلم.

مسألة (٢٧) الرؤية بحسب العقيدة

اعلم أنه لا بدّ لكل شخص من عقيدة في ربه - يرجع بها إليه، ويطلبه فيها - فإذا تجلّى الحق تعالى في صورة معتقده عرفه فأقرّه به. وإن تجلّى له في غيرها أنكره ومجّده وتعوذ منه. وأساء الأدب عليه في نفس الأمر. وهو عند نفسه أنه قد تأدّب معه.

فلا يعتقد معتقد إلهاً إلا بما جعل في نفسه. فالإله في الاعتقاد بالجعل. فما رأوا إلا نفوسهم وما جعلوا فيها. فمراتب الناس في العلم بالله تعالى في الدنيا هو عين مراتبهم في الرؤية يوم القيامة. وقد أعلمتك بالسبب الموجب لذلك. فإياك أن تتقيد بقيد مخصوص وتكفر بما سواه^(٤)، فيفوتك^(٥) الأمر على ما هو عليه.

فكن في نفسك هيولى^(٦) لصور المعتقدات كلها. فإن الإله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد. فإنه تعالى يقول: ﴿فإينما تولوا فثم وجه الله﴾^(٧).

ووجه الشيء حقيقته. فنبته بهذا قلوب العارفين لئلا تشغلهم عوارض الحياة الدنيا عن

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٥، مكية.

(٢) في (م): (ومعلوماً).

(٣) في (س): (وقد مهّدنا لك السبيل فانظر).

(٤) في (س): (تقيد بعقد مخصوص وتفكر).

(٥) في (س): (يفوتك العلم بالأمر).

(٦) الهيولى: هي جوهر وجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة.

انظر: الحدود، لابن سينا ضمن ثلاث رسائل في الحدود، دار النهضة العربية، ١٩٧٨.

(٧) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٥، مدنية.

استحضار مثل هذا. فإن العبد لا يدري في أي وقت يُقبض. فلعله يقبض في وقت غفلته. ثم إن العبد الكامل مع علمه بهذا يلزمه في الصورة الظاهرة والحال المقيدة التوجه إلى شطر المسجد الحرام بالصلاة. ويعتقد أن الله تعالى في قبلته حال صلاته. وهو بعض مراتب وجه الحق تعالى من ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾^(١).

فشطر المسجد الحرام منها. ففيه وجه الله تعالى. ولكن لا تقل هو هنا فقط. بل قف عندما تركت، والزم الأدب في استقبال المسجد الحرام. وعدم حصر الوجه في تلك الأينية الخاصة. بل هي من جملة أينية «ما تولوا». فقد بان لك عن الله تعالى في أينية كل وجه. وما ثم إلا الاعتقادات. فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور. وكل مأجور سعيد مرضي عنه. وإن شفي زماناً في الدار الآخرة. فقد مرض وتألّم. في الحياة الدنيا، أهل السعادة. مع علمنا بأنهم أهل حق.

فمن عباد الله من تدرّكهم تلك الآلام في الآخرة في دار تسمى جهنم. ومع هذا لا يقطع أحد من أهل الله تعالى أهل العلم؛ الذين كوشفوا الأمر على ما هو عليه أن لا يكون لهم نعيم خاص في تلك الدار. إتما يفقد ألم كانوا يجدونه فارتفع عنهم فيكون نعيمهم راحتهم عن وجدان ذلك الألم أو يكون نعيمهم زائداً كنعيم أهل الجنان. والله أعلم.

مسألة (٢٨) تحول الألوهية يوم القيامة^(٢)

اعلم أنه قد صحّ فيما خرّجه مسلم، رحمه الله تعالى، من تحول الألوهية، وتبدّلها يوم القيامة في صور الاعتقادات والمعارف. وفيه اعتقاد المشبهة وغيرهم، ولا بدّ من أفراد كل طائفة في تلك الدار به تعالى. فلا بدّ من تجلّيه في صور اعتقاداتهم. وذلك راجع إلى الرائي، لا إلى المرئي.

فإن الحقائق الإلهية لا تبدّل. ولهذا نقص علم من خرج عن طريقتنا في أي حضرة يقع فيها تجلّي الألوهية. ولذلك سمي عالم التمثيل أو التبديل برزخاً، لكونه وسطاً بين حقائق جسمانية وحقائق غير جسمانية. فتعطي هذه الحضرة هذه التجليات، وبها ترتبط المعاني بالصور ربطاً محققاً. والله أعلم.

(١) في (س): (أينما تولوا فثم وجه الله).

(٢) العنوان من المحقق.

مسألة (٢٩) قلب العارف

اعلم أن قلب العارف بالله تعالى من رحمة الله تعالى. وهو أوسع من رحمة الله تعالى فإنه وسع الحق تعالى. ورحمته لا تسعه، لأن الرحمة تقتضي مرحوماً. والله تعالى غني عن العالمين. هذا لسان عموم من وجه.

أما لسان الخصوص، من وجه آخر. فاعلم أن الألوهية تطلب المألوه، والربوبية تطلب المربوب. والآ فلا عين لها إلا به وجوداً وتقديراً. والذات المقدسة لها الغنى عن العالمين. والربوبية ما لها هذا الحكم. فبقي الأمر بين ما تطلبه الربوبية وبين ما تستحقه الذات من الغنى عن العالمين.

وليست الربوبية على الحقيقة والإنصاف^(١) عين هذه الذات، فلما تعارض الأمر بحكم النسب ورد في الخبر وصف الحق تعالى بالشفقة على عباده. فأول ما نفى عن الربوبية بنفسه المنسوب إلى الرحمن بإيجاده العالم الذي تطلبه الربوبية والألوهية بحقيقتهما. فثبت على هذا الوجه أن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء فوسعت فهي أوسع من قلب العارف. أو مساوية له في السعة.

ومعنى وسع قلب العارف لله تعالى هو أنه إذا تجلّى له لا يمكن أن ينظر مع غيره. واعلم أنه لا يشهد القلب ولا العين أبداً إلا صورة معتقده في الحق تعالى. فلا ترى العين إلا الحق الاعتقادي.

ولا خفاء في تنوع الاعتقادات. فمن قيده أنكره في غير ما قيده به وأقرّ به فيما قيده به، إذا تجلّى له. ومن أطلقه عن التقييد لم ينكره، وأقرّ به في كل صورة يتجلّى فيها.

وصور التجليات ما لها نهاية يقف العارف عندها. وكذلك العلم بالله تعالى ما له غاية في العارفين يقف عندها. بل العارف في كل زمان يطلب الزيادة من العلم: ﴿رب زدني علماً﴾^(٢).

(١) في (س): (وليست الربوبية إلا عين هذه الذات).

وهذا يناقض ما سبق في قوله: (والذات المقدسة لها الغنى عن العالمين والربوبية ما لها هذا الحكم). والسبب في وجهه نظره:

أن الربوبية تطلب المربوب والذات تستغني عن الكل، فيظل الحكم بالنسبة للربوبية على ما تطلبه. بينما استحقاق الغنى للملذات في أنها لم تطلب هذا المربوب.

وقال تعالى: ﴿والله غني عن العالمين﴾.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤، مكية. ونصّها: ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

فالأمر لا يتناهى من الطرفين. هذا إذا قلت حق وخلق. فإذا نظرت قوله تعالى: ﴿كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به﴾^(١).

إلى غير ذلك من القوى لم تفرق فقلت الأمر كله حق، أو خلق كله. فهو خلق بنسبة، وهو حق بنسبة والعين واحدة.

فعين صورة ما تجلّى، عين صورة ما قبل ذلك التجلّي. فهو المتجلّي والمتجلّى له. فانظر ما أعجب ما أمر الله تعالى من حيث هويته ومن حيث نسبته إلى العالم في حقائق أسمائه الحسنی. والله أعلم.

مسألة (٣٠)

في معنى قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾^(٢).

إنما سُمّي القلب قلباً لتقلبه في أنواع الصور والصفات، ولم يقل لمن كان له عقل. لأن العقل قيد يحصر الأمر في نعتٍ واحدٍ. والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر. فما هو ذكرى لمن كان له عقل وهم أصحاب الاعتقادات الذين يكفر بعضهم بعضاً، وما لهم من ناصرين. فإن إله المعتقد ما له حكم في إله المعتقد الآخر. وصاحب الاعتقاد يذب عن الأمر الذي اعتقده في إلهه وينصره. وذلك الإله الذي اعتقده لا ينصره. وكذلك المنازع له، ما له نصرة من إلهه الذي اعتقده. فما لهم من ناصرين.

فالحق تعالى عند العارف هو المعروف الذي لا يُنكر. فلهذا قال من كان له قلب. يعني يعلم تقلب القلب لتقلب الحق تعالى في الصور.

وأما أهل الإيمان الذين قلّدوا الرسل، فهم المرادون بقوله تعالى: ﴿أو ألقى السمع﴾. لما وردت به الأخبار الإلهية. ﴿وهو شهيد﴾. بيّنه على حضرة الخيال واستعماله. وهو قوله، صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه)^(٣).

(١) في (س): (كنت سمعه وبصره إلى غير ذلك).

والحديث: رواه الإمام البخاري، ج ٨ ص ١٠٥ باب التواضع. وانظر أيضاً الأحاديث القدسية، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص (٨١) حديث رقم (٨١). ونصه: [من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت له سمعاً..... الخ].

(٢) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ٣٧، مكة.

(٣) الحديث أول كتاب الإيمان. باب الإيمان ما هو ويان خصاله (١) حديث رقم (٥). ص ٢ ج ١ - من كتاب اللؤلؤ والمرجان، وضع محمد فؤاد عبد الباقي وقال: أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي (ص) عن الإيمان والإسلام.

وقوله: (إن الله في قبلة المصلي)^(١).

فلذلك هو شهيد.

والله أعلم.

مسألة (٣١) حق العالم^(٢)

وانظر ما أحسن ما قاله الله تعالى في حق العالم، وتبدله مع الأنفاس: ﴿يَلْهَمُ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٣) في عين واحدة فلا يعرف أكثر الناس تجدد الأمر مع الأنفاس. لكن عثرت عليه الأشاعرة^(٤) في الأعراض. وعثرت عليه الجبائية^(٥) في العالم كله. وجهله أهل النظر بأجمعهم. ولكن أخطأ الفريقان.

أما الجبائية فيكونهم ما عثروا على أحدية عين الجوهر المعقول الذي قبل هذه الصورة. وأما الأشاعرة فما علموا أن العالم كله مجموع أعراض تتبدل مع الأنفاس، إذ العرض لا يبقى زمانين. ويظهر ذلك في الحدود للأشياء، كالتحيز في حد الجواهر القائم بنفسه وقبوله. فالتحيز والقبول عرضان ليسا بزائدين على عين الجوهر المحدود. لأن الحدود الذاتية هي عين الحدود. فقد صار ما لا يبقى زمانين وأزمنة. وعاد ما لا يقوم بنفسه يقوم بنفسه. فالمنكرون لذلك هم في لبس من خلق جديد.

وأما أهل الكشف فإنهم يرون أن الله تعالى يتجلّى في كل نفس ولا يكرر ذلك التجلّي. ويرون، أيضاً، شهوداً أنه في كل تجلّي يعطي خلقاً ويذهب بخلق. وإنما إذهابه الإفناء، وإعطاؤه الإيجاد الآخر. والله أعلم.

(١) قال مالك في الموطأ: حدّثنا نافع عن ابن عمر، أن رسول الله (ص) رأى بصاقاً في قبلة المسجد، فحكّه. ثم أتيل على الناس فقال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يصبق قبيل وجهه، فإن الله قبيل وجهه إذا صلى».

انظر: موطأ الإمام مالك، ط ٣، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٧.

(٢) العنوان من المحقق.

(٣) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ١٥، مكة.

(٤) الأشاعرة: ينسب أصحاب هذا المذهب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: «علي بن إسماعيل الأشعري» المتوفى سنة ٣٣٠هـ. ومن أهم كتبه: (مقالات الإسلاميين)، نشر بالقاهرة على جزأين بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٠م.

(٥) في (س): (الحسانية) وهو خطأ. ولكنه كما ذكرت.

والجبائية: هي فرقة من الفرق الكلامية المعروفة وهم أتباع أبي علي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد الجبائي. وقد تحاور الجبائي مع أبي حسن الأشعري عن معنى الطاعة. وكفره فيها الأشعري. انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٩٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

مسألة (٣٢) في المعرفة والهمة

إن المعرفة لا تترك للهمة تصرفاً، وذلك لوجهين:

أحدهما: لتحقيقه بمقام العبودية، ونظره إلى أصل خلقه الطبيعي.

والآخر: أحدية المتصرف والمتصرف فيه، فلا يرى على من يرسل همته.

وفي هذا المشهد يرى أن المانع له ما عدل عن حقيقته التي هو عليها في حال ثبوت

عينه، وفي حال عدمه. فما تعدى حقيقته.

فهذا وأمثاله يمنع العارف من التصرف في العالم. ولأن الهمة لا تعقل إلا بالجمعية التي

لا متسع لصاحبها إلى غير ما اجتمع عليه. والمعرفة تفرقه عن هذه الجمعية.

فيظهر أن العارف (التابع) المعرفة (يعاني) ^(١) الضعف والعجز. وفي مثل هذا المقام، قال

عليه الصلاة والسلام، عن أمر الله تعالى له بذلك: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع

إلا ما يوحي إلي﴾ ^(٢).

فالرسول لا يحكم إلا بما يوحي إليه، ما عنده غير ذلك. فإن أوحى إليه بالتصرف

تصرف، أو بالمتنع امتنع. فإن خيّر اختار ترك التصرف.

ولا شك أن مقام الرسالة يطلب التصرف بظهور ما يصدقه عند أمته على ما جاء به،

ليظهر دين الله تعالى. والولي ليس كذلك. ومع هذا فلا يطلبه الرسول في الظاهر. لأن له

الشفقة على أمته. فلا يريد أن يبالغ في ظهور الحجة عليهم. فإن في ذلك هلاكهم. كما

قال الله تعالى في حق أكمل الرسل، وأعلم الخلق وأصدقهم في الحال: ﴿إنك لا تهدي من

أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ^(٣).

ولو كان للهمة أثر، ولا بد، لم يكن أحد أكمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ولا أعلى، ولا أقوى همته منه.

ومعلوم أنها ما أثرت في إسلام عمه «أبي طالب» وفيه نزلت الآية المذكورة. ولذلك قال

في حقه: إنه ما عليه إلا البلاغ. قال تعالى: ﴿ليس عليك هدام﴾ ^(٤) إلى قوله ﴿وهو

أعلم بالمهتدين﴾.

(١) ما بين القوسين غير واضح في (م). وتم التأكد منه في (س).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية ٩، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية ٥٦، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، مدنية.

أي بالذين أعطوه العلم بهداهم في حال عدمهم. فأثبت أن العلم تابع للمعلوم. فمن كان مؤمناً في حال عدمه. ظهر بتلك الصورة في حال وجوده. وقد علم الله منه أنه هكذا يكون.

ثم قال تعالى: ﴿وما يبدل القول لدي﴾^(١). لأن قولي على حد علمي في خلقي.

﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾^(٢). أي ما قدرت عليهم الكفر إلا بشقيهم. ثم طالبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به. بل ما عاملناهم إلا بما أعطونا من نفوسهم مما هم عليه. فما حكمنا عليهم إلا بهم. فإن كان ظلماً، فهم الظالمون لأنفسهم. والله أعلم.

مسألة (٣٣) القضاء والقدر^(٣)

اعلم أن القضاء هو حكم الله تعالى في الأشياء. وحكم الله تعالى في الأشياء على حدّ علمه بها وفيها. وعلم الله تعالى بالأشياء على ما أعطته المعلومات مما هي عليه في نفسها.

والقدر ترتيب ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد، فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها. فهذا عين سر القدر ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾^(٣).

فلله الحجة البالغة. فالحاكم في التحقيق تابع لعين المسألة يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها. والمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه أن يحكم بما حكم به وفيه، كان الحاكم من كان. فتحقق هذه المسألة. فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره. فلم يعرف وكثر فيه الطلب.

فائدة:

إذا قال قائل: القضاء ما هو؟

فيقال له: هو ما أثبتته الله تعالى في اللوح المحفوظ.

ويقال أيضاً: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

والقدر: هو جزئيات ذلك الحكم، وتفاصيله التي تقع فيما لا يزال. أي: وتفاصيله في المخلوقات.

والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٢٩، مكة.

(٢) العنوان من المحقق.

(٣) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٣٧، مكة.

مسألة (٣٤) الولاية

إن الولاية هي الفلك المحيط بالعالم. ولهذا لم تنقطع، ولها الإنشاء العام. وأما نبوة التشريع ورسالته فمنقطعة. وبسيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم انقطعت. فلا نبي بعده، ولا رسول مشرّع ولا مشرّع له. فلم يبق اسم خاص يختص به العبد دون الحق تعالى بانقطاع النبوة والرسالة.

إلا أن الله تعالى لطف بعباده؛ فأبقى لهم النبوة العامة، التي لا تشريع فيها. وأبقى لهم التشريع في الاجتهاد، وفي ثبوت الأحكام، وأبقى لهم الوراثة في التشريع، فالعلماء ورثة الأنبياء. وما تم ميراث في ذلك إلا فيما اجتهدوا فيه من الأحكام فشرعوه.

فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فذلك هو من حيث هو وليّ وعارف. ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من مقامه من حيث هو نبيّ ورسول، وذو تشريع وشرع.

فإذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول إن الولاية أعلى من النبوة. أو يقول إن الوليّ فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد. وهو أن الرسول من حيث هو وليّ، أتم وأكمل من حيث هو نبيّ ورسول. فمرجع النبي والرسول المشرّع إلى الولاية والعلم. ألا ترى أن الله تعالى قد أمره، صلى الله عليه وسلم، بطلب الزيادة من العلم، لا من غيره، من النبوة والرسالة.

فقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

وذلك أنك تعلم أن الشرع تكليف بأعمال مخصوصة، ونهي عن أعمال مخصوصة، ومحلها هذه الدار فهي منقطعة. والولاية ليست كذلك. والله أعلم.

مسألة (٣٥) حدّ الصبر^(١)

اعلم أن حدّ الصبر عندنا إنما هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله تعالى. لا إلى الله تعالى، فحجب الطائفة نظرهم في أن الشكوى تقدر في الرضا بالقضاء. وليس الأمر كذلك. فإن الرضا بالقضاء أن لا يقدر فيه الشكوى إلى الله تعالى، ولا إلى غير الله تعالى. وإنما تقدر الشكوى في المقضي به. ونحن ما خوطبنا إلا بالرضا بالقضاء لا بالرضا بالمقضي

(١) العنوان من المحقق.

به. والضر هو المقضي به، ما هو عين القضاء. فأعلم أيوب، عليه السلام، أن في حبس النفس عن الشكوى إلى الله تعالى في رفع الضر عنه، مقاومة للقهر الإلهي. شكى إلى الله تعالى في رفع الضر عنه. فرفعه عنه، وأثنى عليه، ووصفه بالصبر. فينبغي للعارف أن يتضرع إلى الله تعالى في رفع الضر عنه. فإن رفعه عنه إزالته عن جناب الحق تعالى. إذ هو صورته الظاهرة.

كما جاع بعض العارفين، فبكى. فعاتبه من لا ذوق له في هذا الفن. فقال العارف:

- إنما جوعني لأبكي.

بقوله: إنما ابتلاني لأشكو إليه.

وذلك لا يقدح في كونه صابراً. لأن الصبر إنما هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله تعالى. وأعني بالغير وجهاً خاصاً من وجوه الله تعالى.

وقد عيّن لنا تعالى وجهاً خاصاً من وجوهه تعالى وهو المسمى بالهوية لندعوه منه إذا لم يرفع الضر. لا من الوجوه الأخر المسماة أسباباً. وليست إلا هو من حيث تفصيل الأمر في نفسه. فالعارف لا يحجبه سؤاله هوية الحق تعالى في رفع الضر عنه، عن أن يكون جميع الأسباب عينه تعالى من حيثية خاصة. وهذا لا يلزم طريقته إلا الأدباء من عباد الله الأمناء على أسرارهم. وقد نصحنك فاعمل. والله فاسأل. والله أعلم.

مسألة (٣٦) تقسيم الأمر^(١)

اعلم أن الأمر ينقسم إلى مؤثر ومؤثر فيه. وهما عبارتان. فالمؤثر بكل وجه، وعلى كل حال. وفي كل حضرة هو الله تعالى.

والمؤثر فيه بكل وجه، وعلى كل حال، وفي كل حضرة هو العالم. فإذا ورد فالحق كل شيء بأصله الذي يناسبه. فإن الوارد أبداً، لا بد أن يكون فرعاً عن أصل. لذلك كانت المحبة الإلهية عن النوافل من العبد فهذا أثر بين مؤثر ومؤثر فيه. وعلى هذا كان الحق تعالى شأنه سمع العبد، وبصره. وقواه عن هذه المحبة.

فهذا أثر مقرر لا يقدر على إنكاره لثبوته شرعاً إن كنت مؤمناً.

والله تعالى أعلم.

(١) العنوان من المحقق.

مسألة (٣٧)

في معنى قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾^(١). ولا يكون مستجيباً إلا إذا كان من يدعوه غيره، وإن كان عين الداعي، عين الحبيب. فلا خلاف في اختلاف الصور. فهما صورتان بلا شك.

وتلك الصور كلها كالأعضاء لزيد مثلاً. فحقيقة زيد واحدة شخصية ولكن صورة يده ليست صورة عينه، ولا رأسه، ولا رجله، فهو كثير بالصور واحدًا بالعين. وكالإنسان مثلاً. واحد بالعين بلا شك. لا شك أن عمرًا ما هو زيد، ولا خالد، فهو وإن كان واحدًا بالعين فهو كثير بالصور، والأشخاص.

وقد علمت قطعاً، إن كنت مؤمناً، أن الحق تعالى يتجلى عينه يوم القيامة في صورة فيعرف. ثم يتحول في صورة فينكر. وهو المتجلي في كل صورة ليس غيره. ومعلوم أن الصورة الأولى ما هي الصورة الأخرى. فكأن العين الواحدة قامت مقام المرأة. فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده في الله تعالى عرفه فأقر به. وإذا رأى فيها معتقد غيره أنكره كما يرى في المرأة صورته مصورة غيره. والمرأة عين واحدة، والصور التي تُرى فيها كثيرة في عين الرائي. وليس في المرأة صورة منها.

ثم إن المرأة لها أثر في الصورة بوجه، وهو أنها ترد الصور متغيرة الشكل من الصغر والكبر، والطول والعرض، وذلك لاختلاف مقادير المرآتي. فانظر في المثال مرآة واحدة.

فالحق تعالى من حيث كونه ذاتاً غني عن العالمين. ومن حيث الأسماء الإلهية فهو مثلاً كالمرآة. فأبي اسم إلهي نظر فيه من نظر فإتما يظهر في الناظر حقيقة هذا الاسم. فهكذا هو الأمر. إن فهمت فلا تجزع، ولا تخف. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(٢).

والعين ما أدركت إلا الصورة المحمدية التي ثبت لها الرمي في الحسن. وهي التي نفى الله تعالى الرمي عنها أولاً. ثم أثبت لها وسطاً ثم عاد بالاستدراك؛ أن الله تعالى هو الرامي في الصورة المحمدية ولا بد من الإيمان بها. فانظر إلى هذا المؤثر عين أنزل الحق تعالى في صورة محمدية. فهذا إخبار من الله تعالى لعباده، وخبره صدق. والإيمان به واجب. سواء أدركت ذلك أو لم تدرك. فأنا بحمد الله تعالى عالم بذلك مؤمن مسلم.

(١) في (س): (عز وجل): والآية هي رقم (٦٠) من سورة غافر، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٢٧، مدنية.

ومما يدلُّك على ضعف النظر العقلي من حيث فكره كون العقل يحكم على العلة أنها لا تكون معلولة لمن هي علة له. وهذا الحكم العقلي لا خفاء به. وأمّا في علم التجليات فإن العلة تكون معلولة لمن هي علة له.
والله أعلم.

قالت الأشاعرة: إن العالم كله متمائل بالجواهر فهو جوهر واحد. وهو عين قولنا العين واحدة.

ثم قالت: ويختلف^(١) بالأعراض.

وهو عين قولنا. ويختلف ويتكثر بالصور والنسب حتى يتميز. فيقال: ليس هذا عين هذا من حيث صورته أو عرضه أو مزاجه وهذا عين هذا من حيث وجوده^(٢).
والله أعلم.

مسألة (٣٨)

أتى للمقيّد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه. أم كيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات وما فيه من وجه للممكن إلاّ ويجوز عليه العدم والافتقار. فلو جمع بين الواجب بذاته وبين الممكن بوجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من العثور والافتقار. وذلك في حق الواجب بذاته محال.
فإثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محال. فافهم.

مسألة (٣٩)

القول بما أعطاه الكشف الاعتصامي أن الله تعالى كان ولا شيء معه. إلى هنا انتهى لفظه، صلى الله عليه وسلم، وما أتى بعد هذا فهو مندرج فيه. وهو قولهم:
وهو الآن على ما كان عليه. كان يريد الحكم فالآن. وكان أمران عائدان علينا إذ بنا ظهرا وأمثالهما. وقد انتفت المناسبة والمعقول عليه.
كان الله ولا شيء معه إنما هو الألوهية لا الذات.
والله أعلم.

(١) في (م): (ويختلفي).

(٢) في (س): (من حيث التحقيق).

مسألة (٤٠)

اعلم أن المخلوق لا قدرة له أصلاً عندنا، وعند المحققين من أصحابنا. لأننا ما أمكنا إثبات القدرة الإلهية إلا بظهور أثرها. والقدرة الحادثة عند مثبتيتها لا أثر لها، فلا تعلق لها. فمن أين للمخلوق قدرة. ولا أثر لها. وإنما له التمكن من قبول الأثر الإلهي والكسب معناه إرادة العبد بفعل ما دون غيره فيوجد الاقتدار الإلهي ذلك الفعل عند هذا التعلق فتسمى كسباً للعبد.

والله أعلم.

مسألة (٤١)

إن المتوجه على إيجاد ما سوى الله تعالى إنما هي الألوهية ونسبها، وإضافاتها المعبر عنها بالأسماء والصفات. والوصف الخاص العام لجميع المقدورات كونها قادرة. وتعلق حكم القدرة بالمقدور لا يعلم البتة، لا كشفاً ولا بالدليل. وما عدا هذا الوصف الخاص فمعلوم بلا كشف وبالدليل.

والله أعلم.

مسألة (٤٢)

اعلم أن الألوهية مرتبة للذات لا يستحقها إلا الله تعالى. فطلب مستحقها ما هو طلبها. والمألوه يطلبها، وهي تطلبه. والذات غنية عن كل شيء. فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهية ولم يبطل كمال الذات. وظهر بمعنى ارتفع. كما يقال: ظهر القوم عن البلد. أي ارتفعوا عنه.

وهو قول الإمام: إن للألوهية سرّاً وهو أنت. يخاطب كل موجود لو ظهر لبطلت الألوهية. فإن المألوه لا وجود له إلا بالله فالمألوه موجود أبداً. فالألوهية موجودة أبداً. لا ترتفع.

والله أعلم.

مسألة (٤٣)

اعلم أن الإله اسم للذات الأقدس باعتبار نسبها إلى الأعيان الثابتة. وهو منشأ أسماء الألوهية كالقادر، والمريد. والرب اسم للذات أيضاً باعتبار نسبها إلى الأعيان الخارجية. ونسبتها إلى الأعيان الخارجية هو منشأ أسماء الربوبية كالحافظ والرازق.

والله أعلم.

مسألة (٤٤)

اعلم أن الأحدية موطن الأحد، عليها حجاب العزة لا يرفع أبداً. فلا يراه في أحديته سواء. لأن الحقائق تأتي ذلك.

والإنسان الكامل الذي هو أكمل النسخ وأتمّ النشأة مخلوق على الوجدانية، لا على الأحدية. لأن الأحدية لها الغنى على الإطلاق. ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو واحد. فالوجدانية لا تقوى قوة الأحدية فكذلك الواحد، لا يناهض الأحد. ولأن الأحدية ذاتية للذات الهوية. والوجدانية اسم لها سمتها به التثنية. ولهذا جاء الأحد في نسب الرب، ولم يجيء الواحد، وجاءت معه أوصاف التنزيه. ثم إن الأحدية قد انطلقت على كل موجود فصارت الأحدية سارية في كل موجود. وإنما عممت جميع المخلوقات للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق إلا من شاء الله تعالى.

وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١).

فقضاء الله لا سبيل إلى رده. فما عبد عابد غير الله تعالى فإذا الشرك هو الأحد. وليس المعبود هو الشخص المنصوب وإنما هو السر المطلوب، وهو سر الأحدية. وإنما يعبد الرب. والله تعالى الجامع. ولهذا أشار إلى الأفهام بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

فإن الأحد لا يقبل الشرك، وليست له العبادة، وإنما هي للرب. فنبه تعالى على توفية مقام الربوبية. وأبقى الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه. فالأحد عزيز منيع الحمى لم يزل في العماء. لا يصح به تجل أبداً، فإن حقيقته تمنع. وهو الوجه الذي له السبحات المحرقة فكيف فلا تطمع في رفع الحجاب أصلاً وأبداً. والله أعلم.

مسألة (٤٥)

اعلم أن العلم لا يتغير بتغير المعلوم. لكن التعلق يتغير بتغير المعلوم. والتعلق نسبة إلى معلوم ما، ولا يلزم من تغير التعلق تغير العلم. وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية والسمع. وكما أنه قد ثبت أن العلم لا يتغير فالمعلوم أيضاً لا يتغير. فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين. فالجسم معلوم لا يتغير أبداً. والقيام معلوم لا يتغير. ونسبة القيام إلى الجسم هي المعلومة التي ألحق بها التغير.

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٣، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكة.

والنسبة أيضاً لا تتغير. وهذه النسبة الشخصية أيضاً لا تكون لغير هذا الشخص. فلا تتغير، وما ثم معلوم أصلاً سوى هذه الأربعة. وهي النسبة والمنسوب إليه. والمنسوب والنسبة الشخصية.
والله أعلم.

مسألة (٤٦)

اعلم أن وصف العلم بالإحاطة للمعلومات يقتضي تنهاتها. وتناهيها محال. فالإحاطة محال، لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم من جميع وجوهه.
والله تعالى أعلم.

مسألة (٤٧)

اعلم أن كل موجود قائم بنفسه غير متحيز، وهو ممكن. لا تجري مع وجوده الأزمنة، ولا تطلبه الأمكنة.
والله أعلم.

مسألة (٤٨)

اعلم أنه كما يقال: إن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء. كذلك يقال: إنه لا يريد لها لكنه قضاها وقدّرها.
وبيان ذلك هو أن كونها فاحشة ليس هو عينها. بل هو حكم الله تعالى فيها. وحكم الله تعالى في الأشياء غير مخلوق، وما لم يجز عليه الخلق لا يكون مراداً. فإن التزمناه في الطاعة التزمناه وقلنا الإرادة تثبت سمعاً لا عقلاً.
والله أعلم.

مسألة (٤٩)

اعلم أن البقاء هو استمرار الوجود. لا صفة زائدة على ذاته تعالى. واعلم أن الكلام من حيث ما هو كلام واحد والنسبة في التكلم به لا في الكلام. فالأمر والنهي، والخبر والاستخبار والطلب واحد في الكلام.
والله أعلم.

مسألة (٥٠)

اعلم أن الممكن منحصر في أحد قسمين: في ستر أو تجل.

فقد وجد على أقصى غاياته وأكملها، فلا أكمل منه. ولو كان الأكمل لا يتناهى لما تصور خلق الكمال. وقد وجد مطابقاً لحضرة الكمالية. فقد كمل.

واعلم أن وصف الحق تعالى بالجنس محال. فليس في الإمكان أبدع مما كان. أي: أبدع من العالم، من حيث حصر الأجناس. فليس في الإمكان جنس زائد. لأن الله تعالى قد نصبه دليلاً عليه. فلا بدّ أن يكون الدليل كامل الإمكان. فما بقي إلاّ الأمثال والمثال مثل في الحقيقة. والله أعلم.

مسألة (٥١)

دلّ العقل على أن الإيجاد متعلّق القدرة. ودلّ الشرع على أن الوجود يقع عن الأمر الإلهي^(١). فلا بدّ أن ننظر في متعلق الأمر ما هو؟ وما هو متعلق القدرة؟^(٢) حتى نجتمع بين العقل والسمع.

فنقول: الامثال قد وقع بقوله: «كن».

والمأمور به إنما هو الوجود.

فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود.

وتعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الإيجاد. وهو حالة معقولة بين العدم والوجود. فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت. والله أعلم.

مسألة (٥٢)

اعلم أن متعلق رؤيتنا الحق تعالى ذاته. ومتعلق علمنا به تعالى إثباته إلهاً بالإضافة والسلوب فاختلفا. فلا يقال في الرؤية إنها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق وإن كان وجود الحق تعالى عين ماهيته. فلا ننكر أن معقولة الذات غير معقولة كونها موجودة. والله أعلم.

مسألة (٥٣)

اعلم أن فعل الله تعالى للأشياء ليس بممكن بالنظر إليه. ولا بالإيجاب موجب. فلا يقال: إن الله تعالى جازئ له أن يوجد أمراً ما. وجازئ أن لا يوجد.

(١) في (م): (الاهي).

(٢) علامات الاستفهام من المحقق. وكذا كل علامات الترقيم وسأكتفي بهذه الإشارة.

ولكن يقال ذلك الأمر جائز أن يوجد، وجائز أن لا يوجد فيفتقر إلى مرجع وهو الله تعالى. فالذي نقول في الله تعالى إنه يجب له كذا ويستحيل عليه كذا. ولا نقول يجوز عليه كذا. فهذه عقيدة أهل الاختصاص من الله تعالى. (وأما عقيدة خاصة الخاصة في الله تعالى)^(١) فأمر فوق هذا جعلناه مبدداً في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجردها. والله أعلم.

مسألة (٥٤)

اعلم أن الله تعالى شأنه قد جعل للإنسان ظاهراً وباطناً. فهو يدرك بظاهره أموراً تسمى أعياناً. ويدرك بباطنه أموراً تسمى علوماً. والله تعالى هو الظاهر والباطن. فبه تعالى وقع الإدراك. وكل تجلٍ وقع في الوجود من الله تعالى لعباده سواء كان من عالم الغيب أو الشهادة، إنما هو من اسمه الظاهر. وأما اسمه الباطن فمن حقيقة هذه النسبة إلا أنه لا يقع فيها تجلٍ أبداً. لا في الدنيا ولا في الآخرة. إذ التجلي عبارة عن ظهور لمن تجلى له. والله أعلم.

مسألة (٥٥)

اعلم أن أولية العلم وآخرته إضافية. أما في الوجود فله آخر في كل زمان في ذواته عند أرباب الكشف. (ووافقتهم الجبائية على ذلك)^(٢) ووافقتهم الأشاعرة^(٣) على أن الأعراض لا تبقى زمانين.

فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده أول. والآخر بالنسبة إلى ما يخلق قبله آخر. وليس كذلك معقولية الاسم «الله» والأول والآخر والظاهر والباطن. فإن العالم يتعدد والحق تعالى واحد لا يتعدد، ولا يصح أن يكون أولاً لنا. لأن رتبته لا تناسب رتبنا ولا تقبل رتبنا أوليته تعالى. ولو قبلت رتبنا أوليته لاستحال علينا اسم الأولية، بل كان ينطبق علينا اسم الثاني لأوليته. ولسنا بثانٍ له تعالى عن ذلك. فلهذا كان أوليته عين آخريته. وهذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنس له بالعلوم الإلهية. ولهذا قال «أبو سعيد الخراز»^(٤):

(١) ما بين القوسين من الهامش أمين للصفحة ٦٢ من المخطوط (م).

(٢) ما بين القوسين من الهامش أيضاً. وكما يتضح لي أنه سهو من الناسخ لا مقابلة. لأن الخط ونوع الحبر واحد من النسخة

(٣)

(٣) سبقت الإشارة إلى الجبائية والأشاعرة.

(٤) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز: من أئمة الصوفية المشهورين ولد في أوائل القرن الثالث تقريباً. أول من تكلم في=

«عرفت الله تعالى بجمعه بين الضدين. ثم تلا: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾». فالأول نعت سلبي. والأبد نفى الآخريّة. والله تعالى أعلم.

مسألة (٥٦)

رأيت ذا النون المصري^(١) في بعض التجليات. فقلت له:
 - يا أخي يا ذا النون عجبت من قولك. وقول من قال بقولك: «إن الحق تعالى بخلاف ما يتصور، ويتّملّ».
 - يا أخي يا ذا النون كيف تختلي الكون منه، والكون لا يقوم إلاّ به. أم كيف يكون هو عين الكون. وقد كان ولا كون.
 - يا أخي يا ذا النون إني شفيق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته ولا تختلي ما تصورته منه. وانفِ وأثبت وقل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٢).
 ليس هو عين ما تصورته، ولا يخلو ما تصورته منه.
 فقال ذو النون: «هذا علم فائني، وقد قبضت على ما قبضت». فقلت: هذا علم لا يتقيد بوقت ولا بمكان، ولا بنشأة.
 فقال لي: جزاك الله خيراً. قد تبين لي ما لم يكن عندي وفتح باب الترقّي.

مسألة (٥٧)

اعلم أن كل شيء فيه كل شيء. وإن لم تعرفه، فإن التوحيد لم تعرفه، لولا ما في الواحد عين الاثنين، والثلاثة، والأربعة إلى ما لا يتناهى، ما صحّ أن يوجد به، أو يكون عينها. وهذا مثال على التقريب. فافهمه. والله أعلم.

= الفناء. ترجم له صاحب طبقات الصوفية، والطبقات الكبرى، وغير ذلك. انظر: كتاب الصدق، من تأليفه وتحقيق د. عبد الحلیم محمود وانظر مقولته.

(١) ذو النون المصري: هو أبو الفيض: ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بـ [ذي النون المصري] أحد رجال الطريقة المشهورين، وله كرامات باهرة وسلوك لا ينكر. لم يخل مصدره من ذكره. ومن أقواله: [إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح] توفي عام ٢٤٥هـ.

(٢) انظر: كتاب [المكنون في مناقب ذي النون]، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود. القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

مسألة (٥٨)

إذا تفرغت لأمر بالكلية فإنك تقف معه. وذلك الوقوف هو حجابك، فتخيّل أن الموقوف معه حجبك. وليس الأمر كذلك. فالوقوف مع الحق تعالى حجابك عن الخلق. والوقوف مع الخلق حجابك عن الحق تعالى. وهذا من باب التوسع والإيناس، بما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الحجب النورانية والظلمانية على هذا بنيت الحجب.

مسألة (٥٩)

اعلم أن الحق تعالى قد أضاف العمل إلينا وقتاً، ووقتاً إليه، فلهذا قلنا فيه رائحة الاشتراك. فهذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد في العقل أصلاً. لا من جهة الكشف، ولا من جهة الشرع. فالأمر الصحيح فيها أن العمل مربوط بين الحق تعالى. وبين الخلق غير مخلص لأحد الجانبين. فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق تعالى هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات. فما ثم الوجود عين الحق تعالى لا غيره. والتغيرات الظاهرة في هذا العين، هي أحكام أعيان الممكنات. فلولا العين ما ظهر الحكم. ولولا الممكن ما ظهر التغيير. فلا بدّ في الأفعال من حقٍ وخلقٍ.

فمذهب الأشعرية: «أن العبد محل ظهور أفعال الله تعالى، وموضع جريانها. فلا يشهدا الحس إلا من الأكوان، ولا يشهدا البصر إلا من الله تعالى من وراء حجاب هذا الذي ظهرت على يديه المرید لها. المختار فيها فهو لها مكتسب باختياره». ومذهب المعتزلة^(١): «أن الفعل للعبد حقيقة».

ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق تعالى وبين الخلق لا يزال. فإنهم يقولون:

«إن القدرة الحادثة في العبد الذي يكون بها الفعل أن الله تعالى خلقها».

فهؤلاء الثلاث فرق أصحابنا^(٢)، والأشاعرة، والمعتزلة.

ما زال منهم وقوع الاشتراك في الفعل. وهكذا حكم مثبتي العلل. وأما الطبيعيون، والدهريون، فغاية ما يؤول إليه أمرهم أن الذي تقول فيه إن الإله يقول الدهريون فيه إنه الدهر. والطبيعيون إنه الطبيعية. فما زال وقوع الاشتراك في كل نحلة وملة. وما ثم إلا

(١) المعتزلة: تنسب هذه الفرقة إلى «واصل بن عطاء» شيخ المعتزلة الأول، وهو من أعظم شخصيات الإسلام ويعتبرونه من أكثر شخصيات العرب بلاغة أو من أكثر بلغاء العرب، لإضافة عقائده الكلامية المعروفة التي أسسها عندما اعتزل مجلس (الحسن البصري) فقيل: اعتزل واصل مجلسنا، وقتها التف حوله كثيرون وأطلق عليهم هذا الاسم: المعتزلة. انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، تأليف د. علي سامي النشار، ١٩٨١م، طبعة دار المعارف الثالثة.

(٢) يقصد أصحاب مدرسة وحدة الوجود.

كشف وشرع وعقل. وهذا الثلاثة فما خلصت العقل إلى أحد الجانبين. ولا تخلصه أبداً دنيا وأخرى.

فالنقرة على ما قرره الله تعالى ورسوله. وهذا هو الشرك الخفي والجلي، وموضع الحيرة. ثم إن المتكلمين في هذا الشأن على قسمين: أحدهما: أضاف الأفعال كلها إلى الأكوان. فقال لسان الغيرة الإلهية: ﴿قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾^(١).

أي حادثاً.

والقسم الآخر: أضاف الأفعال الحسنة كلها إلى الله تعالى، وأضاف القبيحة إلى الأكوان. فقال لسان الجود الإلهي: ﴿قل كل من عند الله﴾. لا تكذيباً لهم بل ثناء عليهم جميلاً. والله أعلم.

مسألة (٦٠)

كل ما^(٢) يدرك ويشهد فهو حق ظاهر في صورة خلق متوهم، وهي الصورة الظلية. فالظاهر هو الحق لا غير. وجميع العقلاء يدعون تنزيه الله تعالى مع كونهم مقيدين. لأن العقل لا يقول إلا بالتقيد. ويشتن الحدوث، وينفونه عن الحق سبحانه وينزهون عنه. وأما العرفاء المحققون فلا يشبتون الحدوث رأساً فإن شهود التوحيد ينفيه عن أصله، ثم يشبته بعد نفيه بالحق. بمعنى تجلّى الحق تعالى مع الإثبات بوجهه في الصور المختلفة بالتجليات المتعاقبة غير المتكررة. فافهم. والله أعلم.

مسألة (٦١)

اعلم أن الممكنات لم تزل عند الله تعالى، من حيث أعيانهم، موصوفين بالعدم، ومن حيث أحكامهم موصوفين بالوجود. وقد قال تعالى: ﴿كنت سمعه وبصره﴾. فأثبت العين للممكن، وجعل نفسه صفته التي هي عين وجوده. فعين الممكن ثابتة غير موجودة. والصفة ثابتة موجودة. وهي عين واحدة. ولو تكثرت بنسبها فهي سمع وبصر

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ٧٨، مدنية.

(٢) في (م): (كلمة).

وباقى الصفات إلى جميع ما في العالم؛ من ملك، وبشر، وجن، وحيوان، ومعادن، ونبات، وزمان، ومكان، ومعقول، ومحسوس، ومتخيل. وما ثم إلا هذا. فافهم. والله أعلم.

مسألة (٦٢)

اعلم أن الحق تعالى ما جمع لأحدٍ بين مشاهدته وكلامه في حالة واحدة. فإنه لا سبيل إلى ذلك. إلا أن يكون التجلي الإلهي في صورة مثالية. فحينئذٍ يجمع بين المشاهدة والكلام.

ألا ترى قول «السياري»^(١) رحمه الله تعالى إنه ما التذ عاقل بمشاهدة قط. ثم فسر فقال: «لأن مشاهدة الحق تعالى فناء. والفناء ليس فيه خطاب والخطاب في حال الفناء لا يصح. لأن فائدة الخطاب أن يعقل».

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾^(٢). كموسى، (عليه السلام)، والحجاب عين الصورة التي يناديه منها وما يزول حكم البشر عن بشريته، وإن فني عن شهودها فعين وجودها لا يزول. والحد يصحبها. فافهم.

مسألة (٦٣)

اعلم أن الإيمان لا يقبل الزوال. فإنه نور إلهي ما هو كوكبي يطلع ثم يغرب فيعقبه ظلام شك أو غيره. فمن عرف ما قلته عرف مرتبة العلم من جهة الإيمان، ومرتبة العلم من جهة الدليل. فإن الحق تعالى ما علم الأشياء بالدليل، إنما علمها بنفسه.

والإنسان الكامل مخلوق على صورته فعلمه بالله تعالى إيمان، ونور، وكشف. ولذلك يصفه بما لا تقبله الأدلة. وفي هذا المنزل صمت العبد، إذا كلمه الله تعالى. والحق يكلمه على الدوام. فهو مصغ على الدوام، صامت على الدوام. فالعبد المفتوح السمع لكلام الحق تعالى لا يزال يسمع أمر الحق تعالى بالتكوين فيما يتكون فيه من الحالات، والهيئات. ولا

(١) السياري: هو أبو العباس السياري، اسمه: القاسم بن القاسم. من مرو. صحب الواسطي وانتمى إليه في علوم الطائفة وكان عالماً. مات سنة ٣٤٢هـ. ومن قوله: ما التذ عاقل بمشاهدة الحق قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة.

وانظر: الرسالة القشيرية، ص ٣٠، ط ١٩٥٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ٥١، مكة.

يخلو هذا العبد والعالم نفساً واحداً من وجود التكوين فيه. فلا يزال سامعاً، فلا يزال صامتاً. ولا يمكن أن يدخل معه في كلامه. فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق تعالى فيه، وهو صامت على أصله، فافهم هذا فإنه من لباب المعرفة التي لا تحصل إلا لأهل الكشف والشهود.

فَمَا تَمَّ إِلَّا الصُّفَتْ وَالْحَقُّ نَاطِقٌ
فَمَشْهُدُنَا تَكْوِينُهُ فِي رُجُودِنَا
وَمَا تَمَّ إِلَّا اللَّهَ لَا غَيْرَ خَالِقُ
تَدُلُّ عَلَيْهِ فِي الوجودِ الْحَقَائِقُ
خِلَافَ الَّذِي قُلْنَا وَاللَّهُ صَادِقُ
شعر آخر:

اللَّهُ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ
مَا تَمَّ إِلَّا مَنْ يُكَلِّمُ نَفْسَهُ
وَهُوَ الوجودُ فَلَيْسَ إِلَّا عَيْتُهُ
هَذَا هُوَ الْحَقُّ الصَّرِيحُ الْحَاكِمُ
الصُّفَتْ فِي الْأَكْوَانِ نَعَمَتْ لِأَزْمِ
فَهُوَ السَّمِيحُ كَلَامُهُ وَالْعَالِمُ

مسألة (٦٤)

اعلم أن الخضوع عند تجلي الحق تعالى ومناجاته هو المحمود. وما سواه مذموم إلا في حق من يرى الحق تعالى في الأشياء كلها، من حيث الوجه الإلهي الذي لها، ولكن على ميزان محقق لا يتعداه، وهو الميزان الذي وضعه الحق تعالى لعباده. فالعبد وإن شهد الحق تعالى في كل شيء فما يريد الحق تعالى منه أن يعامله بمعاملة واحدة في كل شيء. بل يريد منه أن يحمده في المواطن التي يطلب منه الحماد فيها، ويقبل عليه، ويأخذ منه، ويعرض عنه في المواطن التي يطلب منه الإعراض عنه فيها. فلا يتعدى الميزان. وهذا المشهد فيه مكر خفي، ولا مزيل له إلا العلم بالميزان الشرعي الإلهي. فمن عرفه وقف عنده وتأدب بآداب الله التي أذب بها رسول الله، (صلى الله عليه وسلم). فقد فاز، وحاز درجة العلم بالله والعرفان به.

لِلشُّرَعِ نُوْرٌ وَلِلْأَبَابِ مِيزَانُ
وَالْكَشْفُ نُورٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يُذْرِكُهُ
وَالشُّرْعُ لِلْعَقْلِ تَأْيِيدٌ وَسُلْطَانُ
إِلَّا عُقُولٌ لَهَا فِي الْوِزْنِ رُجْحَانُ
آخر:

لِرُؤْيَا التُّغَيْتِ الْإِلَهِيِّ خَيْرَانُ
يُعَامِلُهُ الْخَبْرُ اللَّيْبُ بِمَا أَتَى
إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ لِذِي الْعَيْنِ أَلْوَانُ
بِهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ شَرَعٌ وَقُرْآنُ
كَمَا هُوَ إِيمَانٌ كَمَا هُوَ إِخْتِمَانُ
فَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ فَأَعْمَلْ بِحُكْمِهِ

مسألة (٦٥)

إن الأعيان القائمة بأنفسها قابلة للحفظ بخلاف ما لا يقوم بنفسه. فإنه لا يقبل الحفظ. ويقبل الوجود، ولا يقبل البقاء. فليس له من الوجود غير زمان وجوده ثم ينعدم. ومتعلق الحفظ إنما هو الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده فما زاد. فكل موجود حادث له بقاء في وجوده، فلا بد من حافظ كياني يحفظ عليه وجوده. وذلك الحافظ خلق الله تعالى، وهو غذاء. فلا تزال عينه محفوظة ما دام الله تعالى يغذيه بما فيه بقاءه من لطيف وكثيف. مما يدرك وما لا يدرك. فالسعيد من الحافظين من يرى أنه مجهول للحفظ. قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾^(١). فنكر فدخل تحت هذا الحفظ حفظة الأفعال، وحفظة الوجود.

مسألة (٦٦)

اعلم أن القلم واللوح أول عالم التدوين والتسطير وحقيقتها سارية في جميع الموجودات علواً وسفلاً، معنى وحساً. وبهما حفظ الله تعالى العلم على العالم والكتابة، الضم. وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام فظهرت النتائج في الأعيان. فمن حفظ عليهما هذا الضم الخاص أفادته علوم^(٢) لم تكن عنده. ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد للعلم لم يحصل على طائل^(٣). وكان كلامه غير مفيد. والله أعلم.

مسألة (٦٧)

اعلم أنه لا بد من رجوعك إلى الله تعالى كارهاً كنت أو مختاراً. فارجع إليه مختاراً فإنه إنما يلقاك بصفتك لا يزيدك عليها، فانظر لنفسك. قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)^(٤) الحديث.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٦١، مكة.

(٢) في (م): (علوم).

(٣) غير واضحة في (م) وبمراجعتها على الفتوحات، ج٣، ص ٢٢١، تم تصحيحها. وتمت مراجعتها أيضاً على النسخة (س).

(٤) في الأصل: (لقائه).

والحديث: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه).

انظر: الحديث في اللؤلؤ والمرجان، باب من أحب لقاء الله حديث رقم (١٧١٩) ص ٢٢٢، ج٣. وقال صاحب اللؤلؤ ذكره البخاري في ٨١ من كتاب الرقائق، بنفس الباب.

وأخبرنا في الكشف بالإخبار الإلهي أنه من استحيى من لقاء الله تعالى آتته الله، وأزال خجله. لأن العبد ما يجعله يستحيي إلا ما ظهر منه من المخالفة والتقصير في حق الاستطاعة. فأنس الله تعالى أن يقول له: يا عبدي إنما كان ذلك بقضائي وقدري. فأنت موضع جريان حكمي. فيأنس العبد بهذا القول، فلو قال العبد هذا القول لله تعالى أساء الأدب معه ولم يسمع منه.

قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (الحياء لا يأتي إلا بخير)^(١).

وأي خير أعظم من أن يقيم الحق تعالى حجة عبد أنسأ له، ومباشطة، وإزالة الخجله. فسبحان اللطيف الخبير.

إِنَّ الرَّجُوعَ هُوَ الْمَطْلُوبُ لِنَهْهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ كَوْنٍ فِيهِ بِاللَّهِ
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ فِي الْأَخْوَالِ أَجْمَعِهَا وَلَا تَكُنْ عَنِ شُهُودِ اللَّهِ بِاللَّاهِي

مسألة (٦٨)

اعلم أنه من شهد نفسه شهود حقيقة رآها ظلاً أزلياً لمن هي على صورته. فلم تقم مقامه. لأن المنفعل لا يقوم مقام فاعله. وكل فاعل أعلى من منفعله في الرتبة، فلا فخر بالذات إلا لله تعالى. فإذا كان الفخر فينا للرتب. والرتب نسب عدمية فما افتخرنا إلا بالعدم. وناهيك ممن فخره بالعدم.

واعلم أنه إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله تعالى أنكره أهل الشهود. وهم الذين لا يشهدون شيئاً، ولا يرونه إلا ويرون الله تعالى قبله.

وأما العلماء بالله فهم في هذا المقام مع حكم الله تعالى فيه لا مع ما يشهدونه فينكرون النكرة، ويعرفون المعرفة. إذ كان الوجود مبناه على المعرفة. وهي الأصل. والله أعلم.

(١) حديث: «الحياء لا يأتي إلا بخير».

انظر: اللؤلؤ والمرجان، ص ٩ ج ١، حديث (٢٣). وذكر الطبراني في معجمه الصغير، حديث رقم ٢٢٣ ص ١٠٧. عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الحياء كله خير».

وللحديث روايات أخرى كثيرة.

انظر: معجم الطبراني الصغير.

وانظر: البخاري ومسلم.

في رواية: ما كان الحياء في شيء إلا ذاته... الخ، ورواية: دعه فإن الحياء من الإيمان، ورواية: الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان. وانظر: اللؤلؤ والمرجان، ج ١، ص ٨، ص ٩.

مسألة (٦٩)

أوقف الله تعالى من عباده من شاء بين يديه وخاطبه مخبراً بما له وما عليه. فقال له: (إن لم تتق الله جهلته، وإن اتقيته كنت به أجهل. ولا بد لك من إحدى الحصلتين. فلهذا خلقت لك الغفلة حتى تتعري عن حكم الضدين. لأنه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما. فاشكر الله تعالى على الغفلة والنسيان).

مسألة (٧٠)

إن العالم عند الله تعالى من علم الظاهر والباطن. ومن لم يجمع بينهما فليس بعالم خصوصي، ولا مصطفى. وسبب ذلك أن حقيقة العلم تمنع صاحبها أن يقوم في أحواله بما يخالف علمه، فكل من ادعى العلم، وعمل بخلافه في الحال الذي يجب عليه عقلاً وشرعاً العمل به، فليس بعالم. ولا ظاهر بصورة عالم فلا تغالط نفسك. فإن وبال ذلك لا يعود إلا عليك. ولهذا قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (إن الله تعالى إذا أراد إمضاء قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم)^(١).

وليس سوى ذهاب العلم عنهم. ثم قال: (حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره رده عليهم ليعتبروا).

والاعتبار عمل أوعية العلم. فهذا عين ما ذهبنا إليه. فإذا رأيت من يدعي الإيمان ويذكر، فلا يقع نفع، بما ذكرته به علمت أنه في الحال ليس بمؤمن أصلاً. فإن الله تعالى قد أخبر أن المؤمن ينتفع بالذكرى. وإنما نبهناك على هذا لتعلم حظك من الإيمان.

فقد قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٢). أي: مصدق بالعقاب عليه. فإنه يجوز أن الله تعالى قد يغفر [له]^(٣). فإن الإيمان إذا لم يعط الكشف الذي يعطيه العلم فليس بإيمان.

(١) حديث: «إن الله إذا أراد إمضاء قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم. حتى إذا مضى عليهم قضاءه وقدره رده عليهم ليعتبروا».

انظر كشف الحفاء العجلوني ج ٢ ص ٧٩. دار الكتب العلمية وتذكرة الموضوعات، الفتى ص ١٢ ومسنند الشهاب ج ٢ ص ٣٠١ تحقيق: حمدي عبد المحسن السلفي. ط. مؤسسة الرسالة العربية.

(٢) حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

انظر: الحديث رقم (٣٦) من الجزء الأول من كتاب اللؤلؤ والمرجان، باب: بيان أن الدين الصحيح ص ١٢، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٣) إضافة من المحقق ليستقيم السياق.

فاعلم أن العلم يعطي العمل من وراء حجاب رقيق. فلا تغفل عن هذا القدر الذي نبهناك عليه.

واعلم أن من شاهد المقدر عليه علماً بطريق الكشف الشهودي أتى المخالفة بحكم التقدير لا بحكم الانتهاك. فكان عاملاً بما علم فلا يضر ذلك العمل بل هو مغفور له. والله أعلم.

مسألة (٧١)

الأحد والأحدية، والوتر والوترية أسماء للذات المقدسة باعتبار انتفاء الأسماء والصفات والنسب والإضافات، والواحد والواحدية والشفع والشفعية أسماء للذات باعتبار إثبات الأسماء والصفات والنسب والإضافات. والله أعلم.

مسألة (٧٢)

اعلم أن كلمة الحضرة الإلهية^(١) هي الكلمة الفهوانية، وهي كلمة «كن»، وهي صورة الإرادة، وهي أحدية وأحدية التعلق، وهي منسحبة على كل مكون. وليس لها معنى الإيجاد. والله أعلم.

مسألة (٧٣)

اعلم أن الحق تعالى والخلق معان في الثبوت وليس معان في الوجود. فمن حيث ثناء الخلق وجود الحق تعالى. لا من حيث الثبوت. وإنما ثناء الخلق وجود الحق تعالى. لأن كل حقيقة تعقل للحق تعالى لا تعقل مجردة عن تعقل الخلق. فهي تطلب الخلق لذاتها. فلا بد من معقولية حق وخلق لأن تلك الحقائق الإلهية من المحال أن يكون لها تعلق أثري بذات الله تعالى. ومن المحال أن تبقى معطلة الحكم، لأن الحكم لها ذاتي، فلا بد من تعقل حق وخلق سواء اتصف المخلوق بالوجود أو العدم^(٢)، فلما كان الأمر في الثبوت على السواء أعطيتاه صورة الاعتدال وعدم الميل إلى أحد الجانبين. وهذه هي المنزلة الرفيعة. (المنار)^(٣) العامة الآثار.

(١) في (م): (الهيئة).

(٢) في (م): (للعدم).

(٣) غير واضحة في (م). ورجعت على الفتوحات، ج ٣ ص ٢٨٦. وهي صحيحة. وكذا رجعت على النسخة (س).

مسألة (٧٤)

كيف تريد أن تعرف بعقلك من عين مشاهدته عين كلامه. وعين كلامه عين مشاهدته. ومع هذا إذا أشهدك لم يكلمك. وإذا كلمك لم يشهدك بالله. تدري ما أقول لا بالله ولا أنا أدري ما أقول كيف يدري من يقبل الأضداد في وصفه أو تشبيهه في نعته. هيهات لا يعرفه غيره، وهذا وراء طور العقل. لأن العقل لا يدري ما أقول. فإن الحق تعالى لا يصح عليه أن يكون من مدركات العقول. لأنه لو كان من مدركات العقول لدخل تحت أحكامها. والله أعلم.

مسألة (٧٥)

تُبْرُثُ الْعَيْنُ فِي الْإِنكَانِ بِذَرٍّ وَلَوْلَا الْبِذْرُ لَمْ يَكْ قَطُّ نَبْتُ^(١)
ظُهُورِي عَنْ تَبْرُوتِي دُونَ أَمْرٍ إِلَهِي مُحَالٍ حَيْثُ كُنْتُ
فاذاً ليس في العلم إلا الشفع، وهو تشنية الجمع. فإن الحقائق الإلهية كثيرة، والحققات على قدرها أيضاً. فثنت الحققات الحقائق في العلم. وإن لم يتصور بالوجود العيني.

وفي معناه قيل:

فَلَوْلَا تَبْرُوثُ الْعَيْنِ مَا كَانَ مَشْهُوداً وَلَا قَالَ كُنْ كَوْناً وَلَا كَانَ مَقْضُوداً
فَمَا زَالَ حُكْمُ الْعَيْنِ لِلَّهِ عَابِداً وَمَا زَالَ كَوْنُ الْحَقِّ لِلْعَيْنِ مَغْبُوداً
فَلَمَّا كَسَاهُ الْحَقُّ حُلَّةَ كَوْنِهِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ مَفْقُوداً
تَكَوَّنَتِ الْأَكْوَانُ فِيهِ بِكَوْنِهِ فَمَا زَالَ سَجَاداً فَقِيداً وَمَوْجُوداً

شعر آخر:

رَأَيْتُ زَيْبِي بِعَيْنِ قَلْبِي فَكُنْتُ لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي حُزَّتْ كُلُّ أَيْنٍ فَحَيْثُ لَا أَيْنَ كُنْتُ أَنْتَ
فَلَيْسَ لِنَوْهَمٍ فِيكَ وَهْمٌ فَيَفْلَمُ الْوَهْمُ حَيْثُ أَنْتَ
فَفِي فَنَائِي فَنَاءُ فَنَائِي وَفِي فَنَائِي ظَهَرْتَ أَنْتَ

(١) في (م): (اليزن بزاي. وهي مكررة.

(٢) في (م): (أنا) وكل القافية هكذا.

مسألة (٧٦)

اعلم أن وجه الحق تعالى هو [أن] ^(١) يكون به الحق حقاً. إذ لا حقيقة لشيء إلا بالحق تعالى، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ^(٢).
فوجه الله هو عينه المقيمة للأشياء. فمن رأى قيومية الحق للأشياء فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء. فافهم.
وَقَفَّكَ اللَّهُ لِرُؤْيَاهُ.

مسألة (٧٧)

اعلم أن كل ما ظهر في الأكوان فهو صورة لاسم خاص رباني يربيه الحق تعالى به. فمنه يأخذ، وبه يفعل، وإليه يرجع في كل ما يحتاج إليه.
والله أعلم.

مسألة (٧٨)

للإمام حجة الإسلام «أبي حامد الغزالي»، تغمده الله برحمته.
فإن قيل: كيف الجمع بين التوحيد والتشريع.
التوحيد: هو أن لا فاعل إلا الله.
والشرع: قد ورد بإضافة الفعل إلى العبد.
وإذا كان الله فاعلاً، فكيف يكون العبد فاعلاً؟
وإذا كان العبد فاعلاً، فكيف يكون الله فاعلاً؟
وصدور الفعل من فاعلين غير معقول. فنقول: صدقت إذا كان صدور الفعل من فاعلين بمعنى واحد فهو غير معقول. وإذا كان صدور الفعل من فاعلين بمعنيين فهو معقول. فنقول: معنى كون الحق تعالى فاعلاً هو أنه الخالق المخرع. ومعنى كون العبد فاعلاً أنه محل لإيجاد قدرة، بعد إيجاد إرادة، بعد إيجاد علم. وارتبطت الحركة بالقدرة، والقدرة بالإرادة، والإرادة بالعلم ارتباط المشروط بالشرط. ومن المحال وجود المشروط قبل وجود شرطه وارتبط المجموع بالقدرة الإلهية ارتباط المخرع بالمخرع.
والله أعلم.

(١) من المحقق للسياق.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٥، مدينة.

مسألة (٧٩)

اعلم أنه لا بد من ارتباط الكثرة في العين الواحدة. وإثبات أحدية الكثرة على كل حال عند كل قابل إما بأسماء، أو بصفات، أو بنسب. فلولا تعالي لما وُجِدنا، ولولانا لما تكثر عزّ وجلّ بما نسب إلى ذاته المقدسة من الأسماء والصفات الإلهية. فأحدية الكثرة اعتبارها من حيث هي هي من غير إثبات ولا نفي. بحيث يندرج فيها جميع ما في الحضرة الواحدة. والله أعلم.

مسألة (٨٠)

اعلم أنه لما كان الله تعالى كل يوم هو في شأن. فلذلك لا يثبت العالم قط على حالة نفساً فرداً. لأنه لو ثبت على حالة واحدة نفسية لا تصف بالغنى عن الله. وذلك محال. والله أعلم.

مسألة (٨١)

الحق في مقابله الباطل. وكل ما يخبر عنه فإما حق مطلق وإما باطل مطلق، وإما حق من وجه باطل من وجه.

فالأوجب لذاته: هو الحق مطلقاً. والمستحيل لذاته: هو الباطل مطلقاً.

وممكن بذاته: هو حق من وجه باطل من وجه. لأنه من حيث ذاته لا وجود له. فهو باطل من هذا الوجه. ومن حيث موجدته موجود فهو حق من هذا الوجه.

فإذا أطلق الحق على الوجود في الأعيان، وعلى الوجود في الأذهان وعلى الوجود في اللسان، فأحق الأشياء بأن يكون حقاً هو الذي يكون وجوده ثابتاً لذاته أولاً وأبداً. فافهم.

مسألة (٨٢)

لحجة الإسلام. قال، رحمه الله تعالى: «إن كل ما في السموات وما في الأرض حادث على ترتيب واجب، وحق لازم لا يتصور حدوثه إلا كما حدث، وعلى الترتيب الذي عليه وجد. فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه. ووجود المشروط قبل وجود شرطه محال. وكل ذلك على المنهاج الحق، والترتيب الواجب. وليس في شيء من ذلك لعب ولا اتفاق. بل كل ذلك لتدبير وحكمة». والله أعلم.

مسألة (٨٣)

اعلم أن المراتب ست^(١)، والمجالي خمسة، والعروش خمسة.

أما المراتب: فالأول مرتبة حضرة الأحذية. ثم مرتبة حضرة الواحدية ثم مرتبة عالم الأرواح المجردة. ثم مرتبة عالم النفوس وهو عالم المثال. ثم مرتبة عالم الأجسام وهو عالم الملك. ثم مرتبة الإنسان الكامل.

وأما المجالي: فالأول مجلي الحضرة الواحدية، ثم مجلي عالم الأرواح، ثم مجلي عالم النفوس، ثم مجلي عالم الأجسام، ثم مجلي عالم الإنسان الكامل. الذي هو مجلي المجالي.

وأما العروش: فالأول عرش الحياة وهو عرش الهوية، ثم عرش الرحمانية، ثم العرش الكريم، ثم العرش العظيم، ثم العرش المجيد. والله أعلم.

مسألة (٨٤)

اعلم أن المخالفة التي وقعت من الخليفة عليه السلام لم تقع منه من حيث ذاته، ولا من حيث مرتبته. وإنما وقعت منه من حيث إنه كان حاملاً للموافق والمخالف. فتحرك منه النسب المخالف. لأن الجنة ليست موطنه، ولأنه يتضرر بها. فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة لا مخالفة حكم لنهي حكم. والله أعلم.

مسألة (٨٥)

اعلم أن لله تعالى مجالس مع عباده، وعددها بعدد قسيمي الأوامر وعدد قسيمي المناهي. وعدد ما أوجبه على أنفسهم بطريق النظر، وبعدد ما أمرهم به أولو الأمر منهم، في غير محرم.

فلما سواها دعاهم إليه ليجالسوه. فمن تخلف عن مجالسته فيها فقد عصي دعوته. والله تعالى مجالس تسمى مجالس الإيمان. وعددها بعدد ما أباح لهم في الشرع أن يتصرفوا فيه مما لا أجر فيه ولا وزر. فإذا فعلوا المباح من حيث إن الله تعالى أباحه لهم مؤمنين بذلك حضر معهم بالإيمان.

(١) في (م)، (س): (سنة).

ولله تعالى مع عباده مجالس تسمى مجالس السنن الكتابية وهو قوله، (صلى الله عليه وسلم): (من سن سنة حسنة)^(١) الحديث.

وعدها بعدد ما سن من ذلك، وعدد من عمل بها من حيث لا يشعر إلا أن يكشف الله تعالى له في سره بمجالسته إياه. فيرى مجالسة غريبة وهو غير عامل بها في الوقت. فيقال له: إن فلاناً عمل الخير الذي سننته فجالسناه فيه فجالسناك فاحمد الله تعالى واشكره. وقد قرن الله تعالى محبته العالية الحسنى لأهل مجالس الفرائض. وقرن محبة أخرى دونها عدد مجالس النوافل. ولا تكون نافل إلا ما كان مثل من الفرائض. ولكل مجلس باب يدخل منه إليه. وعلى كل باب بواب وهو الإيمان.

ومن المجالس ما يكون عليها بوابان: الإيمان والنية. والباب ما هو عين الشرع في ذلك العمل. بل هو الحال الذي يكون عليه في أول الشروع. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٢).

فالمصلي يناجي ربه تعالى. والمناجاة ذكر. والحق تعالى جليس من ذكره. والدوام على مناجاته تعالى هو أن يكون العبد في جميع أحواله وتصرفاته مع الله تعالى كما هو في صلواته يناجيه في كل عين. وسبب ذلك كونه لا بد أن يكون العبد على حال من الأحوال. ولا بد أن يكون لله تعالى في ذلك الحال حكم شرعي. وهو تعالى مع أحكامه حاضر حيث كانت. والمراقب يناجيه تعالى في كل حال محظور وغير محظور. لأن أفعال العبد وتركه هي التي تعلق أحكام الحق تعالى به فهذا هو الدوام على الصلاة. والله أعلم.

مسألة (٨٦)

اعلم أنه ليس في الوجود شيء، من جماد وغيره، إلا عارفاً بوحداية خالصة له تعالى. ولولا سر الألوهية الذي تخيله المشرك في معبوده، ما عبده أصلاً فقام له سر الألوهية مقام الأمر لنا. غير أن الحق تعالى قرن السعادة بأمر المشيئة. وقرن الشقاوة بإرادة المشيئة. فما ثم مشرع غير الله تعالى. فإذا المعبود بكل لسان في حال وزمان. إنما هو الله الواحد، والعابد من كل عابد. إنما هو الله الواحد. فما ثم إلا الواحد. والاثنان إنما هما واحد. كذلك الثلاثة، والأربعة، والعشرة، والمائة، والألف إلى ما لا يتناهى. ما تجد إلا الواحد.

(١) حديث: «من سن سنة حسنة». أخرجه الإمام مالك في الموطأ ج ١ ص ٢١٨ ط دار إحياء التراث العربي، ومسلم في صحيحه كتاب العلم باب ٦ حديث ١٦. والهيتمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٧ ط. دار الكتب العلمية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الماعز، الآية ٢٣، مكة.

ليس أمراً زائداً فإن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين فسمي اثنين. وهكذا سائر الأعداد. فكما أنه أنشأ العدد فكذلك يفنيه بزواله. فتكون الخمسة مثلاً موجودة. فإذا عدم الواحد منها عدمت، وإذا ظهر الواحد ظهرت. وهكذا في كل شيء. فهكذا وحدانية الحق تعالى فبوجوده ظهرنا، فلو لم يكن لما ظهرنا. ولا يلزم من عدم كوننا أنه لم يكن كما لا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد. فإن الأعداد تكون عن الواحد، ولا يكون الواحد عنها. فلماذا تظهر به، ولا يعدم بعدمها. وهكذا فيما تناله من المراتب. إن لم يكن هو في المرتبة المعقولة لم تكن فتفطن لهذا الواحد والتوحيد. واحذر من الاتحاد في هذا الموضوع.

فإن الاتحاد لا يصح. فإن الذاتين لا تكون واحدة، وإنما هما واحدان. فهو الواحد في مرتبتين. ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لا يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة. فالوحدانية سارية. فما ثم غيرها. فالثنية مثل الحال لا موجودة. فإن الحقيقة تنفيها أو تأبأها ولا معدومة فإن الحق تعالى يثبتها. وملخص ذلك أنك إذا قلت عشرة فكأنك قلت إن الواحد قد مشى عشرة منازل وقس على هذا النمط فاعرف الواحد. والله أعلم.

مسألة (٨٧)

اعلم أن منزلة القوى الحسية الحيوانية أتم من منزلة القوى الروحانية. لأنها لها الاسم الوهّاب، لأنها هي التي تهب للقوى الروحانية ما تتصرف فيه، وما يكون به حياتها العلمية من قوة خيال وفكر وحفظ وتصور ووهم وعقل. فكل هذه القوى من مدد القوى الحسية. ولهذا قال تعالى في الذي أحبه: (كنت سمعه وبصره) الحديث.

فذكر الصورة الحسية، وما ذكر من القوى الروحانية شيئاً، ولا أنزل نفسه منزلتها، لأن منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس. ومنزلة القوى الحسية منزلة الافتقار إلى الله تعالى. فلذلك لم ينزل نفسه منزلة من يفتقر إلى غيره. بل أنزل نفسه منزلة من يفتقر إليه سبحانه. فأعطى القوى الحسية الغنى عن القوى الروحانية. لأن القوى الروحانية تأخذ من القوى الحسية. والقوى الحسية لا تأخذ منها، وإنما تأخذ من الله تعالى. فاعرف شرف الحس وقدره، وأنه عين الحق تعالى. ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلا بوجود الحس والمحسوس. لأنها ما تكمل إلا بالحق تعالى. فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله تعالى. ألا تراه سبحانه كيف وصف نفسه بكونه حياً عالماً قادراً، وباقي الصفات وهذه كلها لها أثر في المحسوسات. ويحس الإنسان من نفسه قوام هذه القوى به. ولم يصف الحق تعالى نفسه بأنه عاقل ولا مفكر ولا متخيل. وما أبقى من القوى الروحانية إلا ما للحس مشاركة فيه.

وهو الحافظ والمصور. فلولا الاشتراك ما وصف تعالى نفسه بهما. فهما صفتان روحانية وحسية. فتنبه لما نبهناك عليه.

واعلم أن الشرف كله في الحس. وأنتك جهلت أمرك وقدرك. فلو علمت نفسك علمت ربك. كما أن ربك علمك وعلم العالم بعلمه لنفسه. وأنتك صورته فلا بد أن تشاركه تعالى في هذا العلم فتعلمه من علمك بنفسك. وهذه نكتة ظهرت من رسول الله، (صلى الله عليه وسلم). حيث قال: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١).

إذ كان الأمر في علم الحق تعالى علمه بنفسه. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾^(٢).

فذكر الناشئين: نشأة صورة العالم بالآفاق. ونشأة روحه بقوله: ﴿في أنفسهم﴾. فهو إنسان واحد ذو نشأتين ﴿حتى يتبين لهم﴾. أي: للرائين. ﴿أنه الحق﴾. أي أن الرائي فيما رآه أنه الحق لا غير.

فانظر يا ولي ما أطف رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، بأمته. وما أحسن ما طرق لهم فنعم المطرق والمدير. جعلنا ممن مشى على مدرجته حتى التحق بدرجته أمين بعونه وكرمه. وإن كنت ذا فطنة أو ماناً إليك ما هو الأمر عليه. بل صرّحنا لك بذلك. وتحمّلنا في ذلك ما يُنسب إلينا من ينكر ما أشرنا به في هذه المسألة من العمى، الذين ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾^(٣).

ووالله لولا هذا القول الإلهي لحكمتنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة. كما حكم الله تعالى عليهم بعدم السمع مع سماعهم في قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾^(٤).

(١) حديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

قال ابن تيمية: حديث موضوع. وقال النووي: ليس بثابت. وقال أبو المظفر السمعاني في القواطع: إنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال: كتب الصوفية مشحونة به. يسوقونه مساق الحديث. والحافظ السيوطي له كتاب لطيف أسماء [القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه]. وقال النجم وقع في أدب الدنيا والدين للمواردية أنه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «من أعرف الناس بربه»، قال: أعرفهم بنفسه. انظر: كشف الحفاء، ج ٢، ص ٢٦٢، حديث رقم ٢٥٣٢. وانظر: المعجم الصوفي، د. سعاد الحكيم، ص ١٢٦١. وانظر: كتاب الأزل، لمحمد وفا، بتحقيق سعيد عبد الفتاح، ص ١١٥، دار المنتبي، باريس، ط ١.

(٢) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية ٥٣، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الروم، الآية ٧، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٢١، مكة.

وهكذا علم هؤلاء بظواهر الحياة الدنيا بما تدركه حواسهم من الأمور المحسوسة لا غير. لأن الحق تعالى ليس سمعهم، ولا بصرهم، فاعرف يا ولي منزلتك من هذه الصورة الإنسانية التي سيدنا محمد، (صلى الله عليه وسلم)، روحها، ونفسها الناطقة، هل أنت من قواها، أو من محل قواها.

فإن كنت من قواها فمن أنت من قواها. هل أنت بصرها أم سمعها أم شمها أم ذوقها أم لمسها. فإني والله قد علمت أي قوة أنا من هذه الصورة. فله الحمد على ذلك، وعلى كل حال. والله أعلم.

مسألة (٨٨)

اختلف الناس في النسخ. فأنكر النسخ الإلهي في الأمور والشرائع لتوهم البدء على الحق تعالى خلق كثير. وجوزه لا على جهة البدء خلق كثير. ونحن سلطنا فيه طريقاً بين طريقين فلم نقل بالبدء ولا نفينا النسخ. بل جعلناه انتهاء مدة الحكم في علم الله تعالى. إذ لم يرد من الله تعالى حكم ذكر فيه أنه مؤبّد^(١) أو جار إلى أجل معين. ثم رفعه قبل وصول ذلك الأجل فلماذا سلطنا فيه هذه الطريقة. والله أعلم.

مسألة (٨٩)

اعلم أن الأرواح النارية والنورانية إذا تبدّت لأبصار البشر تجسدت فلا تقع الرؤية إلا على أجساد تشبه الأجسام، والأرواح باقية على حالها لا تتغير. والله أعلم.

مسألة (٩٠)

اعلم أن الأفعال الصادرة عن القدرة الإلهية تنقسم إلى ما لا ينساق إلى النهاية التي هي غاية حكمتها فيستعار لهذا القسم لفظ المحبوب والمرضي. وإلى ما يقصر عن بلوغ الغاية فيستعار له لفظ المكروه والمبغوض. لكل منهما نسبة إلى المشيئة الأزلية. وليس شيء من ذلك باتفاق ولا لبخت. بل لإرادة أزلية وحكم حق، وأمر جزم استعير له لفظ القضاء. فغاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الأزلي. واستعير لترتيب المقدورات بعضها على

(١) في (م): (مؤبّد).

بعض لفظ القدر، فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الكلي. وكان لفظ القدر بإزاء الأمر الجزئي التفصيلي المتماذي إلى غير النهاية.
والله أعلم.

مسألة (٩١)

اعلم أن الأعيان باقية على أصلها من العدم. غير خارجة من الحضرة العلمية. فما شئت رائحة الوجود. وليس لها وجود في الخارج إلا وجود الحق متلبساً بصور أحوال الممكنات. فلا يتلذذ بتجلياته، ولا يتألم منها سواه.
واعلم أن التألم والتلذذ من صفات الكون. فاستنادهما إليه إنما هو باعتبارين:
أحدهما: اتصافه بصفات الكون في مقام التنزل.
وثانيهما: رجوع الكون وصفاته إليه.
وأما باعتبار الأحدية فالكل مستهلك فيها. فلا التذاذ ولا تألم فهذا السر فوق سر القدر. لأنه سر الأحدية المستعلية عن الكثرة.
والله أعلم.

مسألة غامضة (٩٢)

بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق تعالى باسمه النور. أي الوجود الظاهر في صور المخلوقات، وظهوره بأحكامها. وهذا علم كشفي ذوقي ينبو عنه الفهم، ويأباه العقل.
والله أعلم.

مسألة (٩٣)

اعلم أن لكل ذكر من الأذكار نتيجة لا تكون للذكر الآخر. فأول فتح للذكر قبول القلب لذلك الذكر. فإن القلب لا يقبل من الأذكار إلا ما يعطيه استعداد الذاكر. ثم لا يزال مواظباً عليه مع الأنفاس. فلا يخرج من نفس في يقظة ولا في نوم إلا به لاجتهاده فيه. وهذه حقيقة الهجير، ومتى لم يكن حال الذاكر على هذا النمط فليس هو بصاحب هجير.
والله أعلم.

مسألة (٩٤)

واعلم أنه إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال. وإن كان بمعنى ظهور

الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد. فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه. ويكون الدليل مخالفاً للحس. فيكون على وجهين، كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً.

وبالدليل أن الله تعالى خالقها، وأنها أثر القدرة القديمة لا الحادثة. وقد يكون الاتحاد عندنا بمعنى حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمه، وتوجه إرادته من غير مباشرة ولا معالجة فظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة سمي ذلك اتحاداً. لظهور حق في صورة عبد. وظهور عبد في صورة حق. وقد يطلق الاتحاد في طريقنا على تداخل الأوصاف بين الحق تعالى وبين العبد. فإن الحق تعالى قد وصف العبد بما هو وصف للعبد الحياة والعلم وغيرهما. ووصف نفسه بما هو وصف للعبد من اليبدين والأعين والغضب والرضا، وشبه ذلك.

فلما تداخلت الأوصاف بين الحق تعالى وبين العبد سمي ذلك اتحاداً لظهوره بنا، وظهورنا به تعالى. فلهذا يصح قول من قال: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا».

وفي معناه قيل:

الحقُّ عَيْنُ الخَلْقِ إِنْ كُنْتَ ذَا عَيْنٍ والخَلْقُ عَيْنُ الحَقِّ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ
وَإِنْ كُنْتَ ذَا عَيْنٍ وَعَقْلٍ فَمَا تَرَى سِوَى عَيْنِ شَيْءٍ وَاحِدٍ فِيهِ بِالْكُلِّ

مسألة (٩٥)

الكون حجاب. والناظر إليه محجوب يتمنى أنه لم يوجد. كما قيل:
وَلَمَّا بَدَأَ الْكَوْنُ الْغَرِيبُ لِنَاطِرِي حَتَّتْ إِلَى الْأَوْطَانِ حَسْبُ الرُّكَّابِ
لأن الكون غريب عن وطنه، ووطنه العدم فهو وطنه الأصلي. والوجود له مستعار.
والله أعلم.

مسألة (٩٦)

اعلم أن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أنه لا يتقيد وجود الحق تعالى مع وجود العالم بقبلية، ولا بعدية، ولا معية. فإن التقدم الزماني والمكلف في حق الله تعالى قد رمت به الحقائق في وجه القائل به. إلا أن يقوله من باب التوصيل إلى أفهام المخاطبين كما قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم). ونطق الكتاب العزيز به. إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق. فلم يبق لنا إلا أن نقول:

«إن الله تعالى موجود بذاته، مطلق الوجود، غير مقيد بغيره، ولا معلول بشيء، ولا علة لشيء، بل هو خالق المعلولات والعلل».

ونقول: «إن العالم موجود بالله تعالى، لا بذاته. مقيد بوجود الحق تعالى، وإذا انتفى

الزمان عن وجود الحق تعالى وعن وجود بدء العالم فقد وجد العالم في غير زمان. فلا نقول من جهة الحقائق إن الله تعالى موجود قبل العالم، لأن القبلية من صيغ الزمان، ولا زمان في وصف الله تعالى. ولا نقول إن العالم موجود بعد وجود الله تعالى، إذ لا بعدية في وصف الله تعالى. ولا نقول إنه موجود مع وجود الحق تعالى، فإن الحق تعالى هو الذي أوجده ولم يكن شيئاً.

ولكن نقول: الحق تعالى موجود بذاته. والعالم موجود بالحق تعالى. فإن سأل متوهم متى كان وجود العالم من وجود الحق تعالى. قلنا: متى سؤال عن زمان، والزمان من عالم النسب. وهو المخلوق لله تعالى. فهذا سؤال باطل حجبت أدوات التوصيل إلى الأفهام هذا السائل عن تحقيق هذه المعاني.

فلم يبق إلا وجود صرف خالص، لا عن عدم. وهو الوجود الحق تعالى. ووجود عن عدم، وهو وجود العالم. ولا بينية بين الوجودين، ولا امتداد إلا التوهم الذي يحيله العلم، ولا يبقى منه شيء. ولكن يقال وجود مطلق. ووجود مقيد. ووجود فاعل. ووجود مفعول هكذا أعطته الحقائق.

والله أعلم.

مسألة (٩٧)

إن الاختراع لا يصح حقيقة إلا في حق العبد، وأما الرب تعالى. فلا يصح حقيقة الاختراع في حقه. وذلك أن المخترع على الحقيقة لا بد أن يخترع أولاً في نفسه مثل ما يريد إبراز عينه. ثم بعد ذلك يبرز عينه على صورة ما اخترعه في نفسه. والرب تعالى لم يزل عالماً بالعالم أزلاً وأبداً. فما اخترع في نفسه شيئاً لم يكن عالماً به. فإذا الرب مخترع للعالم بالفعل. لا أنه مخترع مثاله في نفسه الذي هو صورة علمه تعالى أزلي ليس بمخترع. فحقق ما قلناه. وقل بعد ذلك ما شئت. فإن شئت أن تصفه بالاختراع وعدم المثال فصفه. وإن شئت نفى هذا فانفه. ولكن بعد فهم ما علمتكم به من الحقائق. فتحقق هذه المسألة. فإنها من أغمض المسائل.

والله أعلم.

مسألة (٩٨)

اعلم أنه لما شاء الحق تعالى من حيث أسمائه^(١) الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى

(١) في (م): (أسمائه).

أعيانها في كون جامع لجميع حقائق الأشياء. لكونه متصفاً بالوجود ويظهر به سره إليه. فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرأة. فإنه تظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه، مما لم تكن تظهر له من غير وجود هذا المحل، ولا تجليه له.

وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه. فكان كمرأة غير مجلوة. ومن شأن الحكم الإلهي أنه ما سوى محلاً إلا ولا بد أن يقبل روحاً إلهياً عبر عنه بالنفخ فيه. فافتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح صورة العالم، المعبر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير.

فكانت الملائكة كالقوى الروحانية والحسية، التي في النشأة الإنسانية. فسمى آدم عليه السلام إنساناً لعموم نشأته. وحصر الحقائق كلها. لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر. فيه نظر الحق تعالى إلى العالم فرحمهم. وسماه خليفة لأنه استخلفه في حفظ العالم ما دام فيه. كالحتم على خزانة الدنيا. وانتقل الأمر إلى الآخرة فكان ختماً أبدياً والله أعلم..

إلهي كيف أوحدك ولا وجود لي في عين الأحدية، وكيف لا أوحدك والتوحيد محض العبودية. سبحانك. ما وحدك سواك. ولا عرفك إلا ببايك. بطنت وظهرت. لا عنك بطنت، ولا لغيرك ظهرت.
والله أعلم.

مسألة (٩٩)

اعلم أن الوجود من حيث هو هو عين الوجود الخارجي، غير مقيد بالإطلاق والتقييد. ولا هو كلي ولا هو جزئي. ولا عام ولا خاص. ولا هو واحد بالوحدة الزائدة على ذاته ولا كثير. بل تلزمه هذه الأشياء بحسب مراتبه ومقاماته. المنبه عليها بقوله تعالى ﴿رفيع الدرجات﴾^(١) فيصير مطلقاً ومقيداً. وكلياً وجزئياً. وعماماً وخاصاً. وواحداً وكثيراً. من غير تغيير في ذاته وحقيقته. وهو أظهر من كل شيء تحقّقاً وذاتية، وأخفى من جميع الأشياء ماهية وحقيقة ولا يتحقق شيء في العقل ولا في الخارج إلا به.

إذ هو الذي يتجلى في مراتبه، ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين، فيسمى بالماهية والأعيان الثابتة. وذلك لأن للأسماء الإلهية صوراً ثابتة في علمه تعالى. لأنه عالم

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ١٥، مكة.

بذاته وأسمائه وصفاته. وتلك الصور العلمية من حيث إنها عين الذات يقيّن خاص ونسبة متعينة. هي المسماة بالأعيان الثابتة. سواء كانت جزئية، أو كلية في اصطلاح أهل الله تعالى. وتسمى كلياتها بالماهيات والحقائق، وجزئياتها بالهويات. وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس، والتجلي الأول. بواسطة الحب الذاتي. وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، ظهورها وكمالها فإن الفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس. وإلى الفيض المقدس. فبالفيض الأقدس تحصل الأعيان واستعداداتها الأصلية في العلم الإلهي.

وبالفيض المقدس تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. وذلك الطلب مستند^(١) أولاً، إلى الاسم الأول الباطن ثم بهما إلى الاسم الآخر والظاهر. لأن الأولية والباطنية ثابتة الوجود العلمي. والآخريّة والظاهريّة ثابتة الوجود العيني. وقد نبّه سبحانه وتعالى أنه عين كل شيء بقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخِر والظاهر والباطن﴾^(٢).

فكونه عين كل شيء فبظهوره في ملابس أسمائه وصفاته في عالمي علمه وعينه. وكونه غيرها فباختفائه في ذاته، واستعلائه بصفاته عن مشابهة خلقه. وتنزّهه عن الحصر والتعين، وإيجاده للأشياء، واختفائه فيها مع إظهاره إياها.

واعلم أن الماهيات صور كمالات الحق تعالى، ومظاهر أسمائه وصفاته. ظهر أولاً في العلم ثم في العين. فتكثر بحسب الصور وهو على وحدته الحقيقية، وكمالاته السرمدية، وهو يدرك حقائق الأشياء، بما يدرك حقيقة ذاته. لا بأمر آخر كالعقل الأول وغيره. لأن تلك الحقائق عين ذاته حقيقة وإن كانت غيرها تعيناً، ولا يدركه غيره. فإذا علمت أن الوجود هو الحق تعالى علمت سر قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٣). ﴿ونحن أقرب إليه من جبل الوريد﴾^(٤). ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٥).

وكذلك: «كنت سمعه وبصره»^(٦).

وأمثال ذلك من الأسرار المنبهة للتوحيد بلسان الإشارة.

والله أعلم.

(١) في (م): (مستنداً).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية ٣، مدنية.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية ٤، مدنية.

(٤) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ١٦، مكة.

(٥) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية ٢١، مكة.

(٦) سبقت الإشارة للحديث.

مسألة (١٠٠)

اعلم أن الحق تعالى بحسب كونه ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١). له شؤون وتجليات في مراتب إلهية. وله أيضاً بحسب شؤونه ومراتبه الإلهية أسماء وصفات إيجابية أو سلبية. وكل منها نوع من الوجود، سواء كانت إيجابية أو سلبية. وليست إلا تجليات ذاته بحسب مراتبه الإلهية. وهي أول كثرة وقعت في الوجود. وهي برزخ بين الحضرة الأحادية الذاتية، وبين المظاهر الخلقية. لأن ذاته تعالى اقتضت بذاته بحسب مراتب الألوهية والربوبية صفات^(٢) متعددة، متقابلة، متخالفة. كاللطف والقهر، والرحمة والغضب، والرضى والسخط، وغيرها. وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية. والله أعلم.

مسألة (١٠١)

اعلم أن الصفات تنقسم إلى ما له الحيغة التامة الكلية، وإلى ما لا كون له الحيغة الكلية. وإن كانت هي أيضاً محيطة بأكثر الأشياء. فالأول هي الأمهات للصفات، المسماة بالأئمة السبعة، وهي الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة. وباقي الصفات السبع^(٣). وهذه الصفات السبع^(٤) وإن كانت أصولاً لغيرها من الصفات لكن بعضها أيضاً مشروط بالبعض الآخر في تحققه. أو العلم مشروط بالحياة والقدرة والإرادة مشروطان بهما. والثلاثة الباقية مشروطة بالأربعة المذكورة. والأسماء أيضاً تنقسم بنوع من القسمة إلى أربعة أسماء هي الأمهات. وهي الأول والآخِر والظاهر والباطن، ويجمعها الاسم الجامع وهو الله الرحمن. والله أعلم.

مسألة (١٠٢)

اعلم أن رتب الأسماء ثلاث: ذاتية، ووصفية، وفعلية. لأن الإله إنما يطلق على الذات باعتبار نسبة وتعيين. ذلك الاعتبار إما أمر عدمي نسبي محض، كالغنى والأول والآخِر. وإما غير نسبي كالقدوس والسلام.

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩، مدنية.

(٢) في (م): (صفاء).

(٣) في (م)، (س): (السبعة).

(٤) في (م)، (س): (السبعة).

ويسمى هذا القسم أسماء الذات.

وأما معنى وجودي يعتبره العقل. من غير أن يكون زائداً على الذات فإنه محال. وهو إما أن يتوقف على وجود الغير كالحمي والواجب، وإما أن يتوقف على تعقل الغير دون وجوده كالعالم والقادر، وتسمى هذه الأسماء الصفات.

وإما أن يتوقف على وجوده كخالق والرازق. وتسمى هذه أسماء الأفعال. والله أعلم.

مسألة (١٠٣)

في إزاحة إنكار الأدباء على المتكلمين في استعمال لفظة الذات. حيث إن الذات تأنيث. والتأنيث لا يليق ذاته ولا معناه بجلال الله تعالى. والذي يزيح شبهتهم أن المتكلمين عن المعنى اللغوي العرفي بمعزل فلا يتوجه عليهم إنكار اصطلاحهم. إذ التعبير عن الذات منقول عن السلف الصالح منه قول خير الأمة: (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فإنكم لم تقدروا قدره)^(١).

فما من شيء إلا وله حقيقة، ومعناها هو المتبادر من لفظ ذاته، أو نفسه، أو عينه، أو وجهه، أو اسمه، أو حدّه، أو نحو ذلك. والله أعلم.

مسألة (١٠٤)

للأشعرية: في حد المثليين والغيريين.

أما المثلان: فهما الموجودان اللذان يجب لكل واحد منهما ما يجب للآخر من صفات النفس.

وقيل: هما اللذان يشتركان فيما يجوز ويستحيل.

وقيل: هما اللذان يسد كل واحد منهما مسد الآخر.

وأما الغيران: فهما الموجودان اللذان يجوز مفارقة أحدهما للآخر بزمان، أو مكان، أو وجود، أو عدم. والله أعلم.

(١) حديث: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لم تقدروا قدره». أخرجه عبدالله بن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج ٧ ص ٩٥ ط. دار الفكر.

وقلت:

فَالْعِلْمُ أَشْرَفُ مَا تُؤْتِيهِ مِنْ مَنَحٍ وَالشُّنْعُ أَعْظَمُ مِنْهَاجٍ وَأَوْضَحُهُ
فَإِنَّ سَأَلْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ فِي طَلَبِ فَاسْأَلْهُ كَشْفًا فَإِنَّ اللَّهَ يَمْنَحُهُ
وَأَوْزِمِي الطَّرِيقَ إِنَّ الْجَبَابَ أَغْلَقَهُ دَعْوَى الْكَيَّانِ وَجُودَ اللَّهِ يَفْتَحُهُ

مسألة (١٠٥)

اعلم أن من استوهب من الواهب المواهب وهب على كل حال. ومن استوهب من غيره فإنه مستوهب من محال.

مسألة (١٠٦)

فأنت للحق تعالى بمنزلة الجد لك. والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة لجدك. والله أعلم.

مسألة (١٠٧)

اعلم أن الأصل في العالم قبول أوامر التكوين فيما يراد تكوينه فيه ومنه. والعصيان أمر عارض. وفي الحقيقة ما أطاع الله أحد، ولا عصاه أحد. بل الأمر كله لله. قال: ﴿وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(١). والله أعلم.

مسألة (١٠٨)

في بيان معنى التوحيد الموتى. اعلم أن الموت ينكشف به الغطاء، ويتبين الحق لكل أحد. ولكن ذلك الكشف في ذلك الوقت في العموم لا يعطي سعادة، إلا لمن كان من العامة عالماً به. ثم إن الناس في دار الدنيا ثلاثة أصناف:
- صنف علموا الحق علماً، وهم العامة.
- وصنف علموا الحق عيناً، وهم أصحاب الكشف.
- وصنف عموا عن الحق بالكلية.
فإذا انكشف الغطاء بالموت انتقل أهل العلم من العلم إلى العين، وانتقل أهل العين من

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ١٢٣، مكة.

العين إلى الحق، وانتقل أهل العمى من العمى إلى الإبصار. لا عن تقدم علم فلا بد من مزيد لكل طائفة عند كشف الغطاء.

ولهذا الاعتبار يصح قول من قال: «لو كُشِفَ الغطاء ما ازدادت يقيناً»^(١).

بمعنى من علمه إن كان ذا علم، أو من عينه إن كان ذا عين، لا أنه لا يزيد عند كشف الغطاء أمرٌ لم يكن عنده. لأنه لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثاً معزى عن الفائدة. فما كان الغطاء إلا وراءه أمر وجودي لا عدمي. والله أعلم.

مسألة (١٠٩)

اعلم أن كلمات الحق تعالى ليست سوى أعيان الممكنات الموجودة. فينسب إليها القدم من حيث وجودها وثبوتها في العلم القديم. وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها في الخارج.

ولذلك قال الله تعالى في كلامه العزيز مع أنه قديم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾^(٢). والله أعلم.

مسألة (١١٠)

اعلم أن المختار هو الذي يفعل فعلاً ما إن شاء، ويترك إن شاء. وسبق العلم بالفعل أو الترك، يخيل وقوع ما لم يسبق به العلم، وإذا المضطر هو المجبور على الفعل. فإذا لا اضطرار ولا جبر ولا اختيار.

فتفهم هذه المسألة فإنها غامضة. وقل من يفهمها. والله أعلم.

مسألة (١١١)

اعلم أن اليقين له، باعتبار نشأته الكاملة، أربع مراتب. فأولها: مرتبة العلم. ثم مرتبة العين. ثم مرتبة الحق. ثم مرتبة الحقيقة.

(١) هذا قول لأبي يزيد البسطامي مشهور في كل كتب التصوف. ولكن ابن عربي كثيراً ما يورده في جل كتبه ومواضع كثيرة من الفتوحات.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢، مكة.

فعلمه، وعينه، وحقه كتابية. وحقيقته سنية.

فاليقين من أول مراتبه: اسم جامع بين العلم والطمأنينة. وقد يشتق من يقن الماء في الإناء، إذا استقر فيه. فاليقين بهذا الاعتبار استقرار الإيمان في قلب المؤمن. ومن المعلوم أن اليقين الذي هو في مرتبة العلم بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، كان مستقراً في قلب خليل الرحمن، عليه السلام، حين سأل^(١) ربه كيفية إحياء الموتى. وإنما كان مطلوبه الطمأنينة، التي تعطىها مرتبة العين. ولأن السكون الذي هو الطمأنينة أمر زائد على العلم، فينبغي أن يطلب لأنه لم يكن أحد أثبت قلباً في اليقين من سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. ومع هذا فقد أخبر أنه كان يتعلم اليقين. وقد أمره الله تعالى بطلب الزيادة من العلم. وقال له ربه سبحانه: ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٢).

والعلم على كل حال لا بد أن يستند إلى اليقين. لأن اليقين روح العلم والطمأنينة حياته. فكان، (صلى الله عليه وسلم)، لا يزال يطلب الزيادة من العلم. فكان لا يزال يتعلم اليقين لارتباطه به. فينبغي للعاقل أن لا يزال يسأل الله تعالى الزيادة من العلم المرتبط باليقين.

واعلم أنه لما كان فلك اليقين متسعاً عالياً فكذلك لا يظهر له أثر ظاهر، إلا عند القليل من المتروحين من البشر بعلو همهم. فإن همهم حازت عليه في فلكه. واعلم أن الحق تعالى لا يمكن أن يوصف باليقين للحوقه بالنشأة. بخلاف العلم فإنه يوصف به.

واعلم أن اسم العلم مشترك، وكذلك اسم العين، وكذلك اسم الحق فلأجل ذلك. أضيفت كل واحدة منها إلى اليقين لتمييز به من غيره.

واعلم أنه ليس بأيدي الناس اليوم منه اليقين لاسمه إلا الأفراد منهم. ولذلك لا تجد أحوالاً وهو يشك في المقدور إما بعقده، وإما بحالة ضرورية. وأدناه مرتبة الشك في الرزق. الذي وقع القسم من المولى تعالى بضمائه. ولم يشترط في إعطائه إيماناً ولا طاعة. ومع هذا القسم والضمان لم يحصل في النفس من اليقين لا حقيقة، ولا حق، ولا عين، ولا علم. فإننا لله وإنا إليه راجعون في هذه المصيبة التي عمت الكافة إلا القليل. والله أعلم.

(١) في (م): (سأله).

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤، مكة.

مسألة (١١٢)

اعلم أن حقيقة العبودية تقتضي طاعة المعبود ومحبته. فلما علم الله تعالى أن الخلق لا يصلون إلى الصافي من طاعته ومحبته أوجد لهم بشراً من جنسهم وأقام طاعته مقام طاعته. فقال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(١).

وأقام متابعتها مقام متابعتها. ومحبته مقام محبته فقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾^(٢).

اعلم أن الحق تعالى من حيث أحدىته لا اسم له ولا نعت ولا صفة. كما قال «علي»، كرم الله وجهه: (كمال الإخلاص نفي الصفات عن الحق تعالى).

وأما عند التجلّي فإنه يتجلّى لكل أحد بصورة معتقده. ولذلك أجاب الإمام «أبو القاسم الجنيد»^(٣)، رحمه الله تعالى حين سُئل عن المعرفة بالله، والعارف به، فقال: «لون الماء لون إنائه».

أي أن الحق تعالى لا يتجلّى بصورة المعرفة إلا بحسب استعداد المتجلّي له. وهو جواب محكم مطابق لما في نفس الأمر. لأن الماء لا لون له ويتلون بلون أوعيته الشفافة. فكذلك الحق تعالى لا تعين له يحصره ويتعين بحسب الاستعدادات والقابليات. فمن عرف أن الحق تعالى هو المتجلّي في صور الأعيان وصور الأذهان بحسب استعداداتها وقابلياتها، سلم لكل ذي اعتقاد اعتقاده وعرف أن الله تعالى هو الظاهر بها، وآمن به فيها، وكان من أصحاب السعادة العظمى. فالمتعقد بالاعتقاد الخاص ظاناً، وليس بعالم. إذ لو كان عالماً عارفاً لعرف الله تعالى في جميع الصور والاعتقادات. ولذلك قال الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي)^(٤).

أي لا أظهر له إلا بصورة معتقده. فإن شاء أطلق وعبد الإله المطلق، الذي يظهر بكل

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ٨٠، مدينة.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٣١، مدينة.

(٣) أبو القاسم الجنيد: أصله من نهاوند. ولد ونشأ بالعراق، أبوه كان يبيع الزجاج لذا فإنه يلقب أحياناً بالقرابيري. وهو ابن عشرين سنة صاحب الزاهد الكبير (السري السقطي) خاله. وكذلك صحب الحارث الحماسي، ومحمد بن علي القصاب فتركوا فيه أثراً كبيراً جملة فيما بعد من أئمة القوم. وقد توفي سنة ٢٩٧هـ.
انظر: الرسالة القشيرية، ص ٢٠، الطبعة الثانية ١٩٥٩، القاهرة.

(٤) حديث: «أنا عند ظن عبدي بي» أخرجه ابن حزم في المحلى عن الطبراني والحاكم ج ١ ص ٧٢ ط. دار الفكر - بيروت والدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٠٥ ط. مطبعة الاعتدال - دمشق. والبخاري في صحيحه ج ٨ ص ١٧١ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ط. دار الفكر العربي.

المظاهر والمجالي. وإن شاء فيه بصورة معينة يعطيها استعدادها. فإنه المعتقدات تأخذه الحدود لأنه معين مقيد. وهو الإله الذي وسعه قلب عبده. والإله المطلق لا يسعه شيء. لأنه عين كل شيء، وعين نفسه. والشيء لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها.

واعلم أن القلب معين مكثف بعوارض^(١) تعينية، وحدود شخصية. فلذلك لا يدرك إلا مثله. ولا يسع إلا ما هو معين مقيد مثله. والإله المطلق جلّ عن الحدود، وعزّ عن الإحاطة. فلا يسعه شيء وكيف يسعه شيء وهو عين الأشياء، ولا شيء غيره، فافهم ترشد. ولا يقال: هذا يناقض القول بأن العارف يسع الحق. لأن كون قلب العارف يسع الحق تعالى إنما هو بحسب التجلي. والتجلي لا يكون أبداً إلا بصورة اعتقاد المتجلي له. والمتجلي له عين مقيدة، فلا يمكن أن يتجلى له الحق تعالى بجميع أسمائه وصفاته دفعة. وإن كان قلب الكامل قابلاً لجميع التجليات الأسمائية. لكن لا يتجلى له الحق تعالى بجميعها دفعة، ولا له قابلية لذلك. والله أعلم.

مسألة (١١٣)

اعلم أن من استرسل مع إطلاق التوحيد، ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة. ولكن الشأن أن تكون بالحقيقة مؤيداً وبالشريعة مقيداً. واعلم أنه لا يدل على علم العبد كثرة عمله، ولا مداومته على ورده، وإنما يدل عليه رجوعه إلى ربه، بقلبه. وتحزبه من رق الطمع، وتحليه بحلية الورع. ولذلك قال «الحسن البصري»^(٢): «ملاك الدين الورع، وفساد الدين الطمع». والله أعلم.

مسألة (١١٤)

اعلم أن من وقف عند الإضافات والنسب عثر على الأمر على ما هو عليه.

(١) في (م): (بعوارض).

(٢) الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن البصري. غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له. كما يقول الشعراني في طبقاته. وكان البصري يقول: لسان الحكيم من وراء قلبه، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه كل ما أتى على لسانه تكلم به. ومن أقواله أيضاً: المحب سكران لا يفتق إلا عند مشاهدة محبوبه.

انظر ترجمته في طبقات الشعراني، ص ٢٥، ج ١، المكتبة التوفيقية.

واعلم أن السعادة في الإيمان لا في العلم. والكمال في العلم، فإن جمعت بينهما، فأنت إذا أنت. ما فوقك غاية.
والله أعلم.

مسألة (١١٥)

اعلم أن الابتلاء أصله الدعوى. فمن لا دعوى له لا ابتلاء يتوجه عليه. ولهذا ما كلفنا الله تعالى حتى قال لنا: ﴿ألست بربكم﴾^(١).
فقلنا: «بلى». فأقرنا بربوبيته لنا، وعبوديتنا له. والعبودية تطلب بذاتها طاعة السيد. فلما ادعينا ذلك كلفنا حينئذٍ لبيتي صدقنا فيما ادعينا.
والله أعلم.

مسألة (١١٦)

اعلم أن الهوية الإلهية هي التجلية بالصفات الحياتية لا غيرها. فظهرت أولاً في النفس الرحماني. ثم بواسطته في كل شيء. ولأجل سريان هذه الحياة الذاتية في الماء، جعل الله منه كل شيء حي. وهذا الماء الذي هو أصل كل شيء إنما هو النفس الرحماني المسمى بالهيولى الكلبي، والجوهر الأصلي. الذي كان عرش الله تعالى عليه. لا الماء المتعارف. وإنما أطلق على النفس الرحماني اسم الماء مجازاً، لأنه مظهره فلذلك اتصف^(٢) بصفاته. فصار مادة لجميع ما في العالم الجسماني من نبات وحيوان.
والله أعلم.

مسألة (١١٧)

قال الله تعالى: ﴿فلله الحجة البالغة﴾^(٣).
أي: التامة القوية على خلقه فيما يعطيهم من الطاعة، والإيمان، والكفر، والعصيان. لا لخلقهم عليه حجة. إذ ما يعطيهم إلا ما طلبوا منه بلسان استعداداتهم، وقابلياتهم. فما قدر

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٧٢، مكة، ونسها: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

(٢) في (م): (الصف).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٤٩، مكة، ونسها: ﴿قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾. وهي في الأصل جاءت، ولله الحجة البالغة، ولولا أن ابن عربي سبقها بـ (قال الله تعالى) لتركها ولاحتسبتها من نص حديثه خوفاً من اللبس.

على الكافر الكفر ولا على العاصي المعصية إلا باقتضاء أعيانها بذلك. وطلبهما بلسان استعدادهما أن يجعلهما على ما برزا عليه من كفر أو معصية. كما طلبت عين الكلب صورته، والحكم عليه بالنجاسة العينية. باقتضاء ذاته ذلك.

فإن قلت الأعيان الثابتة واستعداداتها حصلت في العلم بالفيض الأقدس. فالحق تعالى جعلها كذلك. قلت:

الأعيان الثابتة ليست مجعولة، بل هي صور علمية للأسماء الإلهية التي لا تأخر لها عن الحق تعالى إلا بالذات لا بالزمان. وهي أزلية أبدية. والله أعلم.

مسألة (١١٨)

اعلم أن الرسل من حيث إنهم رسل لا يعطون من العلم لأمتهم إلا على قدر استعداداتهم وقابلياتهم. لا يمكن أن يكون زائداً عليه، ولا ناقصاً منه. لأنهم مبلغون مبيّنون لأمتهم، أحكام أفعالهم المتعلقة بمصالح دنياهم وأخراهم.

وأما من حيث إنهم أولياء ففانون في الله تعالى. وأما من حيث إنهم أنبياء وعارفون فعلمهم بحسب استعداداتهم وقابلياتهم. (صلى الله عليهم وسلم). والله أعلم.

مسألة (١١٩)

اعلم أن الحق تعالى رحم الأعيان الطالبة لظهورها، ولوازمها، وتوابعها، وأحكامها. فأوجدها في الخارج كما أوجدها أولاً في العلم. فالرحمة سابقة على كل شيء، ومحيطة بكل شيء. فالوجود عين الرحمة الشاملة بجميع الموجودات. ومن جملة الأعيان عين الغضب. وما يترتب عليه من الآلام والحزن وأمثالها. مما لا يلائم الطباع. فوسعت الرحمة له كما وسعت لغيره. فعين الغضب من رحمة الله تعالى. فنسبة الغضب ولوازمه ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق، والرحمة التامة. فتسمى شراً ونقمة. وإليه أشار رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، بقوله: (الشّر ليس إليك)^(١).

ومن أمعن النظر في لوازم الغضب من الآلام والحزن، والفقر، والجهل، والموت، وجدها

(١) حديث: «الشّر ليس إليك». انظره في فقه السنة. الشيخ سيد سابق ج ١ ص ١٤٦ ط. دار الكتاب العربي - بيروت وفي شرح الأسماء الحسنی للملا هادي السيزوري ج ٢ ص ٧٨. ط. مكتبة بصيرتي.

كلها أموراً عدمية. فالرحمة ذاتية للحق تعالى ولوازم الغضب أمور عرضية نشأت عن أسباب أمور عدمية.
والله أعلم.

مسألة (١٢٠)

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: «فلما حيرتني هذه الحقيقة الإلهية أنشدت بحكم الطريقة للخليقة».

الرَّبُّ حَقٌّ وَالْمَعْبُودُ حَقٌّ يَا لَيْتَ شِغْرِي مَنِ الْمَكْلُوفِ
إِنْ قُلْتِ: عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ أَوْ قُلْتِ: رَبٌّ أَنِّي يُكْلَفِ
اعلم أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود وبوجود حقيقته، لا حول ولا قوة إلا بالله، ظهرت حقيقة الجود. وإلا إذا جعلت اللجنة خزانة لما عملت فأين حقيقة الجود الإلهي الذي عقلت.
وإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس إليك فكيف ترى عقلك؟
والله أعلم.

مسألة (١٢١)

اعلم أن الإحسان أعلى درجة في الإيمان. وأعلى الإحسان المشاهدة، وأدناه المراقبة. والمحسن من تحقق الصدق في دعوى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).
والصدق في هذه الدعوى إنما يكون بإخلاص لله تعالى وحده. فقولنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خطاب لموجود يشهد مع العبادة، ويراقب مع الاستعانة. لأننا مع المشاهدة نرى أفعال الله تعالى فينا، وفي غيرنا. ومع المراقبة نعلم أنه هو الذي أسمعنا ما نسمعه من أنفسنا، ومن غيرنا. وهو الذي أوجد حركاتنا وسكناتنا. وحركات غيرنا وسكناتهم.
فالمشاهدة على هذه الحالة رؤية تقع موقع العيان. والمراقبة: رؤية قلب.
ولا تتحقق العبادة ولا الاستعانة إلا ممن يعرف المشاهدة والمراقبة.
فمن أسلم، وآمن، وأحسن، فقد عرف معالم الدين الذي نزل به جبريل (عليه السلام) على رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، ليعلم الأمة معالم دينهم، ودنياهم. ولا يظفر بهذه الصفة إلا من أسلم وجهه لله وهو محسن.
والله أعلم.

مسألة (١٢٢)

إن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

فيه تنبيه على أن الشرك منتفٍ في نفس الأمر. إذ العين الواحدة الأحادية هي الظاهرة في كل من الصور. فجعل إحدى الصورتين شريكاً للأخرى. إشراك للشيء مع نفسه. وهو ظلم عظيم، فإن من شأن الشركة اتحاد العين المشترك فيها فيكون لكل واحد الحكم فيها على السواء وإلا فليس بشريك مطلقاً. وهذا الشريك الذي أثبتته الشقي، لم يتوارد مع الله تعالى على أمر فيه الاشتراك، فليس بشرك على الحقيقة، بخلاف المؤمن السعيد فإن أشرك الاسم الرحمن مع الاسم الله وبالأسماء كلها في الدلالة على الذات، وفي الجامعة للأسماء والصفات فكان أقوى من الشرك الأول.

- فإن الأول أثبت شريكاً بدعوى كاذبة.

- وهذا أثبت شريكاً بدعوى صادقة.

فففر لهذا المؤمن السعيد بصدقه في دعواه. ولم يغفر لذلك الشقي بكذبه في دعواه. والله أعلم.

مسألة (١٢٣)

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(٢).

أي: مقتضى خلقه وعينه دفعة واحدة. ثم جعله وديعة في ذلك الشيء، إلى أن يظهر في الحس. ثم ينزله في كل حين بقدر ما يشاء. وما يشاء إلا بما علم فحكم به. وما علم إلا بما أعطاه المعلوم من نفسه بحسب استعداده وقابليته. فالتوقيت في الأصل للمعلوم وللعلم. والقضاء والمشية. والإرادة تبع للقدر. يعني أن تعيين كل حال من أحوال الأعيان بوقت معين وزمان خاص، إنما هو في الحقيقة مقتضى الأعيان. فإنها باستعداداتها طالبة لذلك التوقيت.

فالعلم بسر القدر من أشرف العلوم وما يُفهمه الله تعالى إلا لمن اختصه بالمعرفة التامة.

والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية ١٣، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ٥٠، مكة.

مسألة (١٢٤)

اعلم أن لا يخفى على العقلاء أن البارئ سبحانه وتعالى منزّه عن قيام الأصوات والحروف بذاته. بل هو متكلم على الإطلاق بكلام القديم. هو صفة معنى اتصف به ذاته. لا يقال هو هو، ولا هو غيره، كعلمه وسائر صفاته تنزهه، وكلامه تعالى عن الصوت والحروف، والتقدم والتأخر. وكل كلام ظهر في الوجود محدث، وأنه خلق له، إذ هو القائل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^(١).

وكلامنا من أعمالنا فهو خلق له. يخاطبنا بكلامه، ويرد على نفسه بكلامه، من غير توهم تقدم وتأخر.

مثال ذلك أن يقول: ﴿أقم الصلاة﴾^(٢).

ولا بد لنا من الجواب، ولا قدرة لنا عليه ما لم يخلق الكلام لنا. فإذا أراد أن يجيب نفسه بفعله، خلق الكلام في قلوبنا ثم خلق العبارة عنه في ألسنتنا. فنقول عند ذلك: ﴿سمعنا وأطعنا﴾^(٣).

فيكون قد ردّ على نفسه الجواب بفعله. فيطلق عليه من قوله: ﴿أقم الصلاة﴾. إنه تكلم.

ويطلق عليه من قولنا: ﴿سمعنا وأطعنا﴾. إنه خالق الكلام لنا.

وقد توسع العبارة، ويسمى كلام الله تعالى ما دل على كلامه تعالى كقوله تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾^(٤).

فالكلام الذي صدر عن رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، ووقع في سمع الأعرابي من فعل الله تعالى، خلقه في قلب النبي، (صلى الله عليه وسلم)، ثم خلق العبارة عنه في لسانه. ففهم الأعرابي كلام الله القديم القائم بذاته سبحانه وتعالى، الذي هو صفته. والله أعلم.

مسألة (١٢٥)

اعلم أن النفس الناطقة مسماة بالكلية الرحمانية. وهو جوهر مجرد عن المادة متعلق

(١) القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية ٩٦، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٧٨، مدنية.

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٨٥، مدنية.

(٤) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٦، مدنية.

بالبدن تعلق التدبير. من شأنه إدراك العلوم والمعارف. وسبب تعلقها بالبدن لكون كمالاتها موقوفة على تعلقها به. ولا يمكن وصولها إلى ذلك إلا بواسطة الروح الحيواني، لأنها نور محض. والبدن كثيف مظلم. ولا مناسبة بين النور والظلمة. فاقتضى الجود الإلهي إفاضة جوهر بخاري حار لطيف متوسط بينهما. مناسب للنفس بما فيه من اللطافة. ومناسب للبدن لما فيه من قبول الصور والأشكال يسمى روحاً حيوانياً، متكون في تجويف القلب الجسماني من ألطف^(١) أجزاء الأغذية. وهو أول ما يكون من المنى. لأن بواسطته يحصل الحس والحركة لسائر الأعضاء. وهو أول متعلق النفس الناطقة. فتفيض عليه قوة تسري بسرياته إلى جميع أجزاء البدن وأعماقه. فتنتشر بواسطته في كل عضو من أعضاء البدن قوى تليق به ويكمل به نفعه. كل ذلك تقدير العزيز العليم.

مسألة (١٢٦)

قال الله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾^(٢).

لأنهم ما يصفون إلا بما تعطيه عقولهم فنزّه نفسه تعالى عن تنزيه العقول. إذ حدوده بذلك التنزيه. لأن المميز عن جميع الأشياء محدود بتميزه عنها. وذلك لقصور العقول الغير المنورة عن إدراك الحقائق الإلهية وشؤونها. وإنما استفادت العقول المنورة هذه المعاني بإعلام الله تعالى إياها لا بنفسها.

وإنما يظهر سرّ حقيقة ما قلناه وذكرناه لمن عرف سرّ معنى قول الله تعالى: ﴿إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم﴾^(٣). ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(٤).

وأمثال ذلك.

فإذا كان الحق تعالى عين هوية الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، كان التشبيه الذي في هوية الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، ثابتاً للتنزيه الذي في هوية الحق تعالى. وكان التنزيه الذي في هوية الحق تعالى ثابتاً للتشبيه الذي في هوية الرسول، (صلى الله عليه وسلم).

(١) في (م): (اللطيف).

(٢) في (م): (سبحانك). ومثلاً شرحت في آية سابقة يبدو أن الناسخ يسهو كثيراً. وهي آية رقم (١٨٠) من سورة الصافات، مكة.

(٣) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية ١٠، مدنية.

(٤) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية ٨٠، مدنية.

ولهذا قلنا بالتشبيه في عين التنزيه، وبالتنزيه في عين التشبيه، إذ هوية الحق تعالى المنزهة هي التي ظهرت في صورة الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، المشبهة. والصورة المشبهة هي التي كانت منزهة في المرتبة الأحدية. فافهم.

مسألة (١٢٧)

اعلم أن الأشياء الموجودة تشهد لصاحبها بالصفة وتقر على نفسها بالحدوث ولبارئها بالقدم. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾^(١). ولم يقل ولكن لا تسمعون تسبيحهم. لأن تسبيحهم يفهم ولا يسمع. والله أعلم.

مسألة (١٢٨)

اعلم أنه ليس في الوجود ذرة إلا وهي دالة بجواز وجودها على وجوب وجودها. وكذلك أيضاً ليس في الوجود ذرة إلا وقد تعلق علم الله تعالى بها كشفاً. وإرادته تخصيصاً، وقدرته إيجاداً وإعداماً. وصفاته تعالى قائمة بذاته لا تقبل الانفصال عن ذاته ولا القيام بغير ذاته.

مسألة (١٢٩)

اعلم أن كل شخص له قوة كن في باطنه، وليس له منها في ظاهره إلا الفعل المضاد. وهي لكل أحد في الجنة. وقد تعطى لبعض الناس في ظاهره في الحياة الدنيا. فمن رجال الله تعالى من أخذها وفعل بها. ومنهم من لم يفعل بها وهم الأدياء مع الله تعالى. وإنما يفعلون بسم الله الرحمن الرحيم ليتقوا بها عن مشاركة الشيطان لهم في أفعالهم. ويسلبون دعوى مشاركة الأسباب للحق تعالى في أفعاله. والله أعلم.

مسألة (١٣٠) (*)

في معرفة آياتنا العلويات، وأمهاتنا السفليات. اعلم أن كل مؤثر أب، وكل مؤثر فيه أم، والمتولد بينهما ابن. فالأرواح كلها آباء،

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكية.

(٥) حتى هذه المسألة (١٣٠) انتظام في أعداد وأرقام المسائل في النسخة (س). لكن الترتيب يضطرب فيها بعد ذلك. وهذا بالإضافة إلى عدم اكتمال النسخة (س) والتي تتوقف أو تنتهي عند المسألة رقم (٢٥٥) في كتاب المعرفة وهي في النسخة (س) تنتهي عند رقم (٢٢٣).

والطبيعة أم. وهي التي ظهرت عنها الأركان. وهي النار، والهواء، والماء، والتراب. ويتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان ظهرت المولدات التي هي المعادن، والنبات، والحيوان، والجن، والإنسان. فأول الآباء العلويات معلوم. وأول الأمهات^(١) السفليات شيعية المعلوم الممكن، وأول نكاح القصد بالأمر. وأول ابن وجود عين تلك الشيعية. وهو أب ساري الأبوة^(٢). وتلك أم سارية الأمومة. وذلك نكاح سارٍ في كل شيء، وذلك نتيجة دائمة. لا تنقطع في حق كل ظاهر العين. فهذا عندنا يسمى النكاح الساري في جميع الذراري. ثم أول موجود أبدعه الله تعالى العقل الأول. وهو القلم الأعلى، وكان أول مؤثر فيه انبعاث اللوح المحفوظ عنه. كانبعث حواء^(٣) عن آدم، عليه السلام، ليكون ذلك اللوح محلاً لكتابة العلم الإلهي فيه. فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعثي، يخط القلم في اللوح، ما أملى عليه الحق تعالى من علمه في خلقه، الذي يخلق يوم القيامة. فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي. وما أودع الله تعالى في الأسرار من الأثر. مثال ماء الدافق، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني بمنزلة الأولاد. فخلق الله تعالى في اللوح صفة علم، وهي أب، وصفة عمل وهي أم. فظهرت عنها الصور الظاهرة الحية، وهي الأجرام، وما يتصل بها من الأشكال، والألوان، والأكوان، والصور الباطنية المعنوية. وهي ما فيها من العلوم والمعارف. والله أعلم.

مسألة (١٣١)

اعلم أن مشيئة الحق تعالى أحدية واحدية التعلق. وهي نسبة تابعة للعلم. والعلم نسبة تابعة للمعلوم. والمعلوم أنت وأحوالك. وليس للعلم أثر في المعلوم. بل للمعلوم أثر في العالم. وهو أنه يعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه. والله أعلم.

مسألة (١٣٢)

متى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن حسه. فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله إذا رجع، ويعبر عنه فهو الحال الإلهي. ويجد القلب عند الإفاقة سروراً. وشرط صحة هذا الحال أن لا يكون معه حركة. وأما الحال الكاذب فهو الذي يعقل صاحب أهل مجلسه ولم يغب عن حسه ويتحرك.

(١) في (م): (الآباء).

(٢) في (م): (سار الأبوة).

(٣) في (م): (حوى).

فهذا صاحب وسوسة. وحديث نفس سخرية الشيطان. فكل ما يلقي إليه يتخيل أنها علوم، وهي سموم قاتلة، فلا يعول على ما يخاطب به في هذه الحالة فإنها شيطانية. وليس في القوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ويلقي إليه وتعقل عنه. واعلم أن مخاطبة الحق تعالى لا ترك إحساساً وليست بالوهم ولا بالتخيل. فافهم ذلك. والله أعلم.

مسألة (١٣٣)

اعلم أن العبد إذا أثنى على الله، بما يعتقد أنه ثناء، وكان موضوعه ثناءً على الله تعالى، صدّقه الله تعالى عليه، ويقبل منه، وأثابه عليه. سواء علم معنى ذلك أو لم يعلم. ولكن ثناء العالم بمعناه أتم، وثوابه أعظم. مثال ذلك قول العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾^(١) فإنه قد ثبت أن العبد إذا قال في صلاته: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي^(٢).

وقوله تعالى: حمدني عبدي، وأثنى عليّ عبدي تتضمن للتصديق، والثناء، والقبول. وأما الثواب، فأبي ثواب أعظم من تصديق الله تعالى وثناؤه عليه.

وأما إذا أثنى العبد على الله تعالى بوصف يتضمن ضد الكمال فإنه يكفر به. سواء كان يعتقد أنه كمال أو لا يعتقد أنه كمال. مثال ذلك قول اليهود: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾^(٣).

وقولهم: ﴿عزير ابن الله﴾^(٤).

وكذا قول النصارى: ﴿المسيح ابن الله﴾^(٥).

وأما من أثنى على الله تعالى بوصف لا يعلم أنه وصف كمال فقد قال بعض الأئمة:

«إن الله تعالى لا يقبل منه هذا الثناء، ولو كان هذا الوصف يتضمن الثناء ويكون أصد^(٦) في جملة المنهين». بقوله تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾^(٧).

(١) القرآن الكريم، سورة الفاتحة، الآيات (٢، ٣)، مكة.

(٢) الحديث: ذكر في الموطأ، باب القراءة خلف الإمام حديث رقم (١١٤) عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن. انظر: ص ٥٩، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ١٨، مدنية.

(٤) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٣٠، مدنية. وهي في (م): (العزير).

(٥) «وقالت النصارى المسيح ابن الله» استكمال الآية. رقم (٣٠) من سورة التوبة.

(٦) غير واضحة في (م).

(٧) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٣٢، مكة.

مسألة (١٣٤)

الحمد لله الذي لم يزل يعطف الأبد المعقول على الأزل الذي أنطق السنة عباده بالأزلية، فتنة. فثبت بها من ثبت وزل بها من زل. يعني أنهم ينعنون بالأزلية وأكثرهم لا يعرفون معناها.

- فطائفة من النظار توهموا في لفظة الأزل:

أن نسبتها إلى الله تعالى نسبة الزمان إلينا. فهو في الأزل كما نحن في الزمان. فيقولون: «قد كان الله تعالى متكلماً في الأزل بكلامه الأزلي. وقال لموسى في الأزل: ﴿اخلع نعليك﴾^(١) وشبه ذلك».

- وطائفة أخرى تخيلت في الأزل أنه مثل الخلاء امتداد معقول. فكما أن الخلاء امتداد في غير جسم، كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان. فكأنه تقدير زمان. - فنقول: هذا الأزل الذي نعتم الحق تعالى به، لا يخلو إما أن يكون وجوداً أو عدماً. * فإن كان عدماً فقد نعتم الحق تعالى بالعدم. والعدم نفي محض يتعالى الحق تعالى أن ينعت به.

* وإن كان وجوداً فلا يخلو إما أن يكون نفس الحق تعالى أو غيره.

فإن كان نفس الحق تعالى فقد أخطأتم في الاسمية حيث لم يطلقها الحق تعالى على نفسه.

وإن كانت غيره فلا تخلو: إما أن تكون قائمة بنفسها أو بغيرها. فإن كانت قائمة بنفسها بطلت الوجدانية لله تعالى، ووحدانيته ثابتة لذاتها فلا تبطل.

وإن كانت^(٢) قائمة بغيرها فلا يخلو ذلك الغير: إما أن يكون نفس الحق تعالى أم لا.

وإن كان نفس الحق تعالى فهو كعلمه وسائر صفاته. وهي متصفة بالأزلية. فيرجع الأزل منعوتاً بالأزلية ويتسلسل. وإن كان الذي يقوم به الأزل غير نفس الحق تعالى، فقد أثبتتم قديماً آخر، وبطل دليل الوجدانية. فبطل وصفكم الحق تعالى بالأزلية. وثبت أنه ما ثم أزل أصلاً.

فوصف الحق تعالى بالأزل موضع مزلة أقدام النظار، وقد عقلها أكثر الناس. وكان

(١) وهو ما تضمنته الآية الكريمة: ﴿إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾. آية رقم (١٢) من سورة طه، مكة.

(٢) في (م): (كان).

الواجب عليهم أن لا يطلقوا على الحق تعالى من الألفاظ إلا ما أطلقه الحق تعالى على نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، (صلى الله عليه وسلم).
لأن الأزل مشتق من زل أو زلق ولم يثبت فلكثرة ما تزل أقدام الناظرين فيه، إلا من رحم ربك فلا يسمى أزلاً.
والله أعلم.

مسألة (١٣٥)

اعلم أن الممكنات مفتقرة بالذات، فلا يزال الفقر يصحبها دائماً. وقد وضعت لها الأسباب التي فيها مصالحها فافتقرت إليها. فجعل الله تعالى أسماء الأسباب، أسماء الله تعالى. حتى لا يفتقر إلا إليه. فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي يقال في العرف وفي الشرع أنها أسماء الله تعالى. وبين أسماء الأسباب. إنها أيضاً أسماء الله تعالى. وقد قال الله تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾^(١).

ونحن نرى الواقع الافتقار إلى الأسباب. فلا بد أن تكون أسماء الأسباب أسماء الله تعالى. فندعوه بها دعاء الحال لا دعاء المقال. فإذا مسنا الجوع سارعنا إلى الغذاء المزيل لألم الجوع وافتقرنا إليه. وهو مستغن عنا. ولا نفتقر إلا إلى الله تعالى.

فصورة ذلك الغذاء اسم من أسماء الله تعالى النازلة منزلة لفظ الاسم الإلهي، أو صورة رقمه.

والله أعلم.

مسألة (١٣٦)

اعلم أن سبب علم الله تعالى بسر القدر وصف نفسه بالرضى والغضب. ولها بين النسبتين انقسمت الأسماء الإلهية، إلى الجلالية والجمالية، ومن هذا الانقسام ظهر الداران: الجنة والنار. لأن كل ما يكون من الرضى واللطف فهو الجمال. وكل ما يكون من الغضب والقهر فهو الجلال. فهذا من جهة الذات المقدسة وصفاتها. وأما من جهة الأعيان الثابتة فهي أيضاً منقسمة إلى ما هو مستعد لقبول آثار الرضى واللطف، وإلى ما هو مستعد لقبول آثار الغضب والقهر.

والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٥، مكة.

مسألة (١٣٧)

اعلم أنه يلزم من العلم بأن لا إله إلا الله، التصديق بأن لا إله إلا الله. ولا يلزم منه الإقرار بأن لا إله إلا الله. فإذا كل من علم بأن لا إله إلا الله فهو مؤمن، وليس كل من قال لا إله إلا الله مؤمناً، لاحتمال نفاقه. فبهذا الاعتبار يكون العلم بأن لا إله إلا الله مجرداً عن القول نافعاً في حكم الآخرة. وقول لا إله إلا الله مجرداً عن العلم لا نفع له في الآخرة.
والله تعالى أعلم.

مسألة (١٣٨)

اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي، هو عين التحديد والتقييد. فالمنزّه إمّا جاهل، وإمّا صاحب سوء أدب. لأن غاية معرفة المنزّه أن يسلب عن ربه نقائص الكون. وسلب العبد عن ربه ما لا يجوز عليه راجع إليه. والله ما هذه حباله التنزيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذات الحق تعالى. وهو من جملة منحه لك وهباته. والباري تعالى منزّه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه. وكذلك من شبهه وما نزّهه فقد حدّده وقيّده، وما عرفه.
ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه، ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه على الإجمال، لا على التفصيل. كما عرف نفسه مجملاً لا مفصلاً. لأنه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور.
إن من له مقام القطبية فإنه من حيث سريانه في الحقائق بالحق تعالى يطلع على المراتب كلها تفصيلاً، ولكنه من حيث بشريته لا يقدر على ذلك.
والله أعلم.

مسألة (١٣٩)

أنت للحق تعالى بمنزلة الجسم لك، والحق تعالى بمنزلة الروح المدبرة لجسمك. واعلم أن الحق تعالى يربي الأعيان الثابتة بأسمائه وصفاته، ويربي الأرواح بالأعيان، ويربي الأجسام بالأرواح. لتكون ربوبيته ظاهرة، في جميع المراتب.
والله أعلم.

مسألة (١٤٠)

اعلم أن تعالى الحق «تعالى» عن المكان. وإنما هو بحسب الذات لا بحسب المظاهر.
والله أعلم.

مسألة (١٤١)

فَأَنْتَ عَبْدٌ وَأَنْتَ رَبٌّ لِمَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ عَبْدٌ
أي أنت عبد للاسم الحاكم عليك، الظاهر فيك، الذي يربيك ويدبرك وأنت رب له
تربية بقبول أحكامه، وإظهار كمالاته فيك. وذلك أن لله تعالى اسماً ظاهراً، واسماً باطناً،
والربوبية لهما ثابتة.

وكما أن الباطن يربي الظاهر بإظهار أحكام الأسماء الإلهية الغيبية عليه، كذلك الظاهر
يربي الباطن بقبولها. فلكل من هذين الاسمين الجامعين ربوبية وعبودية وما ثم من يكون رباً
على الإطلاق إلا الحضرة الإلهية، من حيث وجوبها وغناها عن العالمين.

وَأَنْتَ رَبٌّ وَأَنْتَ عَبْدٌ لِمَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ رَبٌّ
أي أنت رب باعتبار الهوية الظاهرة فيك. وأنت عبد باعتبار تعينك وتقيدك. وقوله
ليس له في الخطاب عهد أي أنت عبد للرب الذي عهد إليك بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.
والله أعلم.

يا عبادي كلكم عاجز قاصر، صامت، حائر، لا يملك فتيلاً ولا نقيراً ولا قطميراً، ولو
سلطت عليكم أدنى حشرات المخلوقات، أو أضعف جندي، لأهلكتكم وتبرتكم ودمرتكم.
فكيف تدعون أنكم أنا وأنا أنتم، ادعيتهم المحال وعشتم في ضلال. تفرقتم أحزاباً، وصرتم
أشتاتاً كل حزب بما لديهم فرحون. والحق وراء ذلك كله.

لِلَّهِ تَغْذِيبُ الْمَطِيعِ وَلَوْ جَزَى
مَا كَانَ مِنْ إِثْمٍ وَمِنْ غُدْوَانٍ
مُتَّصِرَفٌ فِي مُلْكِهِ فَلَهُ الَّذِي
يَخْتَارُ لَكِنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ
فَنَفَى الْعِقَابَ وَقَالَ سَوْفَ^(١) أُبَيِّبُهُمْ
فَلَهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَضْلَانِ

مسألة (١٤٢)

اعلم أن الحضرة الأحدية اعتبارها بنفي الكثرة عن عينها لكنها معقولة فيها كمالاتها.
وأما الحضرة الواحدية ففيها تظهر الكثرة الاسمائية كالحلي، والعالم، وباقي الأسماء.
والكثرة الصفاتية كالحياة والعلم وباقيها.
والكثرة النسبية كالربوبية والمالكية والإلهية.
والكثرة الإضافية كالحالقية والرازقية ونحوهما.

(١) في (م): (سيف).

وفي باقي الحضرات الكونية تتداخل الأسماء بعضها في بعض، فيصير اسم الرب اسماً للعبد، حكماً لا حقيقة. ويصير اسم العبد اسماً للرب، حكماً لا حقيقة. ويصير فيه المسخر مسخراً لمسخره. ويصير وجود الحق مرآة لعبده يرى فيها نفسه وغيرها. وتصير ذات العبد مرآة له يرى فيها مثال أسمائه تعالى، وكذلك أحكامها، وتصير ذاته أيضاً مرآة لربه تعالى يرى فيها ظهور أحكام أسمائه، ومثالها.

والله أعلم.

مسألة (١٤٣)

اعلم أنه لا يخلو تنزيهه عن تشبيهه، ولا تشبيهه عن تنزيهه. وذلك لأن كل ما ننزهه عنه تعالى من صفات الخلق فهو ثابت له. عند ظهوره في المراتب الكونية، وهو التشبيه. وكلما شابهته به، وأثبت له من الكمال كالحياة والعلم، وباقى الصفات فهو منفي عنه في مرتبة أحديته وهو التنزيه.

قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١) فنزه وشبهه.

- أما تنزيهه فظاهر لأنه نفى المماثلة على تقدير زيادة الكاف، وعلى عدم زيادتها أيضاً يلزم المط. لأن نفى المماثلة عن المثل يوجب نفى المماثلة عن نفسه بطريق الأولى.

- وأما تشبيهه، فإنه أثبت له مثلاً، ونفى المماثلة عنه، وإثبات المثل تشبيهه، وليس ذلك المثل إلا الإنسان المخلوق على صورته المتصف بكمالاته إلا الوجوب الذاتي الفارق بينه وبينه تعالى. وقال تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾^(٢).

فشبهه لأنه أثبت له ما هو ثابت لغيره. ونزهه أيضاً، في هذا القول لأن تقديم الضمير يوجب حصر السمع والبصر فيه. فنزهه^(٣) عن المشاركة عن الغير فيهما. وهذه أعظم آية تنزيه نزلت. ومع ذلك لم تخل عن تشبيهه بالكاف.

والله أعلم.

مسألة (١٤٤)

اعلم أن المعلومات أربع: أحدها: الحق تعالى. وهو الموصوف بالوجود المطلق، لأنه سبحانه ليس معلولاً لشيء، ولا علة لشيء. بل هو موجود بذاته. والعلم به عبارة عن العلم

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

(٢) استكمال الآية السابقة.

(٣) في (م): (نزه).

بوجوده. ووجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات. لكن يعلم ما ينسب إليه من صفات المعاني. وهي صفات الكمال.

وأما العلم بحقيقة الذات فممنوع لا يعلم بدليل شرعي ولا برهان عقلي ولا يؤخذ بأخذ، فإنه سبحانه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فكيف يعرف. فمعرفتك به إنما هو: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١).
والله أعلم.

مسألة (١٤٥)

إن قيل: ما الفائدة في قول الله تعالى: ﴿قلو شاء لهداكم أجمعين﴾^(٢). قلنا: لو حرف امتناع. فما شاء إلا ما هو الممكن عليه في حال ثبوت عينه. ولكن عين الممكن قابلة للشيء، وضده في حكم دليل العقل. وأي الحكمين وقع فهو الذي كان الممكن عليه، في حال ثبوت عينه.
وهدى بمعنى يَبِّئ. وما كل إنسان نور الله بصيرته حتى رأى الممكن على ما هو عليه في حال ثبوت عينه. فما هداهم أجمعين فما يَبِّئ لهم أجمعين.
والله أعلم.

مسألة (١٤٦)

اعلم أن الأعيان الثابتة لا توصف بأنها مجعولة ما لم توجد في الخارج، لأنها حينئذ معدومة في الخارج. كما أن الصور العلمية والخيالية التي في أذهاننا لا توصف بأنها مجعولة ما لم توجد في الخارج. إذ لو كانت مجعولة لكانت الممتنعات مجعولة. لأن لها صوراً علمية في أذهاننا.
والله أعلم.

مسألة (١٤٧)

اعلم أن الحق تعالى هو الظاهر الذي لا أظهر منه. وهو الباطن الذي لا أبطن منه. ومع شدة ظهوره أعقب الخفاء. وظهوره سبب بطونه، ونوره هو حجاب نوره. لأن الشيء إذا تجاوز حدّه انعكس على ضده.
والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٤٩، مكة.

مسألة (١٤٨)

اعلم أن الله تعالى ما أوجد شيئاً إلاّ وأوجد له مثلاً، وضدّاً، وخلافاً. فمثال المثليين البياضان. ومثال الضدين السواد والبياض. ومثال الخلافيين اللون والرائحة والطعم في محل واحد.

وما ذكرت لك هذه المسألة إلاّ لتعرف منزلتك عند الله تعالى. فالإنسان الكامل مع الحق تعالى، مثل، ضدّ، خلاف.

مثل: من حيث الوجود. ضدّ: من حيث إنه يوصف بأنه ربّ حكماً، لا يوصف بأنه عبد. خلاف: من حيث إنه وصف نفسه بأنه سمع العبد وبصره فجمع بينه وبينه في عين واحدة.

والله أعلم.

مسألة (١٤٩)

اعلم أن غاية الكرم هو أن الله تعالى كلّفك وقام عنك بما به كلّفك، وأضافه إليك، وأثنى عليك. ورّبّ عليه من الثواب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاشكره على نعمه.

والله أعلم.

مسألة (١٥٠)

اعلم أن العلم الحامل على التوكل ثلاثة:
الأول: هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية العلم بما ينفعك وما يضرّك.
العلم الثاني: هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية القدرة على جلب ما ينفعك، ودفع ما يضرّك.

العلم الثالث: هو أن تعلم أن الله تعالى موصوف بغاية الرأفة والرحمة بك.
والله أعلم.

مسألة (١٥١)

اعلم أن معاني أسماء الله تعالى تدرج تحت أربع كلمات. وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر.
فسبحان الله: معناها سلب العيب والنقص عن ذات الله وصفاته، وأفعاله. فكل ما كان

من أسماء الله تعالى في معناه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كالقدوس، والسلام. ونظائرها.

والحمد لله: معناها إثبات كل كمال لذات الله تعالى وصفاته، وأفعاله. فكل ما كان من أسماء الله تعالى معناه إثبات كمال فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كالحلي، والعالم، والقادر، ونظائرها.

فنفيها بسبحان الله كل عيب عقلائه، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال أدركناه، وفوق ما نفيناه وأثبتناه كمال قد غاب عنا وجهلائه فنحققه بالإجمال بقولنا: الله أكبر.

أي: أجل وأعظم مما نفيناه، وأثبتناه. فكل ما كان من أسماء الله تعالى متضمناً لكمال لا يدرك ولا يعقل فهو مندرج تحت هذه الكلمة. كذي الجلال والإكرام.

فإذا كان في الوجود من هذا شأنه نفيناه أن يكون في الموجودين من يشاكلة أو يناظره فنحققه بالإجمال بقولنا «لا إله إلا الله».

فالألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية. ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بما ذكرناه. والله أعلم.

مسألة (١٥٢)

عالم الجبروت هو عالم الأسماء والصفات الإلهية. وعالم الأمر وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الأرواح والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق تعالى بلا واسطة مادة ومدة. وعالم الملك، وعالم الخلق، وعالم الشهادة، هو: عالم الأجسام. والله أعلم.

مسألة (١٥٣)

اعلم أن دوام شهود الافتقار، والالتجاء إلى الله تعالى أصل كل خير، ومفتاح كل علم رقيق في طريق القوم. بحيث لا تستبد بحركة ولا كلمة دون الافتقار إلى الله تعالى فيها. وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله تعالى، والافتقار إليه فيها لا تعقب خيراً قطعاً. علمنا ذلك وتحققناه.

قال «سهل»^(١) رحمة الله تعالى عليه: «من انتقل من نفسٍ إلى نفسٍ من غير ذكر الله

(٣) هو: سهل بن عبد الله التستري من قرية «تُشتر»، وهو أحد أئمة الصوفية المعروفين ومن كبار المحققين، كان صاحب كرامات مشهورة. لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج. توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: الرسالة القشيرية، ص

تعالى فقد ضيِّع حاله، وأدنى ما يدخل على من ضيِّع حاله دخوله فيما لا يعنيه».
والله أعلم.

مسألة (١٥٤)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وهذه الرحمة امتنانية. وهي داخلة في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾^(٢).

فمنتهى علمه تعالى منتهى رحمته، فيمن يقبل الرحمة. وكل ما سوى الله تعالى قابل رحمة الله تعالى بلا شك. ورحمته غير متناهية، ومنها صدرت الممكنات، ومنها صدر الغضب الإلهي.

وكل ما صدر عنها لم يرجع إليها. لأنه صدر عنها صدور فراق فتكون الرحمة خالصة محضة. ولذلك تسابقا. فما تسابقا إلا على تمييز، وافتراق.
والله أعلم.

وَلَوْلَا غَيْرَةُ الرَّحْمَنِ فِيْنَا لَّمَّا بُتِ الْأَمَانُ لِكُلِّ عَارِفٍ
وَلَكِنِّي سَتَرْتُ لِكَوْنِ رَبِّي يُرِيدُ السُّتْرَ عَنْ غَيْرِ الْكَاشِفِ

مسألة (١٥٥)

اعلم أن الله تعالى ما يقبض أحداً من المحتضرين إلا وهو مؤمن، أي مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية لأنه معاين ما أخبرت به الأنبياء. ولهذا يكره موت الفجأة، وقتل الغفلة.

فحدُّ موت الفجأة: هو أن يخرج النفس الداخل، ولا يدخل النفس الخارج.
وقتل الغفلة: هو أن يضرب عنق الشخص من ورائه وهو لا يشعر فيقبض على ما كان عليه وهو لا يشعر.

أما المحتضر: فلا يكون إلا صاحب شهود. فهو صاحب إيمان بما تم فلا يقبض إلا على ما كان عليه.
والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ١٠٧، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٧، مكة.

مسألة (١٥٦)

في علم المسابقة التي بين الحق^(١) تعالى، وبين عباده. وهو علم شريف فيه من الرحمة الإلهية ما لا يصفها وصف واصف. وذلك أن الإنسان إذا عصى فقد تعرّض للانتقام والبلاء. وأنه جارٍ في شؤم الانتقام بما وقع منه. وأن الله تعالى يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار، ومتجاوز، ورحيم، ورؤوف. فالعبد يسابق الحق تعالى بمعاصيه إلى الانتقام.

والحق تعالى أسبق. فيسبق إلى الانتقام قبل وصول العبد بالسيئات إليه، فيجوزه اسمه الغفار وأصحابه. فإذا وصل العبد إلى آخر هذه الحلبة وجد الانتقام وقد جاوزه الاسم الغفار، وحال بينه وبين العصاة وهم كانوا يحكمون على أنهم كانوا يصلون إلى الانتقام قبله. وهو قوله تعالى في العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾^(٢).

أي يسبقوا بسيئاتهم مغفرتي وشمول رحمتي. ﴿إِنَّمَا مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٣). بل السبق لي برحمتي بهم. فهذا غاية الكرم. وهذا لا يكون إلا في الطائفة التي تقول بإنفاذ الوعيد فيمن يموت على غير توبة. فإذا مات العاصي تلقته الرحمة لله تعالى في المواطن التي^(٤) يشاء الله تعالى. والله أعلم.

مسألة (١٥٧)

الودود هو الثابت حبه في قلوب عباده. فلا يؤثر فيما سبق لهم من المحبة معاصيهم. لأنها ما نزلت بهم إلا بحكم القضاء والقدر السابق. لا للطرد والعبد. فسبقت المحبة معاصيهم. والله أعلم.

مسألة (١٥٨)

اعلم أن العالم كله مستوفي الكشف عما غاب عن الإحساس البشري ما عدا الإنس والجن. فإنهم لا يشهدون ذلك إلا في حال خرق العوائد لكرامة يكرم الله تعالى من يشاء منهم. وقد عرفت من هذا الباب أن الحجر والحیوان والنبات غارقة بنبوة سيدنا محمد

(١) في (م): (الخلق).

(٢) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٤، مدنية.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) في (م): (الذي).

(صلى الله عليه وسلم)، بالفطرة. فإذا ظهر ناداهم في ذواتهم باسمه، وإذا حضر بعينه. ومما يدل على صحة ما قلناه ما أخبر به بعض الأبدال: «إنه لما وصل إلى جبل «قاف» المحيط بالبحر المحيط بالأرض وجد حية محيطة فسلم عليها. فردت عليه السلام ثم قالت: كيف حال الشيخ «أبي مدين»^(١)؟ فقال لها: وأنى لك بمعرفة الشيخ «أبي مدين».

فتعجبت ثم قالت: هل على وجه الأرض أحد لا يحبه! إنه والله منذ اتخذته الله تعالى ولياً نادى به في ذواتنا، وأنزل محبته إلى الأرض في قلوبنا، فما من حجر ولا مدر، ولا شجر ولا حيوان إلا وهو يعرفه، ويحبه». والله أعلم.

مسألة (١٥٩)

قال الله تعالى شأنه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وغضبه شيء. فقد وسعته الرحمة، وحصرته، وحكمت عليه فلا يتصرف إلا بحكمها. فترسله إذا شاءت^(٣)، وتمسكه إذا شاءت. ولهذا ليس في البسملة شيء من أسماء القهر ظاهر بل هو الرحمن الرحيم، وإن كان يتضمن الاسم «الله» القهر من حيث إنه اسم جامع. فكذلك يتضمن الرحمة. فما فيه من أسماء القهر والغلبة والشدة يقابله بما فيه من الرحمة، والمغفرة، والعفو والصفح، وزناً بوزن. ويبقى لنا الفضل الزائد، وهو قوله تعالى الرحمن الرحيم. فعين الرحمن وعين الرحيم زائدان على ما في الاسم الله منه. فزاد في الوزن فرجح. وكان الله تعالى عرفنا بما يحكمه في خلقه، وإن الرحمة بما هي باطنة في الاسم الجامع من البسملة هي رحمته بالبوطن، وبما هي ظاهرة في الرحمن الرحيم هي رحمته بالظواهر، فعمت الرجاء للجميع. وما من سورة من القرآن إلا والبسملة في أولها. إعلام من الله تعالى أن المآل إلى الرحمة.

(١) أبو مدين: هو من أعيان مشايخ المغرب وشهرته (الشيخ أبو مدين المغربي) واسمه: شعيب. وهذه الرواية التي أوردها ابن عربي بوردها الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى، ص ١٣٣، بتصرف وقال إن ابن عربي ذكرها في الفتوحات. كان يقول: «الجمع ما أسقط تفرق ومخى إشارتك، والوصول استغراق أوصافك وتلاشي نعوتك». ومن أقواله المأثورة أيضاً: «للقدر نور ما دمت لستره فإذا أظهرته ذهب نوره». انظر ترجمته الهامة في الطبقات الكبرى، للشعراني، ج١، ص ١٣٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٥٦، مكة.

(٣) أي الرحمة.

فإن الله تعالى جعلها ثلاثاً: الرحمة الباطنة في الاسم الله، والظاهرة في الرحمن، وفي الرحيم، ولم يجعل القهر سوى البطون في الاسم الله. فلا عين له موجودة. والله أعلم.

مسألة (١٦٠)

اعلم أن: ﴿من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾^(١). ومعنى ذلك: أن يريه عين ما كان يراه سيئة حسنة. وقد كان حسننها غائباً عنه بحكم الشرع. فلما وصل إلى موضع ارتفاع الأحكام^(٢) المشروعة، وهي الدار الآخرة، أي عند كشف الغطاء رأى حسن ما في الأعمال كلها. لأنه ينكشف له أن العامل هو الله تعالى لا غيره فهي أعماله تعالى. وأعماله كلها كاملة الحسن لا نقص فيها ولا قبح. فإن السوء والقبح الذي كان ينسب إليها إنما كان ذلك حكم الله تعالى فيها، لا أعيانها، فكل من كشف الغطاء عن بصره وبصيرته متى كان رأى ما ذكرناه. ويختلف زمان الكشف. فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا. وهم الذين يقولون أفعال الله كلها حسنة. ولا فاعل إلا الله تعالى. وليس للعبد فعل إلا الكسب المضاف إليه. وهو عبارة عمّا له ذلك العمل من الاختيار. وأما القدرة الحادثة فلا أثر لها عندهم في شيء. فإنها لا تتعدى محلها. وأما أهل الله تعالى فإنهم لا يرون أن ثمّ قدرة حادثة يكون عنها فعل في شيء. وإنما وقع التكليف والخطاب من اسم إلهي في محل عبد فإن. فسمى ذلك العبد مكلفاً. وذلك الخطاب تكليفاً. إذ لا يحمل عطاياه إلا مطاياها. ومنهم من يكون له الكشف عند الموت، وفي يوم القيامة وبعد نفوذ الحكم بالعقاب فيكشف له نسبة تلك الأعمال إلى الله تعالى. والله أعلم.

مسألة (١٦١)

اعلم أن من جمع بين التصديق، والإقرار، والعمل، فهو مؤمن إجماعاً. فلو صدق بقلبه بكل ما جاءت به الرسل، وعلم بوجود النطق بالشهادتين فلم ينطق بهما مع القدرة على النطق بها فهذا مؤمن في حكم الآخرة. على الأظهر عند الإمام الغزالي.

(١) معنى الآية رقم (٧٠) من سورة الفرقان، ونصّها: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾.

(٢) في (م): (أحكام).

لقول رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان)^(١).

قال الإمام^(٢): «ولا يبعد الإيمان بالسكوت عن النطق الواجب».
والله أعلم.

مسألة (١٦٢)

اعلم أن سيدنا محمد، (صلى الله عليه وسلم)، قد أخبرنا بأن الحق تعالى يتجلى في جنة عدن ورداء الكبرياء على وجهه. أي على ذاته. فحال الحجاب بينه وبين الرائي فلم تصل الرؤية إليه فصدق قوله تعالى: ﴿لن تراني﴾^(٣) وصدق «المعتزلة»^(٤) فما وصلت الأعين إلا إلى الرداء. وهو الكبرياء على ذاته. ونحن عين الكبرياء على ذاته. فما تعلقت الرؤية إلا بنا فقط.

فنحن لا نراه من حيث هو قط. وما نرى قط سوانا. فلا يزال رداء الكبرياء على ذاته في الدنيا والآخرة. لأننا ما نزال. ولما كنا عين كبرياء الحق تعالى على ذاته، والحجاب يشهد المحجوب. وللرداء ظاهر وباطن، فيراه الرداء بباطنه فيصدق: «ترون ربكم». ويصدق مثبت الرؤية. ولا يراه ظاهر الرداء، فيصدق قوله: «لن تراني». وتصدق المعتزلة.

والرداء عين واحدة.

والله أعلم.

مسألة (١٦٣)

اعلم أن من وصف نفسه بأمر توجه عين الاختيار. وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه يغفر الذنوب جميعاً. والإيمان يقطع بصدق هذا القول. ولكن لا يظهر حكمه مشاهدة عين إلا بالمذنبين. فكأنه تعالى يقول^(٥) اعصوني حتى تعرفوا ذوقاً صدق قولي بأنني أغفر الذنوب جميعاً.

(١) حديث: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان». ذكره صاحب اللؤلؤ والمرجان، باب إثبات الشفاعة رقم ٨٠ والحديث رقم (١١٦) عن أبي سعيد الخدري. وقال صاحب اللؤلؤ والمرجان: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. انظر: اللؤلؤ والمرجان، ط دار الحديث ١٩٨٦.

(٢) هو الإمام الغزالي سبقت الإشارة إليه.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٤٣، مكة.

(٤) المعتزلة: سبقت الإشارة إليها.

(٥) في (م): (لا يقول).

وإذا كان أمير المؤمنين «المأمون» قال: «لو علم الناس حبي في العفو لتقربوا إليّ بالجرائم». وهو مخلوق. فما ظنك بالكريم المطلق الكرم، فلا يختبر الحق تعالى إلاّ بإتيان الذنوب. وثم قوم يغفر الله لهم من غير توبة. وثم قوم يعطيهم التوبة. والتوبة قد جعلها الله تعالى تتضمن المغفرة. فكأنها للتائب بشرى معجلة في الدنيا. فأدخل الله تعالى نفسه في الدعوى ليمشي حكمها في الخلق. ثم طلب بالابتلاء صدق دعواهم ليتبين لهم صدق دعواه سبحانه وتعالى. فإذا ادّعت فلتكن دعواك بالحق وانتظر الابتلاء، وإن لم تدع فهو أولى بك. والله أعلم.

مسألة (١٦٤)

اعلم أن الأشياء المسماة مخالفات ومعاص لم يوجدها الله تعالى من العدم إلى الوجود إلاّ برحمته. فهي مخلوقة من الرحمة. وكان المحل الذي قامت سبباً لوجودها. لأنها لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بنفس المخالف. وقد علمت أنها مخلوقة من الرحمة، ومسبحة بحمد خالقها للمحل الذي قامت به حتى ظهر وجود عينها، لعلمها بأنها لا تقوم بنفسها. والله أعلم.

مسألة (١٦٥)

اعلم أن حقيقة الوجود واحدة، لا تعدد فيها ولا تكثر. وتعدد وتكثر بحسب التعينات والتجليات. فتكثر وتصير أرواحاً وأجساماً ومعانٍ، وروحانية، وأعراضاً جسمانية. والأرواح منها كلية ومنها جزئية. فأرواح الأنبياء، (صلى الله عليهم وسلم)، كلية تشمل كل روح منها على أرواح يدخل حكمه ويصير من أمته. كما أن الأسماء الجزئية داخلية في الأسماء الكلية. وإذا كان الأمر كذلك يجوز أن تتحد بعض الأرواح ببعض بحيث لا يكون بينهما امتياز. كاتحاد قطرات الأمطار، وأنوار الكواكب مع نور الشمس بالنهار. والله أعلم.

مسألة (١٦٦)

اعلم أن الوحي خبر إلهي على يد ملك يختص به الأنبياء والرسل. والإلهام أيضاً خبر إلهي على يد ملك تشترك فيه الأنبياء والرسل ومن دونهم.

فالرسول والنبي يشهد الملك ويراه رؤية بصر عندما يوحى إليه وغيرهما يحس بأثره، ولا يراه رؤية بصر. وقد يكون الإلهام من الوجه الخاص بلا واسطة ملك. وهذا يجمع فيه الرسول والولي. وهذا أجل الإلقاء وأشرفه. فأصابع الرحمن تعالى للوجه الخاص. ويد الملك للوجه المشترك. والإلهام أكثره بلا واسطة، فمن عرف عرف كيف يأخذه، ومحلله النفس.

قال الله تعالى:

﴿فألهمها﴾. فهو الملهم لا غيره.

﴿فجورها﴾. لتعلمه لا لتعمل به.

﴿وتقواها﴾^(١). لتعلمه وتعمل به.

لأن العبد مأمور بالتقوى منهبي عن الفجور. لأن الله تعالى كما لم يأمر بالفحشاء، لم يلهم العبد بالفحشاء. فمن أراد السعادة فلا يضع ميزان الشرع من يده نفساً واحداً. والله أعلم.

مسألة (١٦٧)

اعلم أن سر القدر هو ما علمه الله تعالى من كل عين في الأزل من أحوالها التي تظهر عليها عند وجودها. فلا يحكم بشيء إلا بما علمه من عينه في حال ثبوته. والله أعلم.

مسألة (١٦٨)

العالم صورة الحق تعالى. والحق تعالى هوية العالم وروحه. وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر، الذي هو مجلي اسمه الباطن. والله أعلم.

مسألة (١٦٩)

الشؤون الأفعال، والشؤون الذاتية اعتبار الأعيان والحقائق في الذات الأحادية كالشجرة مثلاً، وأغصانها، وأوراقها، وثمارها في النواة. وهي التي تظهر في الحضرة الواحدة وتنفصل في العلم. والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة الشمس، الآية ٨، مكة. ونسها: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾.

مسألة (١٧٠)

انتشرت الرحمة من عين الجود، فظهرت الأعيان في الوجود عن الكلمة الفهوانية التي هي كلمة «كن» التي هي كلمة الحضرة، ولولاها ما انقاد الممكن للخروج. لكن الحب أفرجه وأبرز عينه. فلما برز طلب رؤية المحبوب الذي له خرج فلم يجد لذلك سبيلاً. وقام دون حجاب العزة فلم يَرِ سوى نفسه فاغتم وقال: من مشاهدة كوني هربت، وإياه طلبت. فإن ظهوري لي في عيني غيبتني عن مشاهدتي له في علمه حيث لم أظهر بعيني، فإذا ولّى تجلّى فرجوعي إلى العدم ومشاهدتي له من حيث وجودي في علمه أولى من مشاهدة كوني. فذلك وطني حيث أحدية العين وعدم الكون.

وَلَمَّا بَدَأَ الْكَوْنُ الْغَرِيبُ لِنَاطِرِي حَتَّتْ إِلَى الْأُزْطَانِ حَنُّ الرِّكَائِبِ

مسألة (١٧١)

النبوة: هي الإخبار عن الحقائق الإلهية. أي عن معرفة ذات الحق تعالى، وأسمائه وصفاته وهي على قسمين: نبوة التعريف. ونبوة التشريع.

فالأول: هي الإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء.

والثاني: عن جميع ذلك مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة. وتختص هذه بالرسالة.

والله أعلم.

مسألة (١٧٢)

اعلم أن كل من يمشي في العالم فإنه يمشي برسالة حتى الدودة في حركتها هي في رسالة تسعى بها لمن عقل عن الله.

والله أعلم.

مسألة (١٧٣)

اعلم أنك إن ذكرت النعم كنت عبداً لها. وإن ذكرت الله تعالى كنت له. وكنت عبد الله. وإن ذكرت الأمرين كنت عبد المنعم وعبد الله^(١).

فأنت حكيم الوقت.

(١) انظر كتاب ابن عربي العبادلة، ففيه تفصيل هذه المسألة وشرحها شرحاً وافياً. طبعة مكتبة القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق عبد القادر عطا.

مسألة (١٧٤)

فإن قيل: ما الفرق بين حال سيدنا رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، والملائكة، وبين حال سيدنا موسى (عليه السلام).

فإن الملائكة قد ورد الخبر بأنهم إذا سمعوا كلام الله تعالى غابوا عن حسّهم، وكذا سيدنا رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، إذا نزل عليه جبريل، (عليه السلام)، بالوحي يغيب عن حسه. وهو بمعنى الصعق.

وأما سيدنا موسى، (عليه السلام)، فقد أخبر الله تعالى أنه قد وقعت المكالمة بينه وبينه مع ارتفاع الوسائط. وهذا المقام أعظم من مقام الوحي بارتفاع الوسائط. ومع هذا لم يصعق ولم يغيب عن حسه. فيقال: الفرق بين المقامين:

هو أن خطاب الله تعالى لموسى، (عليه السلام)، خطاب مقيد بجهة مسموع بأذن. وليس لهذا الكلام الإلهي توجه على قلبه، وليس لقلبه هنا إلا ما يتلقاه من جهة سمعه حسياً. وإنما يتلقاه بواسطة سمعه حسب ما جرت به العادة. ولم يتعد الحال حكمه في موسى، (عليه السلام).

وأما أمر سيدنا رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، وأمر الملائكة فهو إنما كان توجه الكلام الإلهي على قلوبهم. فلما اشتغلت قلوبهم بتلقيه وتفهمه، غابوا عن إحساسهم لهيبة الخطاب.

والله أعلم.

مسألة (١٧٥)

اعلم أنه لو لم يسبق في علم الله تعالى أنه سيقع ادعاء شريك في مرتبة الألوهية في العالم السفلي لاستحال وقوع ادعائها لغير الله تعالى. ومن المعلوم أنه وقع ادعائها لغير الله تعالى ممن لا خلاق له من بعض الآدميين دون بعضهم. فلو لم يقع ادعاؤها لغير مستحقها في العالم السفلي، وكانوا كلهم عارفين بوحداية الحق تعالى بكل اعتبار لما احتاجوا في توحيدهم لله تعالى إلى داع يدعوهم إلى نفي شريك له تعالى في شيء من كمالاته. لأنه منتفٍ عند جميعهم في نفس الأمر. ولكن لما وقع ادعاء شريك له في مرتبة الإلهية التي هي من مقتضيات^(١) ذاته تعالى دون غيره احتاج الموحدون في تمييزهم عن المشركين إلى كلمة تتضمن نفي الإلهية عن غير مستحقها.

(١) في (م): (من مقتضياته).

فلأجل ذلك أرسلت الرسل يدعون الناس إلى الإقرار بأن لا إله إلا الله. ولذلك قال رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم)^(٢) الحديث.

وهذا بخلاف الملاء الأعلى فإنهم لما أوجدهم الحق تعالى على نمط واحد في العلم لتفردته تعالى بجميع كمالات ذاته، لم يحتاجوا إلى داع يدعوهم إلى نفي الإلهية عن غيره تعالى. لأنه لم يقع في عالمهم بوجه شريكاً لله تعالى في كمالات ذاته المقدسة. فافهم.

مسألة (١٧٦)

اعلم أن لله تعالى ملائكة مهيمون في نور جلاله وجماله، في لذة دائمة ومشاهدة لازمة لا يعرفون أن الله تعالى خلق غيرهم. ما التفتوا قط إلى ذواتهم.

ولله قوم من بني آدم هم الأفراد الخارجون عن حكم القطب لا يعرفون، ولا يُعرفون. قد طمس الله عيونهم فهم لا يبصرون حجبهم عن غيب الأكوان حتى لا يعرف الواحد منهم ما ألقى في جيبه. فأحرى أن لا يعرف ما ألقى في جيب غيره. يكاد لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه جهلاً بها لا غفلة عنها، ولا نسياناً. وذلك لما حققهم به سبحانه من حقائق الوصال واصطنعهم لنفسه. فما لهم معرفة بغيره. فعلمهم به ووجدهم فيه، وحركتهم منه، وشوقهم إليه، ونزولهم عليه، وجلسهم بين يديه، لا يعرفون غيره.

قال صلى الله عليه وسلم، سيد هذا المقام: (أنتم أعلم بمصالح دنياكم)^(١).

مسألة (١٧٧)

أوصيك بالعلم والتحفظ من لذات الأحوال. فإنهم سموم قاتلة وحجب مانعة. فإن العلم يستعبدك له، وهو المطلوب منها. ويحضرك معه. والحال يسودك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك. فهو الحال. فتسلط عليهم بنعوت الربوبية. وأين أنت في ذلك الوقت مما له خلقت، والعلم أشرف فاحذر أن يفوتك.

والله أعلم.

(١) حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم». ذكره محمد فؤاد عبد الباقي في اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان. حديث رقم (١٣)، باب ٨، ص ٥، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

(٢) «أنتم أعلم بمصالح دنياكم». انظر تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٤٩٤ ط. دار إحياء التراث العربي (بيروت).

مسألة (١٧٨)

يا طالباً معرفة توحيد خالقه كيف لك بذلك، وأنت في المرتبة الثانية من الوجود. وأنى للآتين بمعرفة بوجودها. وإن عدت فيبقى الواحد يعرف نفسه. فكيف لك بمعرفة التوحيد. وأنت ما صدرت من الواحد من حيث وحدانيته. وإنما صدرت عنه من حيث نسبة ما. ومن كان أصل وجوده على هذا النمط من حيث هو، ومن حيث موجد فأنى له بذوق التوحيد. والله أعلم.

مسألة (١٧٩)

للتوحيد لجة وساحل.

فالساحل ينقال: واللجة لا تنقال. والساحل يعلم واللجة تذاق. وقفت على ساحلها ورميت بثوبي وتوسطتها فاختلقت على الأمواج بالتقابل فمعتني من السباحة فبقيت واقفاً بها لا بنفسي فرأيت «الجنيد»^(١) فعانقته وقبلته. فرحب بي، و«سهل»^(٢) فقلت: متى عهدك بك.

فقال لي: منذ توسطت هذه اللجة نسيتني فنسيت الأمد. فعانقني، وعانقته. وغرقنا فمتنا موة الأبد. فلا نرجو حياة ولا نشوراً.

مسألة (١٨٠)

اعلم أن كمال التوفيق هو استصحابه للعبد في جميع أحواله من اعتقاداته، وخواطره، وأسراره، ومكاشفاته، ومشاهدته، وأفعاله كلها. إلا أن يتجزأ أو يتبعض. فإذا كمل التوفيق للعبد على ما ذكرناه فهو المعبر عنه بالعصمة، والحفظ الإلهي. والله أعلم

مسألة (١٨١)

اعلم أن التوفيق هو الباعث المحرك لطلب الاستقامة، والهادي إلى طريق السلامة. ما اتصف به عبداً إلا أهدى، ولا فقده شخص إلا تردى وأردى. فمبدؤه يعطيك الإسلام، وتوسطه يعطيك الإيمان، وغايته تعطيك الإحسان. والله أعلم.

(١) سقت الإشارة إليه.

(٢) سقت الإشارة إليه.

مسألة (١٨٢)

أول مقامات التوفيق الاختصاصي اشتغالك المشروع الذي يدل لك لشارع إلى الاشتغال بتحصيله. وآخرها حيث يقف بك، فإن تمت لك المقامات حصلت في التوحيد الموحد نفسه بنفسه، الذي لا يصح معه معقول. وإن بغضت لك الحضرات الجودية واللطائف الوجودية، فلا حياة مع الجهل ولا مقام وعلى الدنيا السلام.

مسألة (١٨٣)

إن لم تجر أفعالك على مراد غيرك، لم يصح لك الانتقال عن هواك، ولو جاهدت نفسك عمرك بما ترتبه عليها، وإن صعب ولم تنزل عن هواها فإنها المرتبة على نفسها، وإن فتح لها في لطائف المكاشفة وضروب المشاهدة فلم تنزل بذلك عن دعوتها التي لا يمكن خروجها منها إلا بانقياد إلى طاعة نفس أخرى مثلها، وتصرفها تحت أمرها ونهيها. وذلك لكثافة حجابها وعظم إشراكها. ولذلك قال المحققون: «كل عمل لا يكون على أثر فهو هوى النفس».

فآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة. وقال الحق تعالى «لأبي يزيد البسطامي»^(١) في بعض مشاهدته معه: «تقرب إليّ بما ليس لي: الذلة، والافتقار». وهذا^(٢) إشارة إلى إزالة الرياسة. فاسع يا بني في طلب شيخ يرشدك، ويعصم خواطرك حتى تكمل. والله أعلم.

مسألة (١٨٤)

ينبغي للعبد أن يعتقد أن أعماله لم توصله إلى نيل المقامات. وإنما أوصله إلى ذلك رحمة الله تعالى به، الذي أعطاه التوفيق للعمل والقدرة عليه والثواب. كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل أحد الجنة بعمله. قيل له: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا إن لم يتغمدني الله برحمته)^(٣).

والله أعلم.

(١) أبو زيد البسطامي: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، له من المؤلفات والكرامات ما سجلته كتب الصوفية جميعاً وأقواله سبقت إلى الشهرة. وكان من أبناء الملوك فهجر الأموال والجاه إلى عالم الحقيقة ذاتاً قال: «مددت ليلة رجلي في محراب أبي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي له أن يجالسهم بحسن الأدب». توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني، ج١، ص ٦٥.

(٢) أي هذا القول.

(٣) حديث: «لا يدخل أحد الجنة بعمله». انظر: كتاب اللؤلؤ والمرجان، ج٣، ص ٢٨٤، حديث رقم ١٧٩٤ عن عائشة=

مسألة (١٨٥)

اعلم أن الأعضاء المكلفة ثمانية: وهي: العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، والقلب. فعلى كل واحدة من هذه الأعضاء تكليف يخصه من أنواع الأحكام الشرعية.

فالبصر: علامته الغض عن نظر المحرمات، والإطراق وقاية من النظرة الأولى المعفو عنها.

والسمع: علامته ما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١).

وسماع العلم، ومواظبة مجالس الذكر والعمل بكل خير يسمعه.

واللسان: علامته قلة الكلام إلا فيما يفترض إليه من هداية وتبليغ رشد ودوام الذكر، واسترساله على التلاوة إن كان من أهل القرآن، وصدقه في الحديث، وبطوئه عن الجواب في المسألة إذا سُئِلَها. وإذا سأل فلا يسأل إلا فيما فيه فائدة سعادتة. وأشياء ذلك.

واليد: علامتها أن لا يبطش بها في محرم من لمس امرأة لا تحل له. أو قتل إنسان، أو لطمه، أو سرقة. ولا يمسه ذكره بيمينه عن البول ولا يستنجي بها، ولا يدخلها في الإناء عند القيام من النوم. أعني في وضوء. وأشبه ذلك.

والبطن: علامتها الورع، والاكْتِسَاب، والبحث عن الكسب. وإذا أكل لا يمتلي من الطعام والشراب حذراً من كسر الجوارح عن الطاعة، والإيثار بقوته. فما ملئ وعاء شرٌّ من بطن ملئ من حلال.

والفرج: علامته الحفظ من التحرك إلى غير أهله من أحرار وإماء.

والرَّجُل: علامتها السعي في قضاء حوائج المسلمين والإخوان، والسعي على العيال، وكثرة الخطى إلى المساجد، والثبوت يوم الزحف. وغير ذلك.

والقلب: علامته الانتباه، واليقظة، والفكر، والهيبة، وترك الحسد، والغل، ودوام الحزن، والتوكل، والتفويض والتسليم، والفرح بمورد القضاء، والمراقبة، والتنزه في العالم وفعل الله تعالى فيه وفيهم.

والله أعلم.

= رضي الله عنها عن النبي (ص) قال: «سددوا وقاربوا وابشروا، فإنه لا يدخل الجنة أحدٌ عمَلَهُ. قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بشفعة ورحمة». وللحديث روايات أخرى.

(١) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية ١٨، مكة.

مسألة (١٨٦)

من تلا كتاب الله تعالى ولم يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه ويقف عند حدوده، فلا يتخيل أن يقول له الحق تعالى عند قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ حمدني عبدي. لا والله ما يراجع الحق سبحانه بقوله حمدني عبدي، وأثنى عليّ عبدي إلا لأهل الحضور. بل أقول من امتثل أوامره، اجتنب نواهيه، ووقف عند حدوده وكان اللسان صامتاً عن التلاوة فإنه حامد لله تعالى بحاله، شاكر بأفعاله.

ويقول الله تعالى: حمدني عبدي.

واعلم أن على اللسان تلاوة، وعلى الجسم بجميع أعضائه تلاوة، وعلى النفس تلاوة، وعلى القلب تلاوة، وعلى الروح تلاوة، وعلى السر تلاوة، وعلى سر السر تلاوة. فتلاوة اللسان: ترتيل القرآن والكتاب على الحد الذي رتب المكلف له.

وتلاوة الجسم: المعاملات على تفاصيلها في الأعضاء.

وتلاوة النفس: التخلق بالأسماء والصفات.

وتلاوة القلب: الإخلاص والفكر والتدبير.

وتلاوة الروح: التوحيد.

وتلاوة السر: الاتحاد.

وتلاوة سر السر: الأدب. وهو التنزيه الوارد عليه في التلقي منه جلّ وعلا.

فمن قام بين يدي سيده بهذه الأوصاف كلها ونظر إليه جلّ اسمه فلم يَر منه فرداً إلا مستغرقاً فيه على ما يرضاه كان عبداً كلياً، وقال له الحق تعالى إذ ذاك: «حمدني عبدي».

وإذا كانت فيه هذه الأوصاف وتعلقت في البعض غفلة فليس بعبد كلي. ولا يكون فيه من عبودية الاختصاص إلا قدر ما اتصف به. فثمّ عبد يكون لله تعالى فيه السدس. ولهؤلاء فيه ما بقي. ولله في تعالى الخمس. ولهؤلاء ما بقي. والرابع، والثالث، والنصف. على قدر ما يحضر منه مع الحق تعالى. كما جاء في الصلاة أنه لا يقبل منها إلا ما عقل. والله أعلم.

مسألة (١٨٧)

اعلم أن من قال: «إن الروح واحد في أشخاص نوع الإنسان وإن روح زيد هو روح عمرو». ما حقق صورة الأمر فيه.

فإنه كما لم تكن صورة جسم آدم، جسم كل شخص من ذريته وإن كان هو الأصل الذي منه ظهرنا، وتولدنا. وكذلك الروح المدبرة لجسم العالم بأسره. كما أنك لو قدرت الأرض مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً. وانتشرت الشمس علينا، وأشرقت بنورها. لم تتميز النور بعضه عن بعضه. ولم نحكم عليه بالتجزئ ولا القسمة. فلما ظهرت البلاد والديار، وبدت عليها هذه الأشخاص القائمة انقسم النور الشمسي وتميز بعضه عن بعض لما طرأ من هذه الأشخاص والأرض.

فإذا اعتبرت هذا علمت أن النور الذي يخص هذا المنزل ليس هو النور الذي يخص المنزل الآخر، ولا المنازل الأخر. وإذا اعتبرت الشمس التي ظهر فيها هذا النور وعينها من حيث انفهاقه عنها، قلت: إن الأرواح روح واحدة، وإنما اختلفت بالمحال كالأنوار، نور واحد. غير أن حكمه في القوابل يختلف لاختلاف أمرجتها وصور أشكالها. ولما أراد الله تعالى بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز، خلق لها أجساداً برزخية تميزت فيها عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنيوية في الدنيا في النوم وبعد الموت. وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية كما جعل لها في الدنيا. غير أن المزاج مختلف فنقلها من جسد البرزخ إلى أجسام النشأة الآخرة. فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها. ثم لا تزال كذلك أبد الأبدين. فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً. فانظر. ما أعجب صنع الله تعالى! الذي أتقن كل شيء.

والله تعالى أعلم.

مسألة (١٨٨)

اعلم [أن] (١) الحق تعالى يعطي يوم القيامة جهل المؤمن من أهل التقليد للعالم في هذه الدار بدقائق العلوم والأمور، وهو غير مؤمن. فيدخل بذلك الجهل النار لأنه من أهلها. وهي لا تقبل العلماء.

ويعطي علم هذا العالم للمؤمن الجاهل فيدخل الجنة لأن الجنة ليست بدار جهل. فيرى المؤمن الأبله المقلد ما كان عليه من الجهل على ذلك العالم فيستعيز بالله من تلك الصفة ويرى قبحها. ويشكر الله تعالى على نعمته التي أعطاه إياها بما كساه وخلع عليه من علم ذلك العالم. وينظر إليه ذلك العالم فيزيد حسرة إلى حسرته، ويعلم أن الدار أعطت هذه الحقائق نفسها فيقول: ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ (٢).

(١) إضافة من المحقق ليستقيم السياق.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٢٧، مكة.

لعلمهم إذا كانوا مؤمنين. وإن كانوا جاهلين فهم إذا انتقلوا إلى دار السعادة خلعت عنهم الجهالة، وكسوا أثواب العلم فلا يزالون بما كانوا عليه من الجهل في الدنيا لحسن العاقبة. وما علموا أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى حكمها. فإنه الفعل بالخاصية لا يتبدل.

فما تكلموا بما تكلموا به من هذا التمني إلا بلسان النشأة التي هم فيها، وتخيلوا أن ذلك العلم يبقى عليهم لو ردوا. وما جعل الله في هذه النشأة الدنيوية النسيان للعلماء بالشيء فيما علموه إعلاماً وتنبهاً أنه على كل شيء قدير. بأن يسلب عنهم العلم بما كانوا به عالمين إذا دخلوا النار، ويختص برحمته من يشاء. وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءِ﴾^(١).

وأبي ملك أعظم من العلم. وهو ما أعطاه من العلم للمؤمن المقلد الجاهل السعيد في الدار الآخرة.

﴿وتنزح الملك ممن تشاء﴾^(٢). وأي ملك أفضل من العلم، فينزعه من العالم الغير مؤمن الذي هو من أهل النار.

﴿وتعز من تشاء﴾^(٣). بذلك العلم. ﴿وتذل من تشاء﴾^(٤) بانتزاعه منه.

واعلم بأن الحقائق تعطي أن المأل إلى الرحمة في الدار الآخرة فيرحمه معنى وحساً. فثم من تكون له الرحمة عين العافية، وارتفاع الآلام عنه لا غير. وهذا مخصص بأهل النار الذين هم أهلها. فهم لا يموتون فيها لما يحصل لهم من العافية بزوال الآلام فيستعذبون ذلك فهم أصحاب عذاب لا أصحاب ألم. ولا يحييون أي ما لهم نعيم كنعيم أهل الجنان الذي هو أمر زائد على كونهم عافاهم الله من دار الشقاء. والله أعلم.

مسألة (١٨٩)

اعلم أنه لما تجلّى الحق تعالى في الثلث الأخير من الليل وكان تجلّيه يعطي الفوائد والعلوم والمعارف التامة على أكمل وجوهاها. لأنها عن تجلٍ^(٥) أقرب في سماء الدنيا. فكان علم آخر هذه الأمة أتم من علم وسطها، وأولها، بعد موت الرسول (صلى الله عليه وسلم).

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٢٦، مدينة.

(٢) استكمال الآية السابقة.

(٣) استكمال لها.

(٤) استكمال لها.

(٥) في (م): (عن تجلّي).

لأن النبي، (صلى الله عليه وسلم)، لما تبعه الله تعالى بعثه والكفر ظاهر، والشرك قائم. فلم يدع القرن الأول وهو قرن الصحابة إلا للإيمان خاصة. ما أظهر لهم ما كان يعلمه من العلم المكتون. وأنزل عليه القرآن العظيم. وجعله يترجم عنه بما تبلغه أفهام عموم ذلك القرن. فصور، وشبه، ونعت بنعوت المحدثات. فلاح من ذلك لخواص القرن الأول دون عامته، بل لبعض خواصه من خلف خطاب التنزيل أسرار عظيمة. ومع هذا لم يبلغوا فيه مبلغ المتأخرين من هذه الأمة. لأنهم في العلم أتم، وكان القرن الأول أتم في العمل. وأما الإيمان فعلى التساوي.

فإن هذه النشأة لما فطرت على الحق^(١)، وبعث فيها نبي من بني جنسها فما آمن منها إلا من قوي على دفع نفسه لما فيها من الحسد. لا سيما إذا كان الحاكم عليها من جنسها فينسب إلى المؤمن من الصحابة من القوة في الإيمان. ما لا ينسب إلى من ليست له مشاهدة. فكان اشتغالهم بدفع قوة سلطان الحسد أن يحكم فيهم بالكفر الذي يمنعهم من إدراك غوامض العلوم وأسرار الحق في عبادته. ولم تحصل لهم رتبة بالغيب. أعني بغيب صورة الرسول، وما جاء به. لكونهم مشاهدين له. فلما جاء زماننا وجدنا أوراقاً مكتوبة سواداً في بياض، وأخباراً منقولة. وجدنا القبول عليها ابتداءً لا نقدر على دفعه من نفوسنا. إذ وقفنا الله تعالى علمنا أن قوة نور الإيمان إعطاء ذلك. ولم نجد تردداً، ولا طلبنا آية ولا دليلاً على صحة ما وجدناه مكتوباً من القرآن. ولا منقولاً من الأخبار. علمنا قوة الإيمان الذي أعطانا الله سبحانه وتعالى عناية منه لنا. وكنا في هذه الحالة مؤمنين بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم. كما لم يكن لنا قدم في قوة دفع ما يعطيه سلطان الحسد عند المشاهدة. فقابلنا هذه القوة بتلك القوة فتساوايا، وبقي الفضل في العلم. حيث أخذناه من تجلي ثلث هذه الليلة المباركة. التي لا نصيب لغير أهلها من الثلثين الماضين فيها.

وهذا كله جبر لقلوبنا لما فقدناه من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان خيراً. فإننا لا نعرف كيف كانت أحوالنا عند المشاهدة. هل يغلبنا الحسد أو نغلبه.

﴿فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾^(٢).

مسألة (١٩٠)

اعلم أن الشفقة على العصاة أولى بالمراعاة من الغيرة الإلهية لله تعالى. ألا ترى أعداء

(١) غير واضحة في (م). وربما كانت [الحسد] وقد يُقَوَّى السياق هذا المعنى.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٢٥، مدنية.

الدين كيف ضرب الله تعالى عليهم الجزية. وأمر بالصلح إبقاءً لهم. وإذا كان الحق تعالى قد راعى هذه البنية مع كفرها، فأنت أولى بمراعاتها مع معصيتها. ولأن الإنسان ما دام حياً ترجى له السعادة.
والله أعلم.

مسألة (١٩١)

اعلم أن الحكمة في دعاء الحق تعالى عباده للسجود يوم القيامة إنما هو رحمة لأهل الأعراف. ليثقل ميزانهم بهذه السجدة. فينصرفون إلى الجنة. وكان منزلهم في سور الأعراف ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنة.
والله أعلم.

مسألة (١٩٢)

اعلم أن الأجسام هي هذه المعروفة في العموم شفافها وكثيفها ما يرى منها، وما لا يرى. والأجساد ما تظهر فيها الأرواح في اليقظة المثلثة في صورة الأجسام.
وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس. وهي نفسها ليست بأجسام.
والله أعلم.

مسألة (١٩٣)

اعلم أنه من علم القرآن العزيز وتحقق به عِلْمٌ أَعْلَمُ أهل الله تعالى وأنه لا يدخل تحت فصول منحصرة، ولا يجري على قانون منطقي، ولا يحكم عليه ميزان. فإنه ميزان كل ميزان.
والله أعلم.

مسألة (١٩٤)

اعلم أن يوم هذه الأمة المحمدية متصل بيوم الآخرة، ليس بينهما إلا ليل البرزخ خاصة. وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث، وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق تعالى للفصل والقضاء، وفي قدر ركعتي الاشراق، ينقضني الحكم، فتعمر الداران بأهلها. وذلك يوم السبت فيكون نهاره أبدأً لأهل الجنة، ويكون ليله أبدأً لأهل جهنم. فإذا انقضت مدة الآلام في جهنم وهو يوم من خمسين ألف سنة في حق قوم، وأقل من ذلك في حق قوم،

وشفعت التسعة عشر ملكاً في أهل جهنم للرحمة التي سبقت ارتفعت عنهم الآلام. فراحتهم ارتفاع الآلام لا وجود النعيم فافهم.

وهذا القدر هو نعيم أهل جهنم.

والله أعلم.

مسألة (١٩٥)

اعلم أن لله^(١) تعالى أبواباً فتحها للخير، وأبواباً أعدها لم يصل أو ان فتحها للخير، أيضاً، وأبواباً فتحها للآلام المعبر عنه بالعذاب لما يؤول إليه من أمر أصحابه. فمتعذه في آخر الحال. ألا ترى «إبراهيم» الخليل. (صلى الله عليه وسلم). يقول: ﴿يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾^(٢).

والرحمن لا يعني ألماً موجعاً، إلا أن يكون في باطنه رحمة يستعذبها من قام به ذلك الألم. كشرب الدواء الذي يتضمن استعماله العافية. فما عند الله باب يفتح إلا أبواب الرحمة. غير أن ثمة رحمة ظاهرة لا ألم فيها، وثم رحمة باطنة يكون فيها الألم، في الوقت لا غير. ثم يظهر حكمها في المآل.

فالآلام أعراض^(٣)، واللذات ثوابت. فالعالم مرحوم بالذات، متألم بما يعرض له. ﴿والله عزيز حكيم﴾^(٤). يضع الأمور مواضعها ألا ترى الإنسان يضرب ولده، ويؤلمه بذلك الضرب عقوبة لذنبه وهو يرحمه بباطنه. فإذا وقى الأمر حقه أظهر له ما كان في قلبه وباطنه من الرحمة والشفقة. ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) في قصة طويلة يقول فيها: (وأن الله تعالى أشفق من هذه على ولدها).^(٥) وأشار إلى امرأة. وهذا كله من علوم الأذواق. جعلنا الله والسامعين من أهل الرحمة الخالصة التي لا ألم فيها بمتة وكرمه آمين.

(١) في (م): (الله).

(٢) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية ٤٥، مكة.

(٣) في (م): (عواض).

(٤) جزء من آية متكررة في القرآن.

(٥) حديث: «وأن الله أشفق من هذه على ولدها». رواه عمر بن الخطاب وقال: قدم على النبي، صلى الله عليه وسلم، سبي. فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إن وجدت صبياً من السبي فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي (ص): «أترؤن هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا، لا، وهي تقدر على ألا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها. وللحديث روايات أخرى. اخترنا منها هذه الرواية انظر: اللؤلؤ والمرجان، ص ٢٤٠، ج٢، حديث رقم ١٧٥١. وقال: أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٧. باب (رحمة الولد وتقبله ومعانفته).

مسألة (١٩٦)

اعلم أن الله تعالى قد أخبر عن إبليس أنه يقول لأتباعه^(١) من المشركين ومنكري البعث يوم القيامة: إن الله تعالى وعدكم أن هذا اليوم كائن، يعني يوم القيامة فصدقكم وعده ووعدتكم^(٢) بأنه ليس بكائن. فأخلفتكم وعدي وما كان لي عليكم من سلطان، أي ما أظهرت لكم من حجة تصدقني على ما دعوتكم إليه من الشرك في الألوهية، وإنكار البعث فصدقتموني. فلا تلوموني ولوموا أنفسكم^(٣).
والله أعلم.

مسألة (١٩٧)

قال الله تعالى مخاطباً إبليس^(٤) اللعين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٥).
فمطلق اسم العباد ليس للشيطان عليهم سلطان. أي حجة دالة على إثبات شريك لله تعالى في ألوهيته. ولذلك قال لحزبه: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي، وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ﴾^(٦).
وأما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٧). أي لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس. وليس هو تعالى وكيلاً لأولياء إبليس.
والله أعلم.

مسألة (١٩٨)

نبي عن أمر عجيب مما وقع لإبليس اللعين. وذلك ما أخبر الله تعالى [به]^(٨)، في كتابه

(١) في (م): (أن يقول لتباعه).

(٢) في (م): (ووعدتكم).

(٣) وهذه المسألة معنى آية وردت بالقرآن نثرها ابن عربي ليوضح معناها - مفسراً - في كلمات. والآية هي رقم: (٢٢) من سورة إبراهيم، مكة. ونسبها: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَىٰ الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٤) في (م): (مخاطباً لإبليس).

(٥) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٦٥، مكة.

(٦) سبقت الإشارة إلى الآية في الهامش (٣).

(٧) انظر رقم ٥.

(٨) ما بين معقوفين إضافة من المحقق بطلبها السياق.

العزیز بقوله: «قال» أي إبليس: ﴿فِعَزَّتْكَ لِأَغْوِيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١). هذا ظنٌ منه لا علم. وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢) هذا علم لا ظن.

لأنه لما قال له الله تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٣). عَلِمَ عِلْمَ يَقِينٍ صدق الله تعالى فيما أخبر به من أمر الفريقين فلما سلك طريق الأدب مع الله تعالى في استثناء من استثناءهم^(٤) الله سبحانه وتعالى، أْبْرَ قَسَمَهُ، وصدق ظنّه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

ومما وجد بخط شيخنا بعد وفاته، قدّس سرّه^(٦)، (فائدة) العبودية للعامّة: هي غاية التذلل لله تعالى. والعبودية للخاصّة: هي تصحيح القصد في السلوك إلى الله تعالى. والعبودية للخاصة الخاصة: هي شهودهم القيام به تعالى في عبوديته فيعبدون الله تعالى في مقام أحدية الفرق والجمع.

(فائدة) ..

التعبير عن الحال الذوقية محال لأنه خارج عن حصر الألفاظ.

والله أعلم.

(فائدة) ..

عبد الله تعالى هو الذي تجلّى له الحق تعالى بجميع^(٧) أسمائه، فلا يكون أرفع مقاماً، ولا أعلى شأناً منه لتحقيقه بالاسم الأعظم، واتصافه بجميع صفاته. ولهذا خصّ الله تعالى نبيّنا محمداً، (صلى الله عليه وسلم)، بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾^(٨).

فلم يكن هذا الاسم حقيقة إلا له، وللأقطاب من ورثته بتبعيته وإن أطلق على غيره مجازاً. لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية. واحدية جميع الأسماء.

والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة (ص)، الآية ٨٢، مكة.

(٢) استكمال الآية.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٤٢، مكة.

(٤) في (م): (استثناءهم).

(٥) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية ٢٠، مكة.

(٦) واضح أن هذه إشارة للناسخ. ولأن هذه الفوائد مرتبطة بهذه المسألة، وكانت بهامش نسخة المؤلف فأضافها الناسخ إلى الأصل وأشار لها هكذا.

(٧) في (م): (لجميع).

(٨) القرآن الكريم، سورة الجن، الآية ١٩، مكة.

مسألة (١٩٩)

شرط البداية اعتدال جناحي رهبته ورغبته. والسير اعتدال جناحي قبضه وبسطه. والنهاية اعتدال جناحي هيبته وأنسه ليتم طيرانه. والآن فلا. وبينهما سرادق من شعره. ومتى زلّ جناحه زلّ قدمه، إلى جحيمه وزمهريره. فتلويته بقوة أحدهما، وتمكينه باجتماعهما. ويتم القبض والبسط ببقاء صبره وشكره. والهيبة والأنس ببقاء رضاه وتسليمه وتفويضه.

والله أعلم.

(فائدة) ..

نظر شيخ ظبية وردت ماءً. فرجعت خوفاً من خيالها ففعلت ذلك مراراً ولم تشرب، فأغمضت عينيها، ورمت بنفسها في الماء، فشربت إلى الري. فقال ذلك الشيخ: لي زمان أرجع عن المجاهدة خوفاً، فما لي أن أغمض العينين عن الكونين. فإما وصل، وإما قتل. ففعل، فبلغ مبلغاً عظيماً.

(فائدة) ..

ما تجلى الله تعالى لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك وللعباد له العارفين.
والله أعلم

مسألة (٢٠٠)

إذا كانه الله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١) فمحال على الأكوان الإقامة على نعت واحد زمانين، وشؤون الحق تعالى ما هو العالم عليه من الأحوال المختلفة والمتقابلة والمتماثلة.

والله أعلم.

مسألة (٢٠١)

المتقي صاحب دعوى، ولذلك يقبل منه عمله، والعارف صاحب تجريد والأعمال تجري منه وهو عنها بمعزل فليس له إليها نسبة إلا أنه محل لجرانها، وظهور أعيانها. فما زالت الأعمال عن عاملها فلا توصف بالقبول والرد، ألا ترى المتقي يحشر إلى الرحمن، والعارف في الحضرة ما زال.

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٢٩، مدنية.

مسألة (٢٠٢)

الواقف مع الكون محجوب عن العين.

(فائدة)..

إذا زلّ الولي ولم يرجع من ساعته عوقب. وعقوبته بأن يجب إليه إظهار الكرامات على أنفسهم إلاّ ما اقترن بها اقتضاء حق إلهي. ومع هذا فلا بد من الإذن. والله أعلم.

مسألة (٢٠٣)

كل ما كان للعبد كسباً فالحق تعالى قائم به لا العبد. ولكن فيه ظلمة المكسب. فافهم.

مسألة (٢٠٤)

إن من أولياء الله تعالى من سترهم عن أعين الخلق في الدنيا والآخرة، في قباب النور، خلف حجاب العزة والأنس فلا يعرفون، ولا يُعرفون.

مسألة (٢٠٥)^(٥)

تحدث الأولياء بما حققهم به الحق تعالى من الكرامات والمنازل والمخاطبات من الأسرار، من باب التحدث بنعم الله تعالى، والتشويق إلى آلائه، وهو شكرها لا من باب تزكيتهم. والله أعلم.

مسألة (٢٠٦)

الطاعة للعبد، والمصارعة إليها للمحب، والتلذذ فيها للعارف، والفناء فيها للمحقق. (فائدة)..

العمد الذي قامت به السماء هو الإنسان الكامل. والله أعلم.

مسألة (٢٠٧)

السلوك لا يزال دنيا وأخرى، ولو كان ثم قرار لصح الوصول. ولو كان ثم طريق يوصل إلى الله تعالى لظفر به الواصل، ولنيل بالسلوك. فنتيله لك محال ففرض الطريق إليه محال.

(٥) اضطراب في رقم المسألة من النسخة (س). كما يوجد خرم وترقيق وكلمات كثيرة محذوفة وساقطة من النسخة (س).

لما وقف بعض العارفين على هذا المقام قال الطريق مسدود والسالك مردود. ويعزى هذا القول لأبي يزيد البسطامي^(١).
والله أعلم.

مسألة (٢٠٨)

لا يكون الجهل علماً إلا في علمك بالله. فإن العلم به جهل. فمن علمه جهله، ومن جهله كان به عالماً، وكان صديقاً.

مسألة (٢٠٩)

إن من عباد الله تعالى من يقودهم إليه المعرفة به. فيهبهم المعرفة ابتداءً. وهم جائلون في ميادين المخالفات. ثم يهبهم التوفيق فيسلكون على بصيرة، وسلوك هؤلاء أشرف سلوك السالكين. إذ كل سالك غاية المعرفة. وهي بداية هذا السالك. وهي كانت بدايتنا ولله الحمد على ذلك.

مسألة (٢١٠)

قد أخبر الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأنه يتجلى غداً لهذه الأمة ومنافقيها على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه، من غير الصورة التي عرفوه [بها]^(٢) فينكرونه. فيتحول في الصورة التي عرفوه بالعلامة التي بينه وبين كل طائفة منهم. وهي ما تقرر في عقدهم منه فيقرون به. وهو عين ما أنكروه.

ولما وقف «الجنيد»^(٣) على هذه المعرفة بالله تعالى سئل عن المعرفة والعارف فقال: «لون الماء لون إنائه». فالإناء مثل مضروب لاعتقاده. والماء مثل مضروب لمعرفه.
والله أعلم.

مسألة (٢١١)

من كان مع الله تعالى مثل ظله معه لا ينحجب عن ربه، ولا يعترض عليه في فعله، ولا يتحرك إلا بتحريكه إياه، كان عبداً حقيقة. ألا ترى الظل لا يزال مشاهداً لمن صدر عنه.
فافهم ترشد.

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) ما بين معقوفتين من المحقق.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

مسألة (٢١٢)

ليس في الوجود تكراراً أصلاً للتوسع الإلهي. ولو طراً^(١) على الإنسان عدم ما كرر عين وجوده الأول. وإنما هو انتقال من حال إلى حال والعين واحدة. والحال المنتقل إليه وجود آخر.
والله أعلم.

مسألة (٢١٣)

العشق التفات الزوجين. والحب صفاء ذلك الالتفات وخلوصه. والود ثباته ودوامه. والهوى أول سقوطه في القلب.
والله أعلم.

مسألة (٢١٤)

الحال الذي يملكه النبي غير الحال الذي يحكم على الولي. وللأنبياء حال يحكم عليهم. ألا تراه عند نزول الوحي ترد عليه حالة الفناء والبهت ويرغو مثل ما يرغو البعير وينصرف عنه الوحي. وجبينه يتفصد عرقاً بحكم الحال عليه. وسبب ذلك أن للنبي وجهين:

وجه للولاية: فهو ولي بذلك الوجه. ووجه للنبوة: فمن حيث ولايته يملكه الحامل. ومن حيث نبوته يملك الحال. والولي ليس كذلك فإنه ليس له إلا وجه الولاية. فيملكه الحال. فالأولياء تصرفهم الأحوال. والأنبياء يصرفون الأحوال. إلا أن الأولياء يصيرون من القمرة إلى أن تستتر عنهم الأحوال في حالهم. ولا يقفون مع شيء وقوف عشق إلا مع العين، التي تظهر منها الأحوال. فهي باقية لأحوال فانية.
والله أعلم.

مسألة (٢١٥)

العبد بين نعمة وبلية. قائم النعمة تطلبه بالشكر، والبلية تطلبه بالصبر، فهو الصبار الشكور.
والله أعلم.

(١) في (م): (طرى).

مسألة (٢١٦)

لا يقف الفتح على العبادات، فقد يُفتح في غير العبادات أعظم مما يفتح فيها. فإن الفتح وجود ومِنَّة. والأعمال للجزاء في الدار الآخرة. وإن من العباد من لا تضرهم المعاصي للعناية الإلهية التي سبقت لهم عند الله عز وجل.
والله أعلم.

إِنَّ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي غَيْرُ قَاصِرَةٍ وَتَنْتَهِي بِي إِلَى حَدٍّ وَمَقْدَارٍ
فَلَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا بِخَضْرَتِنَا وَلَا وُجُودَ لَنَا إِلَّا بِأَقْدَارٍ

مسألة (٢١٧)

الكامل من الرجال يكنى أبا العيون تحقّقاً بمولاه. في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(١). فالعين التي يرى بها ربه غير العين التي يرى بها نفسه، وعين يرى بها فعله، وعين يرى بها ذنبه، وعين يرى بها قربه. ولكل حال عين.
والله أعلم.

مسألة (٢١٨)

اختلفت كلمة الحضرة في عباد الله تعالى. فقوم أحرستهم، وقوم أنطقتهم بأننا، وقوم أنطقتهم بأنت^(٢)، وقوم أنطقتهم^(٣) بهو، والكل له، وبه، ومعه. وإن اختلفوا.
والله أعلم.

مسألة (٢١٩)

من رأى الله تعالى في الأشياء فقد استراح^(٤).

مسألة (٢٢٠)

وإن من أسماء^(٥) الله تعالى ما لا تعلق له بكون، وهو من خصائص الذات.
والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة القمر، جزء من الآية ١٤، مكة.

(٢) غير واضحة في (م).

(٣) كل ألفاظ (أنطقتهم) الواردة بهذه المسألة كانت في (م) (نطقتهم).

(٤) في (م): (استراح).

(٥) في الأصل: (السماء).

مسألة (٢٢١)

اعلم أن الاغترار بالله تعالى إنما هو من حيث الكرم والجود. فإنه ما عدى^(١) مؤمن قط انتهاكاً للحرمة، ولا قاطعاً بالعقوبة، وأنه تقع المعاصي والمخالفات من المؤمنين من حسن ظنهم بربهم. فإن الأسماء الإلهية واقفة على السواء. وليس هذا الاسم في ظهور أثره عليه بأولى من هذا الاسم. والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٢٢)

قوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾^(٢). خطاب للأرواح، أنها بدأت مدبرة لأجسادها فتعاد بعد المفارقة إلى تدير أجساد ترابية تنشأ على عجم الذنب الباقي من هذه النشأة وتعاد أيضاً كما بُدئت.

دليله قوله تعالى: ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾^(٣).

أي صاحبك. فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترد إلى الأجساد. وهذا قول: «عطاء»^(٤)، و«الضحاك»^(٥)، و«عكرمة»^(٦) من رواية «العوفي»^(٧) عن «ابن عباس»^(٨). رضي الله عنهم أجمعين.

-
- (١) غير واضحة في (م).
 (٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٢٩، مكة.
 (٣) القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية ٢٨، مكة.
 (٤) عطاء: لعله: عطاء بن يزيد الليثي، وهو من كنانة روى عنه الثوري وتوفي سنة سبع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. انظر: كتاب المعارف، لابن قتيبة، ص ٤٤٣، طبعة الهيئة المحصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
 (٥) الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم. وهو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. رطب «زينب» زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا القاسم. ولد لستين وقد أثمر وكان معلماً وأتى خراسان فأقام بها. ومات سنة اثنتين ومائة. انظر: كتاب المعارف، لابن قتيبة، ص ٤٥٧.
 (٦) عكرمة: مولى ابن عباس، كان عبداً لابن عباس. باعه علي بن عبد الله بن عباس بعد موت والده بأربعة آلاف دينار. فأثى عكرمة علياً فقال له: ما خير لك بعت علم أليك بأربعة آلاف دينار. فاستقاله فأقاله، واعتقله. وكان يكنى أبا عبد الله، وقيل مات «كثير» و«عكرمة» في يوم واحد وعنده ثمانين عاماً. انظر: كتاب المعارف، لابن قتيبة، ص ٤٥٥.
 (٧) العوفي: هو الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد. يكنى: أبا عبد الله، ولي قضاء الشرقية بعد (جعفر بن غياث) ثم نقل إلى (عسكر المهدي) في خلافة هارون الرشيد ثم عزل وتوفي سنة ٢٠١ هـ. انظر: كتاب المعارف، ص ٥١٨.
 (٨) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس، ابن عم النبي (ص) وكان يكنى: أبا العباس. وبلغ سبعين سنة. وهلك بالطائف في فتنة (ابن الزبير) وقد كُفَّ بصره، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وكان عروة بن الزبير يقول عنه حدثني البحر يعني ابن عباس، مات سنة ٦٨ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة على قول الواقدي.

ولو كانت الإعادة مثل البداية، لكانت الإعادة في حق آدم، عليه السلام، تخميراً باليد المقدسة. وإعادة حواء^(١) كذلك وإعادة بني آدم بنكاح وتناسل، وتوالد نطفة، وعلقة، ومضغة، وتربية. وليس الأمر كذلك. والله أعلم.

مسألة (٢٢٣)

لا تزال صفات الربوبية معظمة ما لم تقم بالعبد. فإذا قامت بالعبد عين الحق تعالى لها مواطن تدم فيها، ومواطن تحمد فيها، وصفات الكون إذا اتصف بها الحق تعالى عظمت مطلقاً. فالتمس الناس لها وجودها في التنزيه. والله أعلم.

مسألة (٢٢٤)

إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق تعالى، وحجاب. فإنها محل شهوات الأنفس. فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يريك ذاته حجيبك عن شهوتك، ورفع عنك سترها. فغبت عن جنتك وأنت فيها فرأيت ربك. فالحجاب عليك منك. فأنت الغمامة على شمسك. فاعرف حقيقة نفسك. والله أعلم.

مسألة (٢٢٥)

أعظم العبادات عند الله تعالى ما أيدها الخيال. اعبد الله كأنك تراه، وما أنت براء. والله أعلم

مسألة (٢٢٦)^(٢)

اعلم أنه ليس في عين الأمر اضطرار، ولا اختيار. ولكن علم سابق وقضاء لاحق، وقدرة نافذة، وإرادة غير قاصرة. والله أعلم.

(١) في الأصل: (حوى).

(٢) هذه المسألة تأخذ رقم (٢٠٦) في النسخة (س).

مسألة (٢٢٧)

إذا نصب الصراط على متن جهنم على الصفة التي ذكرها الشرع فإن «المعطلة» لا^(١) يحصل لهم عليه قدم أصلاً.

وأما الطائفتان اللتان تقولان بانعدامه بعد إيجاده العالم فيخطون فيه خطوة واحدة، ويقعون في النار. وأما المشركون فلا يحصل لهم عليه سوى القدم الواحدة. فإذا اعتمدوا عليها، وأرادوا أن يضعوا الأخرى لم يقدرُوا على ذلك، ووقعوا في نار جهنم. وما عدا هؤلاء الفرق فيصعدون عليه على قدر مراتبهم. والله أعلم.

مسألة (٢٢٨)

إذا تحقق الموحد بتوحيده، لم يبق له قدرة ولا كسب. فلو قيل له: قم واقعد، ما استطاع فهو المقام المقعد. ومتى لم يكن بهذه المثابة في حاله فليس بموعد. فالناس يشهدونه^(٢) حاملاً للأشياء. وهو والأشياء محمول. والله أعلم.

مسألة (٢٢٩)^(٣)

المعرفة والسرور لا يجتمعان في أحد^(٤) في الدنيا أبداً. والمعرفة والحزن لا يجتمعان في أحد^(٤) في الآخرة أبداً.

واعلم أنه ما دام الرجل في هذه الدار فهو على قدم الخطر ولو بلغ ما بلغ. لأنها دار المكر والتبديل. وقد ذم الفرح فيها لعدم تحقق أسبابه من جميع وجوهه^(٥). فإذا انتقلنا إلى دار التمييز والتخليص، وتراءى^(٦) الجمعان وتمييز الفريقان. وانصبغ من انصبغ في الفضل والرحمة. حينئذ^(٧) يحق له الفرح. وقد يؤتى العبد هنا الرحمة والفضل. ويمنعه من الفرح

(١) في (م): (فإما المعطلة فلا يحصل... الخ). والمعطلة: هم الذين يعطلون الصفات الإلهية وقد وردت أقوالهم في كثير من الكتب التي تناقش مسألة الألوهية. انظر في ذلك: مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، ط ٢. وانظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، ط ٨. وانظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ط دار التراث.

(٢) في الأصل: (شهدونه).

(٣) في النسخة (س) مسألة رقم (٢٠٧).

(٤) في (س): (لأحد).

(٥) في (س): (الوجوه).

(٦) في (م)، (س): (وتراءى).

(٧) في (س): (ح) اختصار حينئذ.

بهما ما في طي الأمر من طلب القيام بحقوقهما. فلا يتفرغ للفرح بهما، مع شغل القلب بأداء حقوقهما. وهنالك ليس كذلك. فكيف يسر العارف هنا. وفي الأمر ما ذكرناه^(١).
والله أعلم.

مسألة (٢٣٠) (٢)

في موسى والخضر. حيث قال لموسى: «أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا». فقد تساوى، وعدمت الفضيلة. غير أن الرسل^(٣) مأمورون بالزيادة من العلم ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٤).

فوجب عليهم الطلب^(٥) فاندراج الخضر في موسى بقدر ما تعلم منه ولم يحصل للخضر ذرة من علم موسى [ثلاثة لثلاثة. السفينة المحروقة في البحر هو الثابوت في اليم، وقتل الغلام قتل القبطي، وإقامة الجدار من غير أجر، سقي غنم الجاريتين بماء مدين من غير أجر. وما فعلته عن أمري]^(٦) زبدة الحديث.

امتثل الخضر طاعة موسى لمعرفته بمنزلته، وإن لم يكن تحت شريعته ولكن الأدب لازم. فنهاه عن الصحبة؛ إن وقع السؤال الثالث، فوقع فكان الفراق، ولم يقل في ذلك «موسى» شيئاً.

فلو لم يكن مقصوداً لموسى ذلك الخطاب لاعتذر واستدرك الأمر. قال سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم: «ليت موسى سكت أو صبر»^(٧). يعني ليته لم ينهه عن صحبته حتى يقص علينا من أخبارهما فكان الخضر قد أعد له ألف مسألة^(٨)، كلها اتفقت لموسى^(٩)، وكلها ينكرها عليه.
والله أعلم.

-
- (١) في (س): (والأمر).
 - (٢) هذه المسألة في النسخة (س) رقمها (٢٠٨).
 - (٣) في (س): (عليهم الصلاة والسلام).
 - (٤) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١١٤.
 - (٥) في (م): (القلب).
 - (٦) ما بين معقوفتين سقط من (س).
 - (٧) حديث: «ليت موسى سكت أو صبر». انظر صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٣ مع اختلاف يسير في اللفظ وابن حجر في فتح الباري ج ٦ ص ١٣ ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت. والنسائي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٩٠ ح ١١٣٠٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت.
 - (٨) في (م، س): (مسئلة).
 - (٩) في (س): (عليه السلام).

مسألة (٢٣١) (١)

الدموع دمعتان: دمعة فرح: وهي من برد اليقين باللقاء. فلذلك تخرج باردة. ودمعة حارة: وهي دمعة المحزونين وتتفاضل درجاتهم بتفاضل المحزون عليه. فافهم. والله أعلم.

مسألة (٢٣٢) (٢)

حاجة الكون إلى الله تعالى ذاتية^(٣) فلا تعين حاجة بعينها. فأبي عبد عين إلى الله تعالى حاجة فقضاها له زالت عبوديته إلى الله تعالى، وقره إليه من حيث تلك الحاجة. وهذا مقام خطر. وفيه قال الله تعالى: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مِّنْهُ﴾^(٤). واعلم أن في عباد الله من لم تبق لهم إلى الله تعالى حاجة لعلمه بأنه أعلم بما فيه الخيرة له منه^(٥). والله أعلم.

مسألة (٢٣٣) (٦)

إيّاك والاعتزاز بصفاء الأوقات. فإن في طيها آفات، لا يعرفها إلا من أشهده الحق تعالى إيّاها. واعلم أن تفقد القلب من علامات التيقظ. والله أعلم^(٧).

مسألة (٢٣٤) (٨)

قدرك عند الله تعالى قدره عندك. رأى بعض الصالحين رجلاً سأله مسكين، معروفاً بالله. فأخرج صرة فيها قطع من الفضة كبار وصغار. فأخذ يفتش على أصغر قطعة فيها حتى يدفعها للسائل. وكان مع ذلك الصالح رجل صالح آخر فقال له يا أخي: أتعرف ماذا يفتش

(١) سقطت المسألة رقم (٢٣١) من النسخة (س) كاملة.

(٢) في (س): أخذت هذه المسألة رقم (٢٠٩).

(٣) في (م): (ذاتية).

(٤) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية ١٢، مكة.

(٥) (له) الإضافة من (س).

(٦) هذه المسألة رقم (٢٠٩) في (س).

(٧) في (س): (والله تعالى أعلم).

(٨) هذه مسألة رقم (٢١١) في النسخة (س). وسأكتفي بهذه الإشارة. ولن أشير إلى التسلسل باعتبار ما قدمته من إشارات يكفي ليوضح الفرق بين المخطوطتين. حتى لا أثقل على القارئ.

هذا؟ فقال له: قل. فقال: هذا سُئِلَ بالله فأخذ يفتش على قدره عند الله. فعلى مرتبته عند الله يفتش.

ثم ردَّ وجهه للمعطي فقال له: على قدر ما تهب لوجهه يكون وجهك عنده فكبر أو صغر وعظم أو حقر. والله أعلم.

مسألة (٢٣٥)

إذا شرع الإنسان في العمل فهو بين القبول والرد. فإما، وإما. وإذا رمى العبد نفسه بين يدي ربه وطرحها عند بابه فقيراً حقيراً ذليلاً فهو مرحوم بلا شك. واعلم أن الفقر من الله تعالى ذل لازم، والفقر إلى الله تعالى عزّ دائم. فالفقير من الله تعالى خائف من كل شيء. والفقير إلى الله تعالى ما عنده خبر من شيء. والله أعلم.

مسألة (٢٣٦)

عندنا جميع المخالفات كبائر. فإن الذي يعصى بها واحد^(١). واعلم أن الحق تعالى خلق الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا ومحاسن الخلق فيؤدبهم إلى الزهد في الدنيا، وحسن الظن بالناس. فعكس الناس القضية نظروا إلى محاسن الدنيا ورغبوا فيها، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم، ومقتوهم. ومن حصل له هذا النزول^(٢) من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط. وتورث عنده سُكراً^(٣). وأشهدُ لقد بقيت في لذتها أياماً كثيرة. والله أعلم.

مسألة (٢٣٧)

نهر طالوت نهر بلوى. فهو نهر الدنيا من أخذ القوت منها لم يتعد تلك^(٤) الغرفة إذا اغترفها كسباً بيده. فإن تجرد عن الكسب فهو قوله: «فمن لم يطعمه فإنه مني»^(٥). فقوت المتجرد ليس من الدنيا، لأنه ما أخذ من الدنيا شيئاً. فما أحسن هذا التنبيه الإلهي.

(١) في (س): (والله أعلم).

(٢) في (س): (التنزيل).

(٣) في (س): (شكراً). والشكر أفضل بطبيعة الحال.

(٤) في (م): (فذلك). وفي (س): (لتلك).

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٤٩، مدنية.

ومن شرب منه، وأمعن فيه زائداً على الضرورة في الكسب فليس مني. وليس على المتجرد تقييد^(١) في الاتساع فيشرب من فضل الله، ويروى من جود الله المطلق الذي لم تدنسه أيدي المحدثات لكسب. فمن فهم هذه الإشارات علم ما بين الرزقين، وأدرك الفضل بين النوعين.
والله أعلم.

مسألة (٢٣٨)

في معنى قوله، صلى الله عليه وسلم: (السلام أمان فمن سلم عليك فقد أمانك مما تحذر منه)^(٢). السلام علينا مشروع في التشهد في الصلاة. فأمنتنا به من أنفسنا. ولما^(٣) خاف الإنسان من نفسه إن تورده الموارد المهلكة، آمنه الله من ذلك في التشهد في الصلاة فشرع أن نقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)^(٤).
وشرع لنا، أيضاً، أن نسلم في الصلاة على النبي، (صلى الله عليه وسلم). لأجل رده صلى الله عليه وسلم^(٥)، علينا. ولأنه الظاهر بأسماء الله تعالى. فأمنك بذلك من اسمه المنتقم ونظائره من الأسماء الإلهية الجلالية^(٦).
والله أعلم.

مسألة (٢٣٩) (٧)

ذلة العبد رجوع إلى أصله، وتكبيره خروج عن أصله. ومن خرج عن أصله تعب.
والله أعلم.

مسألة (٢٤٠)

ما ظهر الحق إلا بك فأنت أخفيته، وإن زلت فلن يظهر فلا بدّ منك. فافهم.
والله أعلم.

-
- (١) في (س): (تقييد).
(٢) حديث: والسلام أمان فمن سلم عليك فقد أمانك مما تحذر منه. لم أعر على هذا الحديث في المراجع الموجودة بين يدي.
(٣) سقطت من: (م).
(٤) جزء من التشهد الوارد في (التحيات).
(٥) سقطت من (س) جملة الثناء على النبي.
(٦) سقطت من (س).
(٧) المسألان رقم (٢٣٩، ٢٤٠) سقطنا من (س) كاملتين.

مسألة (٢٤١)^(١)

ليس السخي بماله، وإنما السخي من سخي بنفسه على العلم.
والله أعلم.

مسألة (٢٤٢)

إن عامل الحق تعالى عباده بالسخاء فقد نجوا، وحصلت لهم السعادة. وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم. وإن عاملهم بالجود ضاعف السعيد، وأسد الشقي. وصير جهنم دار نعيم على أهلها. وإن عاملهم بالوهب فبخ على بخر فهو الحكيم العليم.

مسألة (٢٤٣)

لا يتكرر الحساب من الكريم فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يُحاسب في الآخرة. ومن كرمه عز وجل: أن جعلك تحاسب نفسك في الدنيا ما كلف أحداً بحسابك. فجعل لك ما أخره في حق غيرك من قوله: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾^(٢).

والسعيد من إذا صلى العشاء الآخرة جعل صحيفة أعماله في ذلك اليوم بين يديه، ونظر فيها. فإذا رأى ما يطلب الشكر شكر، وما يطلب الاستغفار استغفر، وما يطلب التوبة تاب. ثم يطوي صحيفته وينام على شكر، واستغفار، وتوبة. يفعل هذا كل ليلة. فإنه لا يدري متى يفجأه الموت. دليله ما قال صلى الله عليه وسلم: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)^(٣).

والله أعلم.

مسألة (٢٤٤)

في معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(٤). ما خص ديناً من دين. وإنما كانت الإجابة لحال اضطرار. فلا تغتر بعد هذا الذي تبتهك عليه.

والله أعلم.

(١) سقطت المسألة (٢٤١) من (س).

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ١٤، مكة.

(٣) حديث: سقط بكامله من (س). وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. انظر التحفة السنية (مخطوط) السيد عبدالله الجزائري ص ١٤٥ ونظم دور السمطين للزرندي الحنفي ص ١٢٤ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٤٧٦ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ٦٢، مكة. وقد سقطت من النسخة (س).

مسألة (٢٤٥)

الراحة كل الراحة إذا بعثت أحداً في حاجة فلا تنتظر دخوله إليك بها ولو غاب^(١) سنة. وإذا جاءك فلا تقل له ما الذي أبطأ بك. فإن جاء إليك^(٢) بحاجتك فما أبطأ بها إلا وقتها، لا من بعثته. وإن لم يجيء بها إليك^(٣) فاعلم أن وقتها ما حان. تكن مستريحاً من^(٤) تعب الانتظار. والله أعلم.

مسألة (٢٤٦)

الحرفة حجاب على أعين الناظرين، وعلى عين المحترف. ولا يرتفع ذلك الحجاب حتى لا تتناول من كذك شيئاً. والله أعلم.

مسألة (٢٤٧)

نور الشمس على صفة واحدة فيضرب في الزجاج المتلون فينعكس فتظهر فيه الألوان، على ما عليه الزجاج في مرآة العين. والنور في عينيه ما تغير، فافهم المثل، فإنه قد جُلّ. وكذلك التحول في العلامة يوم القيامة فالزجاج القلوب. والألوان الاعتقادات. والحق تعالى لا يتغير. ولكن هكذا نراه. والله أعلم.

مسألة (٢٤٨)

ينزل الله تعالى مطراً من السماء مثل مني الرجال. عندما يريد الحق تعالى بروز الناس من قبورهم. فينشئهم الله تعالى من ذلك الماء فينبتون نباتاً. فإذا ظهرت الأجساد من القبور تولتها الأرواح بالتدبير على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة، بعد أن كانت عزلت عنها، وما عزلت. بل الدار تهومت، والملك باقي بيد صاحبه. فلما بنيت له رجع إليها لسكنها كما كان أول مرة فقوى أساسها، وأحسن بناءها، وحفظها من الخراب. فهي دار باقية غير فانية. ونشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا إلا في الاسم. والله أعلم.

(١) في (م): (وغياب سنة).

(٢) سقطت من (س).

(٣) سقطت من (س).

(٤) في (س): (ما جاء فنكون مستريحاً).

مسألة (٢٤٩)

من نادى ربه، وأخفى نداءه، ودعاه فيما ذكره ويضيفه إلى ربه أنه فعله به احتراماً
لجنابه، لارغبة في الإخلاص. فإنه مخلص في دعائه، ومرحوم بالرحمة الربانية. وهذا من
باب الغيرة على الجناب الإلهي.
والله أعلم.

مسألة (٢٥٠)

اطلب من الله تعالى من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك. فإن ابن
آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث^(١). صدقة جارية عليه، أو علم يبثه في الناس، أو
ولد صالح يدعو^(٢) له بالخير.
والله أعلم.

مسألة (٢٥١)

النفس مجبولة على طلب المنافع، ودفع المضار. فاسأل ربك المنفعة العامة، وليس إلا أن
يزول عنك الألم، وترزق الالتذاذ بكل ما يجري عليك.
والله أعلم.

مسألة (٢٥٢)

غذاء الحيوان أنفاسه، وغذاء الجواهر والأجسام أعراضها. ولما لم يكن للعرض غذاء فني
في الزمن الفرد الذي يلي زمان وجوده. فقال أهل الكلام: «العرض لا يبقى زمانين، غير قائم
بنفسه». وهو إلهام عجيب من الله تعالى وفقهم له حين ألهمهم الذي عليه الأمر^(٣).
والله أعلم.

مسألة (٢٥٣)

الجود المطلق العطاء ابتداءً من غير طلب عوض وهو المحسان^(٤).
والله أعلم.

(١) في (س): (ثلاثة).

(٢) في (س): (بدعوا).

(٣) في (م): (الذي الأمر عليه).

(٤) أي رجل محسن، ومحسان. أي كثير الإحسان ومحسان، على قول سيويه. انظر: لسان العرب، مادة (حسن)، طبعة
دار المعارف، بمصر.

مسألة (٢٥٤)

اعلم أن اللطيف المركب مع الجسد الكثيف يُسمى الروح. وهو جسم لطيف سارٍ في جميع أجزاء البدن. وذراته محمول على بخار الدم. واللطيف المذكور يسمونه الأطباء روحاً حيوانياً. والأغذية تمدّه والبخار الغريزي يحفظ نظامه. والرطوبة الأصلية متممة لقوامه ويموت بموت البدن. ويدثر بدثوره. وينمو، ويزيد، ويضمحل ويبيد. وهو الحيوان والإنسان.

واعلم أن هذا اللطيف الحي موجود في النبات والحيوان، والإنسان. وفي كل حي متحرك ذي نفس سائلة وغير سائلة. وأنها غير الروح الإنساني، وغير النفس الناطقة، وغير روح الحيوان ذات الحس والحركة. وأن النبات يحيا^(١)، ويتغذى^(٢)، وينمو. وتسمى هذه الروح النامية لا الحساسة، ولا غيرها. والله أعلم.

مسألة (٢٥٥)

اعلم أن هذا الجنس الروحي يتنوع إلى تسعة أنواع:

الأول: روح كلية حاملة نظام العالم بأسره كلياته، وجزئياته. وتسمى هذه الروح الطبيعية الفاعلة المنفعلة، القائمة بكل شيء قياماً على ما ذلك الشيء به.

الثاني: روح المعدن، وتسمى الخاصة. وهي للمعدن، والنبات، والحيوان، والإنسان.

الثالث: روح كلية مخصصة لكل نوع، وكل شخص من أشخاصه بخواص يتميز عن غيره بها.

الرابع: روح النبات، وهي النفس النامية بها نموه، ونمو الحيوان، ونمو الإنسان.

الخامس: روح الحيوان، وتسمى الروح الحيوانية. ولها الحس والحركة وهي في الإنسان، وفي الحيوان. إذ بها يتحرك الحيوان ويحس المحسوسات الخمس. وليس ذلك للنبات، ولا للمعدن.

السادس: روح الإنسان، وهي النفس الحيوانية الكاملة الإحساس والحركات، والتي لها الأوصاف الحيوانية: كالمحبة، والبغض، والرضى، والغضب، والجور، والطمانينة، والإقبال، والإدبار، والطلب، والهرب، والشهوة، والكراهية. وسائر صفات الإنسان الحيوانية. محمودها، ومذمومها المتفرقة في أنواع الحيوان بالطبع والخاصية. والمجموع في الإنسان

(١) في الأصل: (يحى).

(٢) في الأصل: (يتغذا).

بالقصد، وبالخاصية، وبالطبع. وهذه الروح إذا انحلت تركيب الإنسان ذهبت عنه، وبقي فيه الروح الكلية الحاملة للنظام، والمسماة الطبيعة الفاعلة، والمنفصلة فقط.

السابع: روح مختصة بالإنسان تسمى النفس الإنسانية المشتركة بين الحيوانية من الإنسان، وبين الناطقة منه. وهي المتصفة بالفضائل والرذائل. وليست موجودة في الحيوان، ولا النبات ولا المعدن. وسميت مشتركة لكونها متصفة بما ذكر. متوسطة بصفاتهما بين الروح الحيواني في صفاته، وبين النفس الناطقة في صفاتها.

الثامن: روح الإنسان الخاصة به وتسمى النفس الناطقة وهي في الإنسان دون المولدات الثلاث. وهي جوهر حي، ذرّك، شاعر ببعض المغيّب. عالم البعض ما في المستقبل بالاستقراء الشيق إلى معرفة المبدع له. فاعل بقواه ما لا تفعله أرواح المولدات وقواها.

ولهذه النفس الناطقة سبع خواص باطنة من قوى ظاهرة بالدماغ، ولها خمس خواص ظاهرة قلبية مشتركة للدروك بين قواها وقوى النفس الحيوانية.

فأما أسماء الخواص الباطنة الدماغية التي مظاهرها بطون الدماغ:

قوة تسمى الحس المشترك: مظهرها أول بطن من بطون الدماغ بمقدم الرأس. وقوة التخيل بمؤخر هذا البطن ومظهرها به، أيضاً. وبهاتين القوتين يشعر الإنسان بسائر المعلومات المرتسمات فيها، وسائر الأشياء المتخيلات حقاً كان أو باطلاً، صدقاً أو كذباً، ممكنة الكون أو مستحيلة هذا دأب هاتين القوتين.

ثم البطن الوسط من بطون الدماغ الثلاثة. مظهر للقوة المفكرة العاقلة الداركة المثبتة للحق حقاً وللباطل باطلاً، وللصدق صدقاً، وللكذب كذباً. والقاضية في الخيال بما يجب، وما يجوز، وما يستحيل. ومظهرها وسط الوسط. وهي محسوسة في هذا البطن بالظهور بين قوتين مظهرهما به، وكذلك أحدهما.

أحدهما: تسمى القوة المتوهمة: التي بها المتوهمة والوهم في الأشياء، والتردد، والتشكيك. وهذه في طرف البطن الذي يلي التخيلة.

والثانية: تسمى القوة الفاهمة في الطرف من البطن مما يلي مؤخر الدماغ، وبهذه نفهم الأشياء على اختلاف أحوالها. ونفهم المعاني، والمعقولات. ثم البطن الأخرى مظهر قوة الذكر.

وتسمى الذاكرة:

وهي مما يلي الفاهمة بها التذكر لكل منسي وكل شيء كان علمه قد تقدم.

وآخر هذا البطن مظهر للقوة الحافظة: بها يحفظ الإنسان المعلوم والمعلومات وسائر المتحصلات لباقي القوى المذكورة.

فكما أن الحس المشترك قناص يحتوي^(١) باقتناصه على سائر المعقولات والمحسوسات. وكأما المتخيلة ناقد معتبر لكل ما في شبكة الحس المشترك من صيد. هاتان القوتان بمنزلة الشياطين والفساق الماردين.

وكأما القوة المفكرة ملك كريم، وبشر عليم حلیم ورجل جامع للخير والفضل. وقوة الوهم حاجب بين يديه يعرض القصص عليه. وقوة الفهم كاتب حاسب لبيب ضابط يكتب أحسن ما يسمع. ثم يلقيه إلى القوة الذاكرة، فتحصله في ذكراها ثم تلقيه إلى القوة الحافظة التي هي بمنزلة اللوح الأمين الخازن. وكأما هاتان القوتان ملائكة كرام ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢). فانهم.

وأما الحواس الظاهرة:

فالقوة الباصرة: ومظهرها العين، ومداهما المنظور لها أنوار الكواكب، ونصف دائرة الفلك توهماً، وما بين ذلك وبين الباصرة.

ثم القوة السامعة: ومظهرها صماخ الأذن. ومدى سمعها دائرة محيطة من سائر الجهات بحسب قوتها وضعفها.

ثم القوة الشامة: ومظهرها الأنف ومنخراه، ومدى مشامها من جهة قصد الهواء إليها. وبحسب قوة المشموم، وضعفه.

ثم القوة الذائقة: ومظهرها رأس اللسان دون الفم كله.

ثم القوة اللامسة: ومظهرها سطح البدن والجسد كله باختلاف في أجزائه. كلمس الشيء بالرجل ناعماً معتدل الحرارة وبالكف خشناً حاراً. وبالخد الخشونة والحرارة.

وهذه الحواس مشتركة بين الإنسان والحيوان في الإحساس بها. وهي في الإنسان أزيد إلا حاسة الشم. فإنها في الحيوان الساعي أقوى.

وكذا حاسة البصر فإنها في الطير أقوى لشدة الحاجة من الحيوان إلى البصر والشم.

النوع التاسع:

روح الأرواح، وتسمى هذه الروح العقل الإنساني والهيولاني، والجوهر المفارق، والملاك

(١) في الأصل: (يحتوش).

(٢) القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية ٦، مدنية.

الكروبي ذو التدبير في المملكة الإنسانية، والقابل للفيض الإلهي، والوحي الإلهامي والتكليم الرباني، والخطاب العلمي المسموع بواسطة حجاب ما من الحجب المعنوية الروحية. أو مكافحة رسول من الملائكة الأقدسين الروحية النورانية. أو وحي ينفث في الروح أو قول عام باللسان المطلق.

ولهذا الجوهر المفارق مادة الثبوت بحسب مرتبته الجوهرية وهو المخلوق بأحسن تقويم، وفيه أقول:

وَهُوَ الْحَقِيقَةُ^(١) حَاكِمًا وَمُحَكِّمًا مُتَّصِرَفٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ
وَلَأَجْلِهِ كَانَ الْجَمِيعُ لِأَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْصَافِ
فَاعْرِفْهُ مَخْلُوقًا تَعَالَى رُؤُهُ عَنْهُ وَهَذَا فِي الْمَبَادَةِ كَمَا فِي

وهذا لا يموت بموت بدن يبقى حياً مجرداً. مرتسمة فيه^(٢)، وله، وبه مكتسباته، ومستفاداته، ومعلوماته أبدأً. مبتهجاً بذاته المستعدة لقبول الفيض العلي، والمادة الثبوتية وإن علمه، وعالمه، ومعلومه واحد. وأنه في حفظ النفس الناطقة بالإمداد لها والتجلي كحفظها لنظام النفس الحيواني. وكحفظ البدن بالنفس الحيواني على ما اقتضته الحكمة الإلهية. والله أعلم^(٣).

مسألة (٢٥٦)

للإمام حجة الإسلام الغزالي، قدس الله سره.

قال رضي الله تعالى عنه: اعلم أن الحق تعالى إنما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره. فظهوره سبب بطونه، ونوره حجاب نوره. ولعلك تتعجب من هذا الكلام، وتستبعده ولا تفهمه إلا بمثال.

فأقول: لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها قادر سميع بصير. ولم يدل عليه إلا صورة كلمة واحدة وكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب، فما من ذرة في السموات والأرض من فلك وكوكب وشمس وقمر

(١) في (س): (الخليفة) وربما كانت أفضل.

(٢) في (س): (وهذا لا يموت بموت البدن بل يبقى فيه) والباقي سقط.

(٣) هنا نصل إلى نهاية النسخة (س) التي هي نسخة المسائل. وهي المسألة رقم (٢٢٣) حسبما ورد بها. ويختتم الناسخ بقوله: «والله المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين». فرغ من كتابة هذه المسائل الشريفة الأكبرية العبد الفقير: كمال الدين محمد بن محمد بن محمد العامري الحسيني الصنّيعي، الشهر كأسلافه: بابن الغزّي. غفر الله له. صبيحة يوم الجمعة ٢١ من شهر شوال المبارك من شهر سنة (١١٩٩) أحسن الله ختامها.

وحيوان ونبات وصفة وموصوف إلا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها، وخالق خلقها وخصصها بخصوص صفاتها. بل لا ينظر الإنسان إلى عضو من أعضائه، وجزء من أجزائه ظاهراً وباطناً. بل إلى صفة من صفاته وحالة من حالاته التي تجري عليه قهراً بغير اختياره إلا ويراه ناطقة بالشهادة بخالقها، وقاهرها، ومدبرها.

وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته، وخارجاً من ذاته. ولكن لما كثرت الشهادات، وأشفقت خفيت وغمضت بشدة الظهور.

ومثال هذا أن ظهر الأشياء ما يدرك بالحواس، وأظهرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق مع الأجسام، الذي به يظهر كل شيء، فما يظهر به كل شيء. كيف لا يكون ظاهراً. ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب لا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور. وكنت تنظر إلى الأنوار فلا ترى إلا الحمرة والسواد والبياض.

فأما النور فلا يدركه إلا بأن تغيب الشمس، أو يقع لها حجاب بما له ظل. فيدرك باختلاف الأحوال بين الظلمة والضياء أن النور شيء آخر يعرض للأكوان فتصير مبصرة به.

ولو تصور لله غيبية أو لأنوار قدرته حجاب عن بعض الأشياء لأدركت التفرقة بين الحالتين. وعرف وجوده قطعاً. ولكن لما كانت الأشياء كلها متفقة في الشهادة، والأحوال كلها مضطردة على نسق واحد كان ذلك سبباً لحفائه فسبحان من احتجب بنوره، وخفي عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه، وهو الباطن الذي لا أبطن منه. والله أعلم.

مسألة (٢٥٧)

قال الإمام أبو القاسم الجنيد^(١)، رحمه الله تعالى: «التوحيد: أفراد القدم عن الحدوث». وقال غيره: «التوحيد أن يكون الحق تعالى عندك على ما لم يزل، وأن يكون الخلق على ما لم يكن».

وقال غيره: «إثبات ذاته غير معطلة من الصفات، ولا شبيهة بالذوات».

وقالت الأشعرية^(٢): «إن الصفات أعيان زائدة على الذات لا يقال إنها الذات ولا غير الذات، احترازاً من قول المعتزلة^(٣) فإنهم يقولون إنها نفس الذات، واحترازاً من قول

(١) سقت الإشارة إليه.

(٢) سقت الإشارة إليها.

(٣) سقت الإشارة إليها.

الكرامية^(١)، فإنهم يقولون إنها غير الذات، وإنها حوادث». تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقال أهل التحقيق من الصوفيين: «إنها نسب ثابتة الأحكام، معدومة الأعيان». والذي يليق بنا أن نعتقده، ونعلمه أن صفات الحق تعالى ثابتة الأحكام بلا خلاف عند العقلاء. وأما أعيانها فلا تتعرض لها بنفي ولا إثبات. وهذا طريق السلامة والله أعلم.

مسألة (٢٥٨)

سُئِلَ الإمام علي، كَرَّمَ اللهُ تعالى وجهه. وأعاد علينا من بركاته: «هل عرّفت الله بمحمد؟ أم عرّفت محمداً بالله تعالى؟».

- لو عرّفت الله بمحمد لما عبدته، ولكان محمد أوثق من الله تعالى في نفسي. ولو عرّفت محمداً بالله لما احتجت إلى رسول الله. ولكن الله عزّ وجلّ عزّفتني نفسه كما شاء، وبلا كيف. وبعث محمداً، (صلى الله عليه وسلم) بتبليغ أحكام القرآن، وبيان معضلات الإسلام والأيام، وإثبات الحجّة، وتقويم الناس على منهج الخلاص. فصدقته لما جاء به من عنده. انتهى ذلك.

مسألة (٢٥٩)

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي في أحسن صورة)^(٢).

فاعلم أنه ليس المراد به صورة الذات. إذ الذات المقدسة لا صورة لها من حيث التخيل بالمثال. كما تخيل جبريل (عليه السلام) في صورة «دحية الكلبي». وليس بمعنى أن ذات جبريل انقلبت ذات دحية. بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة لرسول الله، (صلى الله عليه وسلم) مثلاً مؤدياً عن جبريل ما أوحى إليه. وإذا لم تكن تلك الاستحالة في حق الملك عن حقيقة فلأن يكون ذلك في حق الله تعالى ورسوله، (صلى الله عليه وسلم)، أولى.

(١) الكرامية: هي الفرقة التي تتبع أبي عبد الله: محمد بن كرام السجستاني الزاهد شيخ هذه الطائفة ومؤسسها. وكرام ينطقها أكثر العلماء (بفتح الكاف وتشديد الراء) والكرامية بخراسان ثلاثة أصناف: حقائقية، وطرائقية، وإسحاقية. وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضاً وإن أكفرها سائر الفرق. وهم يدعون إلى تجسيم المعبود، ويقولون إنه جسم له حدّ ونهاية من تحت، والجهة التي منها يلاقي عرشه. يقول البغدادي: وهذا شبيه بقول الثوبية: «إن معبودهم الذي سموه نوراً يتأهى من الجهة التي تلاقي الظلام وإن لم يتأهى من خمس جهات. وقد وصف ابن كرام معبوده بأنه جوهر». انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة». سقت الإشارة إليه.

مسألة (٢٦٠)

رب الأرباب هو الحق باعتبار الاسم الأعظم.
 والتعين الأول: هو منشأ جميع الأسماء. غاية الغايات متوجه الرغبات كلها. وهو الحاوي لجميع المطالب. واليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾^(١). لأنه صلى الله عليه وسلم مظهر التعين الأول. فالربوبية المختصة به هي هذه الربوبية العظمى.
 والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٦١)

اعلم أنه قد ألحق الممكن بالواجب في الوجوب فله الإيجاد. فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من الأسماء والنسب فله الإيجاد على الإطلاق ما عدا^(٢) نفسه. وللخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا^(٢) نفسه.
 فالخيال موجود لله تعالى في حضرة الوجود. والحق تعالى موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثل.

الْكُلُّ يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَضَرِ أَجْمَعِهِ فَلَيْسَ لِمِ سِوَى مَنْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ
 فَاَعْجَبْ بِتَفْعِيلِ فِي ذَاتِ فَاعِلِهِ يَكُنْ بِهَا فَاعِلاً وَالْكُلُّ قَدْ جَمَعُوا
 عَلَى وَجُودِ الَّذِي قُلْنَا مِنْ عَجَبٍ^(٣)

مسألة (٢٦٢)

في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٤).
 قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي من كرامة الله تعالى. ﴿فتدلى﴾: أي من كرامة الله تعالى. يعني أن كرامة الله تعالى أحاطت به من جميع نواحيه.
 وقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾. لا تظن أنه بقي بينه وبين ربه تعالى من المسافة كقاب قوسين تعالى الله عن ذلك. بل معناه أنه تعالى علاه عن العوالم جميعها حتى لم يبق بينه وبين الخروج من حد العالم. يعني أن لا يكون مخلوقاً إلا كقاب قوسين.

(١) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية ٤٢، مكة.

(٢) في (م): (ما عدى).

(٣) سقط الشطر الثاني من الناسخ ولم أهد إليه بعد بحث.

(٤) القرآن الكريم، سورة النجم، الآيات (٨، ٩)، مكة.

فقيل له: «قف فقد وقف بك الزمان لأنك جسم، ومن لوازم الجسم المكان. وأما من لا يحتاج إلى المكان لذاته فهو الله تعالى وحده».

والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٣)

اعلم أن النعم تنقسم إلى مطلقة من كل وجه، وإلى مقيدة من وجه دون وجه. أما النعم المطلقة فكالإيمان، وحسن الخلق. وما يعين عليهما مما يفضي إلى السعادة في الآخرة بالقرب من جوار الله تعالى.

وأما النعم المقيدة فكالمال، وصحة البدن وغيرهما بما فيه صلاح الدين من وجه، وفساده من وجه. وكذلك المصائب تنقسم إلى مطلقة من وجه، وإلى مقيدة من وجه دون وجه. أما المصائب المطلقة: فالكفر، والمعصية، وسوء الخلق المفضية إلى الشقاوة في الآخرة بالبعد عن جوار الله تعالى: إما مدة، وإما أبداً.

وأما المصائب المقيدة من وجه دون وجه. فالكفر والمرض، وسائر أنواع المصائب. فأما النعم المطلقة فإنه يجري فيها حكم الصبر والشكر معاً. أو الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة.

وأما المصائب المطلقة فالصبر عنها أيضاً هو عين شكر النعمة التي امتنع من استعمالها في المعصية. فقد ظهر جريان حكم الصبر والشكر في فعل النعم المطلقة، وفي الصبر عن المصائب المطلقة.

أما الصبر على المصائب المطلقة فلا معنى له بل حق تركها. بل كل مؤلم يمكن إزالته ومات بسببه مات عاصياً. وإنما يؤمر بالصبر على ما لم يكن إزالته، وقد صبح أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه حكمة ونعمة. إما على جميع الخلق، وإما على بعضهم. فإذا في كل معصية نعمة. إما على الميتلي وإما على غيره. فإذا كل حالة لا توصف أنها بلاء مطلق، ولا نعمة مطلقة يجتمع فيها الصبر والشكر معاً.

فإن قيل هما المتضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على مُعِمْ، ولا شكر إلا على مفرح.

فاعلم أن الشيء قد يفتّم به من وجه، ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام، ويكون الشكر من حيث الفرح. ومن آمن بأن أجر المصيبة خير من المصيبة؛ تصور منه الشكر على المصيبة.

واعلم أن النعمة أفضل من البلاء. ولذلك قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (سلوا الله العافية. فما أعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين)^(١).

أشار به إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك. وقد كان يستعيز بالله من شر الدنيا والآخرة. ولأن البلاء إنما صار نعمة بالإضافة إلى ما هو أكبر منه. إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وبالإضافة إلى ما يرجى بالصبر عليه من الثواب.

وأما بيان أن الصبر أفضل أو الشكر: فقد وقع فيه خلاف بعيد التحصيل، والذي يوضح حقيقة هذه المسألة هو أن تعلم أن الصبر والشكر اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى. ويسمى شكراً بالإضافة إلى باعث الدين.

وباعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه.

واعلم أن مجاري الصبر ثلاثة: الطاعة، والمعصية، والمصيبة.

فقد ظهر حكم الصبر، والشكر في الطاعة والمعصية. وأما المصيبة عبارة عن فقد نعمة. وهي إما نعمة ضرورية كالعين مثلاً. وإما نعمة احتياجية كالزائد على قدر الضرورة من المال. أما العينان فصبر فاقدهما إنما هو بأن لا يظهر الشكوى وأن يظهر الرضى بقضاء الله تعالى وشكره. وأحدهما إنما بأن يستعملهما في طاعة الله تعالى، وأن لا يستعين بهما على معصية. وكل منها لا يخلو من الصبر والشكر. وأما الزيادة على قدر الضرورة من المال، ففقد الزيادة على قدر الضرورة مما هو محتاج إليه مُغْتَمٌّ مؤلِّمٌ. ففي العبد عليه مجاهدة، وهو جهاد الفقر، ووجود الزيادة نعمة. وشكرها أن تصرف في الطاعة، وأن لا تستعمل في المعصية. فإن أضيف صبر الفاقد إلى شكر الواجد الذي صرف الزيادة في الخيرات فهذا الشكر أفضل من هذا الصبر لأن فيه فرح بأنعم الله. وفيه صبر على احتمال ألم صرفه للفقراء وترك صرفه إلى التمتع المباح.

وأما إذا كان شكره لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التمتع المباح، فالصبر هناك أفضل من الشكر. فالفقير الصابر أفضل من الغني الصارف ماله إلى المباحات، لا من الصارف ماله إلى الخيرات. فرب غني شاكر، أفضل من فقير صابر، وهو الذي لا يمسك

(١) حديث: «سلوا الله العافية فما أعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين». انظر مسند أحمد ج ١ ص ٨ ط دار صادر - بيروت. وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٥ ح ٣٦٦٤ ط دار الفكر - بيروت. السنن الكبرى، السنائي ج ٦ ص ٢٢١ ح (١٠٧٢٠) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

لنفسه مالاَ إلاَ قدر الحاجة، ويصرف الباقي في الخيرات. أو يمسكه على أنه خازن للمحتاجين. فمتى وجد محتاجاً صرف إليه قدر حاجته ابتغاء مرضاة الله في نفع عباده. فهذا هو الغني الشاكر، الذي هو أفضل من الفقير الصابر. والله أعلم.

مسألة (٢٦٤)

اعلم أن الحق تعالى قد جعل بين الأشياء مناسبات ليربط العالم بعضه إلى بعض. ولولا ذلك لم يلتئم، ولم يظهر له وجود أصلاً. وأصل ذلك: المناسبة التي بيننا وبين الحق تعالى، التي لولاها ما وُجدنا، ولا قبلنا التخلق بالأسماء والحضرات الإلهية. فما من حضرة له تعالى، إلاَ ولنا فيها قدم ولنا إليها طريق، وأعظم الحضرات الإلهية في هذا الباب أنه لا يشبهه شيء. وما ثمَّ إلاَ نحن، ومن لم يشبهك ولم تشبهه. فكما انتفت المثلية عن الحق تعالى انتفت المثلية عن العالم. لأنه مبدع على غير مثال. فلا مثل لله تعالى إلاَ أن يكون إليه آخر. ولا إله إلاَ الله تعالى فلا مثل لله تعالى، ولا مثل للعالم، إلاَ أن يكون عالم آخر، ولا عالم إلاَ هذا العالم، فلا مثل للعالم.

فصحت المناسبة لنا من وجهين من نفي المثلية ومن قبولنا الأسماء والحضرات الإلهية. فـ ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١). آية لله تعالى، ولنا من أجل الكاف مؤذن بالاشتراك في التناسب. والله أعلم.

مسألة (٢٦٥)

اعلم أن كل صورة في العالم عَرَض في الجوهر. وهي التي يقع عليها الخلع، والسلخ، والجوهر واحد. والقسمة في الصورة لا في الجوهر. والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٦)

اعلم أن الروح من حيث جوهره، وتجرده، وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير لبدنه، قائم بذاته، غير محتاج إليه في قوامه وبقائه. وإنما يتعلق به تعلق تدبير له. ومن حيث إنه صورته، ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة، محتاج إليه غير منفك عنه بل سارٍ فيه، لا

(١) سبقت الإشارة إلى الآية الكريمة.

سريان حلول واتحاد بل سريان الوجود المطلق في جميع الموجودات. فليس بينه وبين بدنه مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار.

واعلم أن المرتبة الروحية ظلّ المرتبة الأحدية، والمرتبة القلبية ظلّ المرتبة الواحدية الإلهية. والله أعلم.

مسألة (٢٦٧)

اعلم أن الأثر لا يكون إلاّ للمعدوم، لا للموجود. وإن كان للموجود فبحكم المعدوم. وهو علم غريب ومسألة نادرة. ولا يعلمها ذوقاً إلاّ أصحاب الأوهام، وهم الذين يتوهمون أموراً لا وجود لها وتنفع نفوسهم منها، وتتأثر انفعالاً عظيماً، وتأثراً قوياً. وأما من لا يؤثر فيه الوهم فلا نصيب له من هذه المسألة، بحسب الذوق.

وأما بيان أن الأثر لا يكون إلاّ للمعدوم لا للموجود فاعلم أن الحق من حيث ذاته، غني عن العالمين، ومن حيث أسمائه فإنها تطلب وجود العالم. فوجود العالم مستند إما إلى الحق تعالى من حيث ذاته. وإما إلى صفاته. فالمؤثر إن كان الذات فتأثيرها بحسب النسب التي لا أعيان لها في الخارج أيضاً. فصح أن المؤثر في الموجود وجوده. وهو الذي لا عين له في الخارج.

وأما معنى قولنا: وإن كان للموجود حكم وأثر، فهو أيضاً بحكم المعدوم وهو المرتبة التي بها يحكم الموجود على الشيء. ألا ترى أن السلطان ما دام متحققاً بالسلطنة تجري أحكامه، وتنفذ أوامره في رعاياه، ولو كان صبيّاً. وعند انزاله من السلطنة لا ينفذ له حكم أصلاً مع أنه موجود وكذا جميع أصحاب المناصب. فظهر أن الحكم للمراتب وهي نسب عدمية. والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٦٨)

اعلم أن العلو علوَان: علو المكانة. وعلو المكان.

فعلو المكانة للعلم. وعلو المكان للعمل. لأن المكانة للروح كما أن المكان للجسم.

والعلم روح العمل، والعمل جسده. فاقتضى كل منهما بحسب المناسبة ما يشابهه، ويمثله. فعلو المكانة للعالم. وعلو المكانة للعامل. ومن جمع بينهما فله^(١) العلوان. فالإنسان الكامل له العلوان لا لذاته بل بهما.

(١) في (م): (ومع جمع بينهما...). وعدلت الجملة هكذا بناء على ما فهمته من الفص الرابع من فصوص الحكم لابن عربي وهو فص حكمة قدسية في كلمة إدرسية. انظر: فصوص الحكم، الإشارة السابقة.

فالعلو إذا لهما لا له، وهذا العلو المضاف إليهما إنما هو من جملة ظهور الحق تعالى بالصفات الكونية مثل قوله تعالى: (مرضت ولم تعدني)^(١) ونحو ذلك.

فمن علم أن ليس في الوجود إلا الله تعالى علم أن العلى بالمرتبة والعلى بالمكان ليس إلا الحق تعالى. فأما ما يقتضي نسبة العلو المكاني إليه تعالى فهو قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٢).

فإن العرش أجل الأماكن وأعلاها^(٣) فهو مستوٍ عليه بحسب ظهوره فيه. فبهذا الاعتبار له العلو المكاني. وأما تعاليه تعالى عن إمكان، إنما هو بحسب الذات لا بحسب المظاهر والأسماء. وأما ما يقتضي نسبة علو المرتبة إليه تعالى فهو مثل قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٤).

وكونه تعالى ترجع الأمور كلها إليه. وكذا انفراده تعالى بالإلهية التي لا مرتبة فوقها، ولا أجل منها.

فهو تعالى منفرد بأعلى المراتب، وأعلى الأماكن وأجلها لذاته تعالى. والله أعلم.

مسألة (٢٦٩)

اعلم أنك إذا أمعت النظر في حقائق الأشياء وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض، وبعضها تابعة.

والتبوعة هي الجواهر، والتابعة هي الأعراض ويجمعها الوجود الإلهي. إذ هو المتجلي بصورة كل منها. والجواهر متحدة في الجوهرية فهي حقيقة واحدة، هي مظهر الذات الإلهية من حيث قيوميتها. كما أن العرض مظهر الصفات التابعة. ألا ترى أن الذات الإلهية لا تزال محتاجة بالصفات. فكذلك الجواهر، لا تزال مكتنفة بالأعراض.

وكما أن الذات مع انضمام صفة من صفاتها إليها، تكون اسماً من الأسماء، كلية كانت أو جزئية، كذلك الجوهر مع انضمام معنى من المعاني الكلية إليه يصير جوهرًا خاصاً مظهرًا لاسم من الأسماء الكلية بل عينه. وبانضمام معنى من المعاني الجزئية إليه يصير جوهرًا

(١) حديث: «مرضت ولم تعدني» لم أجد هذا الحديث في المصادر الموجودة بين يدي.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ٥، مكة.

(٣) في (م): (وملاها).

(٤) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية ٨٨، مكة.

جزئياً كالشخص. وتسمى هذه الحقيقة في اصطلاح القوم، أهل الله تعالى، بالنفس الرحماني، والهولي الكلية، وما تعين منها وصار موجوداً من الموجودات يسمى بالكلمات الإلهية. والله أعلم

مسألة (٢٧٠)

اعلم أنه كما أن الروح روح لبدنه فكذلك الحق تعالى روح للعالم. وكما أن الروح يدبر بدنه بقواه فكذلك الحق تعالى يدبر العالم بأسمائه وصفاته. وكما أن الروح ليس بحال في بدنه ولا متحد به فكذلك الحق تعالى ليس بحال في العالم، ولا متحد به. والله أعلم.

مسألة (٢٧١)

اعلم أنه ليس في الوجود العلمي ولا العيني لشيء مثل من كل الوجوه، وإذا لم يكن له مثل، فليس له أيضاً ضد من كل الوجوه، لأنه لتحقق الضدية تتحقق المثلية لأن كل ضد مماثل لضده في الضدية. والله أعلم.

مسألة (٢٧٢)

اعلم أن السعيد من العباد من حال الله تعالى بينه وبين ربوبيته وأقامه عبداً في جميع أحيانه. يخاف ويرجو إيماناً، ولا يرجو أعياناً. فافهم. والله أعلم.

مسألة (٢٧٣)

اعلم أن العبد بحسب ما عمل. فهو المقدس إن كان عمله تقديس الحق تعالى، وهو المنزه بتنزيه الحق تعالى، والمعظم بتعظيم الحق تعالى. ولما لحظ من لحظ من أهل الكشف هذه الرجعة على نفسه.

قال: «سبحاني». فأعاد التنزيه عليه لفظاً كما عاد عليه حكماً. والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٧٤)

اعلم أنك إذا علمت وحدة الحقيقة الوجودية، وأن الحق خلق من وجهه، وأن الخلق حق

من وجه بحكم مقام المعية. وعلمت أن الحق حق، وأن الخلق خلق في مقام الفرقة. وعلمت أن الكل حق بلا خلق في مقام الجمع المطلق، وأن الكل خلق بلا حق في مقام الفرق المطلق. وتحققت بهذه المقامات فكن إن شئت في مقامات الجمع، وإن شئت من مقامات الفرق. فإنه لا يضرُّك حينئذٍ، وأنت مخلص موحد. وتكون مع كل من سبق، ومع كل من لاحق، لأنك قابل بكل المراتب عابد لله تعالى فيها جميعاً.
والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٧٥)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١).
اعلم أنه قد زعم قوم أن خلقها ما وقع إلا في ستة أيام مقدره لا موجودة. وهو خطأ. فإن الله تعالى إنما خلقها في هذه الأيام الستة الموجودة المعلومة عندنا فإنها كانت موجودة قبل خلقها. فإن الأيام للفلك الأعلى لا لها. فإن اليوم دورية غير أن الليل والنهار أمر آخر معلوم في اليوم لا نفس اليوم فحدث الليل والنهار بحدوث السموات والأرض لا الأيام.
والله أعلم.

مسألة (٢٧٦)

اعلم أن من رأى وجود الأشياء كلها من الله تعالى ابتداءً ونشأة^(٢)، ورأى رجوعها إليه عوداً، ورأى معيته في الأشياء بين البدء^(٣) والعود، لم يرَ معوجاً بل كان يرى استقامة محضة لا غير.

فالعارف إذا سئل الاستقامة إنما سئل معرفة حكمة الأشياء في وضعها. ووجوه الحق تعالى فيها. ألا إلى الله تصير الأمور.

مسألة (٢٧٧)

اعلم أنه لولا المحبة ما صح الطلب شيء أبداً، ولا وجد شيء، ولا كانت حركة من شيء إلى شيء. فالمحبة أصل في باب وجود الأعيان، وفي باب مراتبها ومقاماتها، حتى أن الحركة من الخائف في سرية إنما سببها حب النجاة. فالحب أعلى المقامات والأحوال. والساري فيها وهو الأمر الجامع، والأصل الكلي لكونه مقام أصل الوجود وسيده. ومبدأ

(١) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية ٣٨، مدنية.

(٢) في الأصل: (ونشئة).

(٣) في الأصل: (البدأ).

العالم ومُجَدِّه وهو سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. فاتخذَه الله حبيباً حين اتخذ غيره خليلاً، ونجياً، وصفيّاً. فمن حقيقة هذا السيد تفرعت هذه الحقائق علواً وسفلاً. فأعطى الله أصل المقامات وهو المحبة لأصل الموجودات. وهو سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. وبالحب كان الوجود المحدث. والله أعلم.

مسألة (٢٧٨)

اعلم أن معرفة المراتب من أشرف علوم المعرفة. فإن الذي لا يعرف حقائقها يلتبس عليه التوحيد، ويخامره الشك. ومن لم يعرف المراتب لم يعرف الخلق. فإن الخلق وهم عدم في وجود الحق تعالى. قال سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(١). قال بعضهم: (انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم). والله أعلم.

مسألة (٢٧٩)

تنوعت الصور الحسية، فتنوعت اللطائف، فتنوعت المآخذ، فتنوعت المعارف، فتنوعت التجليات. فوقع التحول والتبدل في الصور في عيون البشر. فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد. والله تعالى أعزّ وأجلّ من أن يُشهد. والله أعلم.

مسألة (٢٨٠)

ما من مخلوق إلا وله حال مع الله تعالى. فمنهم من يعرفه، ومنهم من لا يعرفه. فأما علماء الرسوم فلا يعرفونه أبداً. فإن الحروف التي عنها أخذوا علومهم تحجبهم، وهي حضرتهم. فليس لهم رائحة من نفحات الجود، وإن كان أجر الاجتهاد والدرس والأجر كون أيضاً. فما زالوا من رق الكون.

وأما من كان على بيّنة من ربه؛ فإنه يكشف له مما أريد به فيظهره ويسكن تحت جري المقادير. فطاعته ومعاصيه له مشهودة. فيعرف متى يعصي، وأين يعصي وكيف يتوب ويجتبي فيبادر لكل ما كشف له مستريحاً برؤية عاقبته متميزاً عن غيره بهذا. والله تعالى أعلم.

(١) سبقت الإشارة إليه.

مسألة (٢٨١)

التوحيد علم، ثم حال، ثم علم. فالعلم الأول: توحيد الدليل، وهو توحيد العامة أعني علماء الرسوم. وتوحيد الحال: أن يكون الحق تعالى نعتك فتكون هو لا أنت في أنت. ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١).

والعلم الثاني: بعد الحال توحيد المشاهدة. فترى الأشياء من حيث الوجدانية. فلا ترى إلا الواحد. وتجليه في المقامات تكون الوحدات. فالعالم كله وحدات. فيضاف بعضهم إلى بعض تسمى مركبات يكون لها وجه في هذه الإضافة تسمى أشكالاً. فليس لغير هذا العالم هذا المشهد. والله أعلم.

مسألة (٢٨٢)

اعلم أنه لما في قوة الأحد أحد به كل موجود ظهر جميع ما ظهر بأحدية تخصه أعطتها أحدية الذات الواهبة وجود ما وجد من الموجود. والواهية علم ما علم من المعلومات. فالأحدية ظاهرة في الآحاد خفية في المجموع في المركبات وهي المعبر عنها في لسان الشرع بالأسماء. وفي العقول السليمة بالنسب. وفي العقول القاصرة النظر بالصفات. وأين ما يظهر فيه حكم الواحد في العدد لأنه بالواحد يظهر العدد، وينشأ على الترتيب الطبيعي من الاثنين إلى ما لا يتناهى. وبزوال الواحد منه يزول العدد. والله أعلم.

مسألة (٢٨٣)

النور اسم من أسمائه تعالى، وهو تجليه باسمه أعني في صور الأكوان كلها. وقد يطلق على ما يكشف المستور من العلوم اللدنية والواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب. والله أعلم.

مسألة (٢٨٤)

السر في اصطلاحهم هو ما يخص كل شيء من الحق تعالى عند التوجه الإيجادي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾^(١).

(١) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ١٧، مدنية.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٤٠، مكة. كانت محرفة في الأصل وقد كتبها الناسخ (إنما أمرنا) وهي نص آخر لا يتفق وهذا النص.

ولهذا قيل: «لا يعرف الحق تعالى إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق ولا يطلب الحق إلا الحق تعالى. لأن ذلك السرّ هو الطالب للحق والمحج له والعارف به». والله أعلم.

مسألة (٢٨٥)

اعلم أيها المحب كائناً من كان: أن الحجب التي بينك وبين محبوبك كائناً من كان ليست سوى وقوفك مع الأشياء لا الأشياء، وإنما وقفت مع الأشياء لضعف الإدراك وهو عدم النفوذ. فهو المعبر عنه بالحجاب، وهو عدم والعدم لا شيء فلا حجاب ولو كانت الحجب صحيحة لكان من احتجب عنك احتجبت عنه. ولا نعرف ما نقوله إلا من كان الحق تعالى سمعه وبصره. فهو الذي يعرف ما يعبر عنه بالحجاب فوقوك مع الحق تعالى حجابك عن الخلق. ووقوفك مع الخلق حجابك عن الحق تعالى. وهذا من باب توسع. والإناس بما ورد به الكتاب والسنة من ذكر الحجب الظلمانية والنورانية. وعلى هذا التوسع بنيت الحجب. والله أعلم.

مسألة (٢٨٦)

لا تغتر بقول بعض العارفين: «العارف لا يشغله شيء عن ربه، ولا يشغله ربه عن شيء». إنما أراد قوة الحضور لا المشاهدة فما أشهدك إلا أفنأك وأبقاك له. وما أبقاك لك. فخذ ما لك واترك ما له. والله أعلم.

مسألة (٢٨٧)

القلق سطوات الشوق على القلوب بالهبوب إلى المحبوب والاشتياق بالهبوب إلى الدوام. وهما من أحكام المحبة. كما قيل:

فَأَبْكُ إِذْ نَأَى شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَأَبْكُ^(١) إِذْ دَنَوْتُ أَخَوْفَ الْفُرَاقِ

فهذا قد جمع حقيقة الشوق والاشتياق. فالشوق يسكن باللقاء. والاشتياق يهيج عند اللقاء. فالشوق حال. والاشتياق ثبوت. فافهم.

(١) في الأصل: (فابكي).

مسألة (٢٨٨)

الهيبة للقلب تمنعه من الرؤية في بساط المشاهدة. كما قيل:

أَشْتَأُقُهُ فَاِذَا بَدَا أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خَيْفَةَ بَلْ هَيْبَةً وَصِيَانَةً لِحَقِّهِ
وَأَصْدُ عَنْهُ تَجَلُّدًا وَأَزُومُ طَيفَ خَيَالِهِ

فالجمال مهيب، والجلال معظم مخوف بخلاف ما يعرفه أئمتنا، فإنه طراً في هذه المسألة تلبس من وجه الجلال الإلهي الذي لا يمكن أن يرى^(١) الحق تعالى فيه. فإنهم اعتقدوا أن ذلك الجلال المتجلّي إلينا وليس كذلك. ولكن للجمال جلال وهو الذي يرى الحق تعالى فيه. إذا قلنا رأيناه في مقام الجلال. وقوله صيانة لجماله. فهو قول «الشبلي»^(٢): «إني أغار على القديم أن يراه المحدث». وأما قوله طيف خياله فالخيال كنى به عن الشاهد.

مسألة (٢٨٩)

علامة من عرف الله تعالى حقيقة المعرفة أن يُطَّلِعَ على سرّه. فلا يجد علماً به. فذلك الكمال الذي لا معرفة وراءه. وفضّل رجال الله تعالى بعضهم على بعض باستصحابهم هذا الأمر على السواء.
والله تعالى أعلم.

مسألة (٢٩٠)

إذا أفنك عنك في الأشياء أشهدك إياه محرکها ومسكنها. وإن أفنك عنك وعن الأشياء أشهدك إياه عيناً. فإن عقلت أنك راءٍ فما أفنك عنك فلا تغلط، وهذا هو فناء البقاء ويكون عن حصول تعظيم في النفس. ومنها البقاء بنسبتك إليه، والفناء بنسبتك إلى الكون فاختر لنفسك لمن تنتسب.
والله تعالى أعلم.

(١) في الأصل: (ير).

(٢) الشبلي: يقول عنه الهجویری في كتابه: كشف المحجوب. سكنية الأحوال، وسفينة المقال، أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي. كان من مشاهير المشايخ. كان دقيقاً في إشاراته حيث قال أحد المحدثين عنه: إشارات الشبلي، ونكت المرتمش، وحكايات جعفر. صحب الحلاج فترة طويلة، واتصل بغيره من المشايخ ويروى أنه ذهب ذات يوم إلى السوق فقال الناس عنه: «هذا رجل مجنون». فردّ عليهم قائلاً: وأنا عندكم مجنون وأنتم عندي أصحاب فرادني الله في جنوني وزادكم في صحتكم؛ أي: أن جنوني هو نتيجة محبة الله الصادقة، بينما عقلكم هو نتيجة الغفلة الكبيرة. فاللهم زدني في جنوني حتى أكون قريباً منك. وزاد في عقلكم حتى تزدادوا بعداً عنه. وكأنه يدعو عليهم من غيرته. انظر: كشف المحجوب، ص ١٨٦، وانظر: الطبقات الكبرى، للشعراني. وكتاب الشبلي، للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود.

مسألة (٢٩١)

قال الله تعالى: ﴿يَدْبِرُ الْأُمْرَ﴾^(١) وهو عالم الأرواح. ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾^(٢) في عالم الأجسام. فقد جمع الإنسان بحقيقة بين العلمين. العلم الضرورة: وبه يشارك الملائكة. والعلم النظري: وبه يتميز عنهم. وبما يتميز به عنهم أيضاً تصور المعلومات ذوات الصور، وليس للروحانيات من ذلك التصور شيء. وإن كان لهم العلم. وهذا كله راجع إلى اختلاف النشأة.

واعلم أن الإنسان الكامل هو الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الأسماء الإلهية. كما أنه جامع لحقائق الأكوان كلها. يعلم كيفيات حركاتها وسكناتها، وأنفاسها، وما يكون منها، وعليها لأنها هو، وهو هي. وبجمعيته للأسماء الإلهية كان له الحكم عليها والتصرف فيها. وكان لها الانقياد إليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾^(٣). فقلوه تعالى: ﴿مِنْهُ﴾. أي من جهة الأسماء الإلهية. والله أعلم.

مسألة (٢٩٢)

اعلم أن المقامات والاضطراب في عدم احترام^(٤) الحضرة الإلهية مع العلم بما ينبغي لها شديد حملة على العارفين.

فمنها: قول رسول الله، (صلى الله عليه وسلم): (ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به)^(٥). ومنها: غضب موسى (عليه السلام)، والقاء الألواح. ومنها: دعاء نوح، (عليه السلام)، على قومه. فهذا إحجاب على الأيدي الإلهية المتصرفة في الله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٦). والله أعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٢، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٢، مدنية.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحائية، الآية ١٣، مكة.

(٤) هذه الفقرة شديدة الاضطراب في (م). وبما أن النسخة (س) قد انتهت فقد حاولت تلمس هذه المسألة في الفتوحات فلم أحصل عليها ولأمانة وضعت حرف (و) بين كلمتي المقامات - الاضطراب لأن المعنى بدلي على أن شرح المقامات أو تفسيرها هو: (الاضطراب في عدم احترام الحضرة الإلهية) فوضعت حرف (و) بينهما ليكون المفهوم العائد في [لها] على المقامات وليس على الحضرة الإلهية.

(٥) حديث: «ما ابتلي أحد من الأنبياء بمثل ما ابتليت به». لم أجد هذا الحديث في المراجع الموجودة لدي.

(٦) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٥٦، مكة.

مسألة (٢٩٣)

اعلم أن الصفات الذاتية للموصوف بها، وإن تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف في نفسه لكنها مجموع ذاته وإن كانت معقولة في التمييز بعضها عن بعض. والله أعلم.

مسألة (٢٩٤)

اعلم أن الذي فطر عليه الإنسان من العلم علمان. اعلم: بوجود الله تعالى. وعلم: بفقره إليه، والفقر نقص مؤلم، والغنى كمال ملذ. فلا بد لكل من صفته الفقر أن يفر إلى الله تعالى هرباً من الفقر المؤلم، وطلباً للغنى الملذ. فهو يطلب مالم يصح وجوده أصلاً لأنه لو استغنى أحد بالله تعالى لاستغنى عن الله تعالى لأن الاستغناء عن الله تعالى محال. لكن الله تعالى، من فضله، إذا أحدث في العبد طلباً لأمر معين مما هو مفتقر إليه أعطاه لذة تزيل عنه ألم الفقر. فيزول عنه ألم الفقر المعين، دون الفقر الكلي الذي لا يمكن زواله عن الممكن في حال وجوده، ولا في حال عدمه. والله أعلم.

مسألة (٢٩٥)

لا يلزم من وجود الصفات المتعلقة وجود المتعلق كوجود القدرة أولاً، وتعلقها إنما هو الإيجاد ولا يصح أن يكون الإيجاد أولاً، وكذلك العلم فإنه لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقها بحقائق المعلومات. بل له صلاحية التعلق والعلم المحدث عندنا واحد، لا أقول إن لكل معلوم علم فإنه لا اشترط فيه التعلق بكل المعلومات، وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق. فإذا نسب إلى الحق نسب إليه متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم وذلك على الله تعالى محال. وقلنا بوحديته. إذ لو كان لكل معلوم علم.

والمعلومات لا نهاية لها. ودخول ما لا نهاية له في الوجود محال. فوجود علوم لا نهاية لها محال. وما ذكرنا من تعلق العلم المحدث بما لا نهاية له جوزة الإمام «أبو عمر الأشعري» رحمه الله تعالى. وهو قول صحيح عندنا نرتضيه، وإن اختلفت مآخذها في دركه فالمدرك واحد وكلاهما في هذا كله إنما هو في الصفات المحدثنة المخلوقة.

وأما علم الله تعالى وصفاته المتعلقة فقد وافقنا على ذلك العقلاء إلا شذمة قليلة وهي المعتزلة، والاعتبار لهم عندنا. والله أعلم.



اعلم أنه ما عُبد شيء في العالم إلا بعد تلبسه بالرفعة. وشهوده في الدرجة الرفيعة عند العابد. وبذلك تسمى الحق تعالى لنا برفيع الدرجات، حيث قال الله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾^(١). ولم يقل رفيع الدرجة. فهو كثير الدرجات في عين واحدة فإنه قضى أن لا يعبدوا إلا إياه، في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهي عُبد فيها. وأعظم مجلى عبد فيها، وأعلاها الهوى. كما قال تعالى: ﴿أفرايت من اتخذ إلهه هواه﴾^(٢). فهو أعظم معبود. فإنه لا يعبد شيء إلا به، ولا يعبد هو أي الهوى إلا بذاته. شاهدت الهوى في بعض المكاشفات ظاهراً بالألوهية قاعداً على عرشه، وجميع عبده حافين عليه، واقفين عنده. وما شاهدت معبوداً في الصور الكونية أعظم منه وفيه أقول:

وَحَقُّ الْهَوَىٰ إِنْ الْهَوَىٰ سَبَّبَ الْهَوَىٰ وَلَوْلَا الْهَوَىٰ فِي الْقَلْبِ مَا عُبِدَ الْهَوَىٰ
فحق الهوى المقسم به، أعني به الحب الأصلي الدال عليه قدسياً بقوله: فأحببت.

إن الهوى بعينه هو سبب الهوى الحسي في القلوب. ما عبد الهوى الذي هو الميل إلى مظاهره الكونية ومجالبه الخلقية بالاتباع له والانقياد لأحكامه. ألا ترى كيف تم سبحانه الآية بقوله: ﴿وأضله الله على علم﴾^(٣).

والضلالة الحيرة فيما علم إن ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾^(٤). وهو الحق مع أن العابد ما عبد إلا هواه بانقياده إلى طاعة هواه فيما يأمره من عبادة من عبده حتى عبادته لله تعالى، إنما كانت عن هوى لأنه لو لم يقع له هوى ميله فأحب، فأراد لما عبد الله، ولا آثره على غيره في إرادته.

لكن إرادته في عبادة الله تعالى وافقت حكم الله تعالى الذي قضى به ألا يعبدوا إلا إياه. ولو لم يوافق فيما عبده صورة ما من صور العالم الذي اتخذها بهواه، لا بالأمر الإلهي إلهاً يعبد. ومع هذا في الصورتين لا يزال العابد تحت سلطان هواه فيما عبده بحق أو بباطل لزعمه القائم بغرض غيرية المعبود، مع أن لا معبود على الحقيقة إلا الله، ثم رأى الحق المعبودات الكونية تتنوع في نظر العابدين لها في الحقيقة والبطلان. فكل عابد أمراً ما يكفر من يعبد سواء، لتمحض هواه في معبود هواه.

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ١٥، مكة.

(٢) القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية ٢٣، مكة.

(٣) استكمال الآية السابقة مباشرة (٢٣) من سورة الجاثية.

(٤) في الأصل بدون (و): (قضى ربك....الخ). وهي آية رقم (٢٣) من سورة الإسراء، مكة.

فما عبد كل عابد إلا هواه وما استعبده سواه. أصادف المعبود الحق الذي شرعت عبادته أو لم يصادف بحسب مشروعية الحكم. لا بحسب ما في نفس الأمر حيث لا تقع العبادة إلا لمستحقيها بالذات.

ولذا التبيه لاتحاد الهوى عند اعتبار نسبته إلى متعلقاته يرى به الكل متحداً لأحدية الهوى. وعند قطع النظر من تلك التعليقات لا يرى إلا عيناً^(١) واحدة يلازمها اقتضت عبادة كل عابد لكل معبود فكان هو العارف الكامل الرائي لكل معبود مجلي للحق يُعْبَدُ فيه.

فالحق هو المعبود مطلقاً جمعاً وفرادى. ولذلك سُمِّيَ^(٢) العابدون ذلك المجلي إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك. بالنظر إلى ما في نفس الأمر.

فتأمل ترى الحكم لسلطان التجلي الإلهي في المعبودات لا لصور أعيانها المشهودات. فكن ممن عرف فأقر، لا ممن جهل فأنكر. وأقم منار الشرع في صورتني الإقرار والإنكار. ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٣).

وعلى الغيب فاعبده فإنه: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(٤).

تم

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي.

وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) في الأصل: (عين).

(٢) في الأصل: (سموا).

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٩٩، مكة.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكة.

رسائل ابن عربي

كتاب اليقين وكتاب المعرفة

وكتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب

يعد كتاب اليقين من بين الكتب الهامة التي قدمها (محيي الدين بن عربي) . وتظهر أهميته في وضوح رؤيته وامتلاكه ناصية هامة من نواصي التنظير والتحقيق سواء من الجانب الفلسفي أو الصوفي .

فقد تشابكت الآراء حول مقولات كثيرة لابن عربي ، من هذه المقولات : ترديد بعض الكتب حول تفضيل ابن عربي نفسه في ولايته عن النبوة . وأقول لمن يرددون هذه الأقوال : اقرأوا هذا الكتاب وستأتاكم الإجابة شافية على لسانه وهو يناقش فكرة اليقين بعمق .

وبالرغم من هذا العمق وهذا التنظير إلا أن الكتاب واضح وضوحاً جلياً لدرجة تجعل من لا عهد له بقراءة كتب ابن عربي الاقتراب من هذا الكتاب ، بل وترديد ما يقوله من يسر وسهولة ، ليسور لفته ، ومأخذه ونقاء تعبيره .